الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـم العالـــي و البحـــث العلمـــي
جامعـــة باتنة-01-
كليـــة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسـم التاريخ والآثار
الرقم التسلسلي:.....
رقم التسجيل:.....

أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى الغزوات الوندالية46 ق.م-429 م

دراسة تحليلية حول الواقع السياسي والاقتصادي في ظل الاحتلال الروماني

أطروحة مقدمـة لنيـل درجـة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

إعـداد الطالب :
جمال مسرحي

إشـراف الأستاذ الدكتـور:
مسعود شباحي

لجنـــة المناقشـــة

الإســـم واللقـــب	الرتبـــة	الجامعـــة	الصفـــة
رشـــيد باقـــة	أستـاذ التعليـم العالـي	جامعـــة باتنـــة-01-	رئيـــسا
مســعود شـــباحي	أستـاذ التعليـم العالـي	جامعـــة باتنـــة -01-	مشـرفـا و مقـــررا
بلقاســم رحمـــاني	أستـاذ التعليـم العالـي	جامعـــة الجزائـــر-02-	عـضـــوا منـــاقشا
محمد الحبيب بشـاري	أستـــاذ التعلـيم العـالي	جامعـــة الجزائـــر-02-	عـضـــوا منـــاقشا
محمـــد كـــاكي	أستـــاذ محاضـــر(أ)	جامعـــة الجلفـــة	عـضـــوا منـــاقشا
عبـد الحميـد بعيطـيش	أستـــاذ محاضـــر(أ)	جامعـــة باتنـــه-01-	عـضـــوا منـــاقشا

السنـــة الجامعيـــة:
1438- 1439هـ /2017 – 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أغلى الناس وأقربهم إلى قلبي، إلى أجمل ما نطق به فؤادي قبل لساني، أمي الحبيبة المرحومة يمينة (الكاملة) بزالة طيب الله ثراها وغمرها بواسع رحمته وأسكنها فسيح جناته، وإلى والدي الذي بذل جهده وسال عرقه، وكرس حياته لتعليم أبنائه وبناته وتربيتهم على حسن الخلق، وإلى أخواي وأخواتي حفظهم الله ورعاهم وجعلهم ذخرا لوطنهم الغالي الجزائر وإلى جميع الذين ضحوا بأنفسهم من أجل أن تحيا الجزائر وتبقى رايتها خفاقة في السماء.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل اعترافا مني لهم بفضلهم علي وعرفانا لهم بما قدموه لي وخاصة أمي .

فلا يسعني إلا أن أنحني أمام روحها الطاهرة التي ترفرف في كل لحظة لتحثني على مواصلة العمل والسهر من أجل تحقيق ما كانت تطمع وتريد أن تراني عليه

شكر وعرفان

وأنا أشرف على تتويج مساري التعليمي بشهادة الدكتوراه يشرفني وسوابغ المسرة تغمرني أن أرفع أسمى معاني التقدير والاحترام والامتنان إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور مسعود شباحي الذي رافق هذا العمل بكل صدق فكان موجها ومعلما ومشرفا فواصل بذلك ما قام به أستاذي المرحوم "**غانم محمد الصغير**" الذي أشرف على أعمالي في الماجستير وجزء كبير من هذه الأطروحة فلروحه مني كل الامتنان والعرفان وأسأل الله له الغفران كما أرفع عبارات الشكر والتقدير إلى جميع الذين علموني رسم الحروف ومعاني المفردات من أساتذتي في جميع أطوار مساري التعليمي من شيوخ الكتاتيب إلى معلمي الابتدائي وصولا إلى أساتذة صرح الجامعة.

قائمة بأسماء المختصرات الأجنبية المعتمدة في المذكرة:

1. A.A.A.: Atlas Archéologique de l'Algérie, St. Gsell. Alger, 1991.
2. A.A.: Antiquités Africaines.
3. C.I.L. : Corpus Inscriptionum Latinarum, Berlin.
4. H.A.A.N: Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, St.Gsell, Paris, 1913-1918.
5. M.E.F.R.A.: Mélange de l'Ecole Française de Rome, Antiquité, Rome, Paris.
6. R.Af. : Revue Africaine, Alger.
7. R.S.A.C.: Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique Historique et Géographique du département de Constantine.
8. M.A.H. : Mélange d'Archéologie et d'Histoire, Paris.
9. D.H.A. : Dialogue d'Histoire Ancienne, Paris.
10. Ency.Ber. : Encyclopédie berbère, Paris.

مـــــــــــــقـــــــدمـــــــة

يشكل الشمال الإفريقي مجالا جغرافيا وتاريخيا واسعا لم تتضح بعد معالم دراسته بالشكل الذي يستحقه، وهو ما جعل أمر دراسته والبحث فيه أمرا في غاية الأهمية، وعلى هذا الأساس كان على الباحثين في التاريخ المغاربي عموما بذل المزيد من الجهود، والقيام بمزيد من البحوث الجادة، بغية توحيد وجهات النظر والوصول إلى الرؤى المشتركة من أجل إماطة اللثام ورفع اللبس ثم إلقاء الضوء على مختلف الجوانب التي تشكل العناصر الأساسية من هذا الجزء الهام من العالم القديم، حينئذ يمكن دراسة المنطقة بشكل مجزء لتحليل أحداثها بشكل دقيق وعليه يمكن أن يكون الشرق النوميدي أحد أهم تلك العناصر أو تلك الأجزاء المشكلة للتاريخ المغاربي القديم، وتكمن أهمية هذا الجزء (الشرق النوميدي)، في كونه كان على مر العصور أحد أبرر المناطق الموجهة، بل الصانعة لتاريخ المنطقة والمتحكمة في مصيره.

من هذا المنطلق، فإن اتخاذ الشرق الجزائري القديم الذي نعني به في مختلف مراحل هذا البحث الشرق النوميدي، كنموذج للبحث والدراسة والتحليل لمختلف عناصره الأساسية، وأن يكون أيضا مجالا سانحا للتأكيد على الفعل الروماني لاسيما وأننا اخترنا لهذه الأطروحة إطارا زمانيا يشمل الفترة التي بسط فيها الوجود الروماني في المنطقة نفوذه، ثم رد الفعل النوميدي، لاسيما في المناطق الداخلية والجنوبية بشكل خاص خاصة وأن المدارس التاريخية الحديثة تحاول الخروج بمجالات الدراسة من المركز إلى الهامش، ذلك الهامش الذي صنع في أغلب فترات التاريخ المغاربي الحدث الأبرز والمتمثل في المقاومة الشرسة للرومنة بمختلف أشكالها، سياسية كانت أم اقتصادية أم ثقافية وغيرها.

وإذا تحدثنا عن الفعل الروماني، فإننا بالتأكيد سوف نتناول بالتحليل سياسة الرومان المتمثلة في انتهاج مبدأ "**فرق تسد**"، مع الأمراء والملوك النوميديين، وذلك بتوجيه الأحداث، والأوضاع الداخلية النوميدية نحو التأزم، بإذكاء الصراع بين الإخوة

الأعداء لإيجاد المبرر الذي يتيح لساسة روما التدخل لتقسيم المملكة النوميدية، على غرار ما حدث بعد إنهاء محاولة العاهل النوميدي سيفاكس توحيد النوميديتين سنة 205 ق.م ثم اللجوء إلى التقسيم ثانية بعد وفاه الملك ماسنيسان سنة 148 ق.م، عندما أشرف القائد الروماني سيبيون إيميليانوس (Scipion Emilianus)على تقسيم المملكة النوميدية بين أبناء الملك الهالك.

وهو ما سيحدث مرة أخرى على إثر وفاة مكوسن ابن ماسنيسان منه 118ق.م، حيث نجد أن الساسة الرومان يلجؤون ثانية إلى توجيه الأحداث التي أعقبت وفاة الملك إلى التقسيم من جديد، ولم يقتصر عمل الساسة الرومان على ذلك فحسب بل عمدوا إلى إذكاء الفتن والصراعات بين ورثة العرش النوميدي، لكن قوة وصلابة وبعد نظر الملك يوغرطة أجلت تحقيق أهداف المؤسسة العسكرية الرومانية، عندما وحد أو حافظ على وحدة نوميديا، وذلك سنة 113 ق.م، إلا أنه على إثر تلك المقاومة الباسلة التي قادها هذا الأخير، والتي ذهب ضحيتها سنة 105 ق.م، يفتح المجال أمام ساسة الرومان ليعبثوا من جديد بحدود المملكة النوميدية، وذلك بتقسيمها إلى ثلاثة أجزاء وتوزيعها على المتحالفين معهم، وذلك على إثر المؤامرة التي نسج خيوطها القائد الروماني سيلا (Sylla) وقام بتنفيذها بوكوس الأول(Buccus) ملك موريطانيا.

والجدير بالذكر هنا هو ارتباط الأوضاع في نوميديا بما تسفر عنه السياسة الرومانية في صراعات وأحداث في روما، حيث في هذا الصدد نجد أن الرومان بعد

نصف قرن من إنهاء مقاومة الملك يوغرطة عن طريق التآمر يلجؤون إلى أسلوب آخر وهو أسلوب الاحتلال المباشر، وذلك بإزالة الدولة الإقليمية النوميدية وإنهاء الكيان السياسي النوميدي سنة 46ق.م، بعد انتصار يوليوس قيصر على خصمه بومبيوس في حرب إفريقيا، ومن المعلوم أن في تلك الفترة ملك نوميديا يوبا الأول قد اختار التحالف مع بومبيوس ضد قيصر لأسباب متعددة، وقد أعاد قيصر ترتيب المنطقة إداريا، بإنشائه مقاطعة رومانية باسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova)، على أنقاض المملكة النوميدية التي كانت تحت حكم يوبا الأول ثم منح الجزء المتبقي منها للمرتزقة سيتيوس الذي أنشأ به ما عرف بالاتحاد السيرقي الذي تشكل من روسيكادا (سكيكدة)، شولو (القل)، ميلاف (ميلة)، سيرتا (قسنطينة).

لقد استطاع الرومان التقدم بعملية الاحتلال إلى المناطق الداخلية النوميدية وذلك بعد إنهائهم للكيان السياسي النوميدي والقضاء بالتالي على الدولة الإقليمية النوميدية مع انتحار آخر ملوكها يوبا الأول على أسوار مدينة زاما سنة 46 ق.م.

في توغلهم في المناطق الداخلية كان الرومان يقيمون ويشيدون المستوطنات في العمق النوميدي لتثبيت دعائم الاحتلال بالاستيطان، غير أنه لم يكن بوسع أولائك المستوطنين الرومان أو فرقهم العسكرية الاستقرار واستغلال الثروات المحلية بسهولة تامة، ذلك أن العناصر المحلية أي السكان الأصليين كانوا يرفضون على الدوام أي دخيل عن البلاد، وقد تجلى ذلك في المقاومة الشرسة والمستمرة للوجود الروماني في المناطق التي يصل إليها المد التوسعي للرومان.

ولقد كانت الكتلة الأوراسية في كل ذلك المد التوسعي في تحد مستمر لسياسة الرومنة وصامدة عبر كل التاريخ الجزائري كقلعة حصينة، تقف في وجه الاحتلال الأجنبي.

من جهتهم أدرك الرومان منذ الوهلة الأولى أهمية الأوراس كإقليم جغرافي له خصوصياته التضاريسية والمناخية والبشرية، ويتمتع بموقع استراتيجي في العمق النوميدي، فأحاطوه بأحزمة أمنية اصطلح على تسميتها بخطوط الليمس[1] التي اتخذت منها الإدارة الرومانية إحدى آليات الاحتلال والاستيطان ووسيلة أساسية لتثبيت دعائم التواجد الروماني في المنطقة. ولم يقتصر دور تلك الخطوط الدفاعية (الليمس) على الجوانب العسكرية والأمنية فحسب، بل امتد إلى جوانب أخرى كالاستيطان، والاستغلال الواسع للأراضي الزراعية، وبإنشاء مزارع ضخمة من قبل المستوطنين الرومان وقد أقاموا لذلك شبكة واسعة من قنوات المياه وتوزيعها عبر تلك الأراضي انطلاقا من خزانات مختلفة الأحجام أقيمت لذات الغرض، فشكل بذلك الليمس النوميدي مؤسسة قائمة

---

[1]- الليمس: لقد ارتبط التغلغل الروماني في المناطق الداخلية بإقامة الأسوار والحصون حول معسكرات الجيش ثم امتدت تلك الأسوار لتشمل المدن، وفيما بعد كل إقليم الخاضع للسيطرة الرومانية، واصطلح على تسمية تلك الأسوار والخنادق والتحصينات الدفاعية بالليمس. وتطور مفهوم الليمس بعد الدراسات والأبحاث الحديثة التي أجريت في مختلف مواقع ومكونات الليمس ليشمل إلى جانب الناحية العسكرية الناحيتين الاقتصادية والعمرانية، فتلك الأسوار والحصون تمثل لدى الرومان الحد الفاصل بين التحضر الذي يمثله العنصر الروماني المحتمى داخل أسوار الليمس والممارس داخل الأنشطة الزراعية وبين البداوة الآتية من وراء تلك الأسوار، والتي تهدد في نظرهم الوجود الروماني في مناطق الليمس. لقد تدرج الرومان في تحصين حدود سيطرتهم وفقا لما يحرزه جيشهم على الأرض، وما يحتله منها ويضمه إلى ممتلكات الإمبراطورية الرومانية، وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن مقاومة السكان المحليين في إفريقيا فرضت على الأباطرة الرومان إعادة تهيئة الليمس، خلال القرن الثالث الميلادي وذلك بتكثيف الأجهزة الدفاعية كالحصون والطرق والخنادق التي تشكل هذه المؤسسة المعقدة...لمزيد من المعلومات أنظر:

- Winkler (A.), « frontiere méridionale ou limès de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie) », R.T(1909), pp.37-47 ;

- بوشناقي منير، المدن القديمة في الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978، ص.54.

بذاتها معقدة المكونات ومتكاملة الأدوار، مثل تكامل الأدوار التي قام بها الأباطرة الرومان في تثبيت الاحتلال الروماني في المناطق الداخلية على غرار ما قام به الأباطرة الفلافيين، من إنجازات هامة للمؤسسة العسكرية الرومانية، واستكمل مشروعهم الأباطرة الأنطونيين لاسيما لإمبراطور تراجان، ثم تدعمت كل السياسات الرامية إلى الرومنة من خلال الأعمال متعددة الأبعاد التي قام بها الأباطرة السيفيريين وأحسن مثال على ذلك قانون الإمبراطور كراكلا ابن سيبتيموس سيفيروس لسنة 212 ق.م الذي يمنح حق المواطنة لجميع أحرار الإمبراطورية، ورغم ذلك فقد اعتبرت أكبر مرحلة من مراحل الاستيطان نظرا للأعباء التي أضيفت للمواطنين من جراء ذلك القانون، حيث ضاعف لهم الضرائب التي كانوا يدفعونها لمؤسسات الإمبراطورية المالية.

ثم نسجل حضور المنطقة النوميدية الشرقية في التاريخ الجزائري القديم من خلال الحركة الدوناتية في القرن الرابع الميلادي، وصراعها المرير مع الكنيسة الكاثوليكية، فضربت أروع الأمثلة حول المقاومة الشعبية حيث تحالف روادها (الدوناتيون مع الشباب الريفيين) الذي اصطلح عليهم بالدوارين، فكانت بذلك وجها من أوجه الرفض الذي جبل عليه السكان في الشرق النوميدي على مر العصور، إلا أنه في ظل ندرة المصادر بنوعيها الكتابية والمادية التي من شأنها أن تفيدنا بالمادة الخبرية حول الأوضاع السياسية، العسكرية والاجتماعية ثم الاقتصادية في الشرق النوميدي، لاسيما النشاط المحلي النوميدي – الموري المضاد لعمليات التوسع الروماني، فإن الأبحاث الأثرية والحفريات التي أجريت في مناطق متعددة من الشرق النوميدي، وكذا استقراء النقوش والبقايا المادية الأخرى، إضافة إلى النتائج الهامة التي توصل إليها ضابط الطيران الفرنسي ج. برادیز (J.Baradez) (أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر) عن طريق التصور الجوي الذي أجراه في الجنوب النوميدي سنتي 1945-1946، تبقى التقنية من أهم الآليات التي مكنت

من تتبع مسار المؤسسة العسكرية الرومانية حيث سمحت بالتعرف على القلاع والحصون والخنادق والطرق وغيرها من الشواهد الأثرية، ومن خلال دراستها وتحليلها أمكن الوصول إلى حقائق مهمة حول الوظائف التي كانت لخطوط الليمس النوميدي والأهداف التي كانت تسير المؤسسة العسكرية الرومانية ثم ردود الفعل المحلية.

ذلك ما فرض علينا أن نأخذ بالقسم الأول من هذا البحث وجهة عسكرية على اعتبار أن معظم المصادر والوثائق المتصلة به مرتبطة بالأحداث الحربية، لذلك ارتأينا أن تبرز الأوضاع السياسية والعسكرية في الشرق النوميدي، وأن ندرس النشاط العسكري الروماني في الشرق والجنوب الشرقي الجزائري، وردود الفعل المحلية تجاهه والمتمثلة في رفضه بالمقاومة والتمرد، منذ ما قبل سقوط قرطاجة 146 ق.م إلى الغزو الوندالي للمنطقة على إثر التدهور الروماني خلال القرن الرابع وبداية القرن الخامس لميلادي، ولقد ساهمت سياسة الملوك النوميديين في دعم طموحات الرومان من خلال إتاحتهم الفرصة للتدخل وبالتالي توجيه الأحداث طبقا لمصالح روما، ثم انتقلنا إلى إبراز الجوانب الاقتصادية للأوضاع في الشرق النوميدي في القسم الثاني من عملنا والذي يأتي كنتيجة للعمل السياسي والعسكري الذي قام به الرومان في المنطقة.

دوافع اختيار الموضوع:

لعل اهتمامنا الشخصي بالتفاعلات الحضارية التي عرفها الشمال الإفريقي عموما والشرق النوميدي منه على وجه الخصوص، في فترات السلم والحرب، من خلال احتكاكه بالحضارات التي عرفها البحر المتوسط عموما، والمجاورة له خصوصا، ألزمنا التحلي بالإدارة القوية، والعزيمة الصلبة على الخوض في هذا الموضوع علنا نبرز بالشرح والتحليل والتعليل الأوضاع السياسية والاقتصادية التي صنعتها تطور الأحداث

وتفاعلها خلال فترة الاحتلال الروماني للمنطقة والظروف الممهدة لذلك الاحتلال، ومع التركيز على نشاط المؤسسة العسكرية الرومانية دون إهمال ردود الفعل المحلية، في الشرق النوميدي على سبيل المثال نشاط القبائل الموزيلامية (Les Musulames)، والجيتولية (Les Gitules)، ثم التحالفات المختلفة بين القبائل النوميدية والإفريقية في الأوراس، وما حوله لدرء الخطر الروماني القادم من الشمال بعد رومنة المناطق الشمالية عبر فترات متقدمة من الاحتكاك مع الجانب الروماني.

إشكالية الموضوع:

يلاحظ الدارس لتاريخ الشمال الإفريقي ندرة المعارف المتصلة بالمناطق الداخلية النوميدية لاسيما في جزيئها الشرقي، والجنوبي–الشرقي والتي ظل تاريخها بعيدا عن ايضاءات البحث مما جعلها تعاني الغموض من جراء عدم الاهتمام.

وفي السياق ذاته، ما انفكت المدرسة التقليدية التاريخية، تعمل على التركيز على الفعل الروماني في الفضاء الجغرافي الذي غطته الإمبراطورية الرومانية، بمختلف أوجهه العسكرية والإدارية ثم الاجتماعية والاقتصادية ناهيك عن الانجازات الحضارية المرتبطة بالعمران كالمعابد والقصور والأسوار والحمامات والساحات العمومية وغيرها.

ذلك ما جعلنا نتساءل عن الأهداف التي سعت المؤسسة العسكرية الرومانية إلى تحقيقها في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية التي كانت في الحقيقة إحدى مظاهر التواجد الروماني بالمنطقة الجنوبية الشرقية من نوميديا؟ وكذا الانجازات المحققة من قبل جيش الاحتلال الروماني في المنطقة محل الدراسة؟

ثم إلى أي مدى تكاملت مؤسسات الاحتلال الروماني في الشرق النوميدي وجنوبه دعما لإرساء قواعد الاحتلال؟ التطرق إلى آليات السياسة الاستعمارية الرومانية لم يعف

الباحث من طرح سؤال جوهري هو: إلى أي مدى تمتعت المناطق التي أخضعت بقوة السلاح لسلطة روما بالاستقرار والأمن؟ ثم لماذا تقل الرومنة كلما اتجهنا جنوبا؟ إن النجاح النسبي والسهولة النسبية التي وحدها الرومان في تكريس احتلالهم للمنطقة النوميدية يدفعنا للتساؤل مرة أخرى: هل كان ذلك فعلا بتواطؤ من بعض العناصر المحلية، كما تبرزه الكتابات الأجنبية؟ أم أن هناك بعض الحقائق التي ظلت خفية عن تاريخ المنطقة؟

إن تكامل سياسة الاحتلال الروماني في أهدافها يجعلنا أيضا نتسائل عن دور الأباطرة الرومان خصوصا ذوي الأصل الإفريقي (الأباطرة السيفريين)[1] وحقيقة انتمائهم إلى إفريقيا في ظل المساويء التي لحقت إفريقيا عموما من جراء سياستهم !؟

ثم أخيرا يمكننا أن نتساءل عن فعل المقاومة التي كان الشرق النوميدي والجنوب الشرقي منه منطلقا لها سواء تعلق الأمر بالمقاومة العسكرية (قبائل الجيتول والموزيلامي) أو المقاومة الفكرية الدينية ثم الاجتماعية (الدوناتية والريفيون).

---

[1]- الأباطرة السيفريون: انتقل عرش الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي إلى عائلة ليبية إفريقية هي عائلة سيفيروس (Severus) أصيلة مدينة لبده بليبيا الحالية، واستمر حكمالإمبراطورية لدى هذه العائلة ما بين (197-235م)، ولقد ترك السيفريون بصماتهم في تاريخ الإمنبراطورية، لاسيما القوانين التي أصدرها الإمبراطور كراكلا (Caracalla) ابن سيبتيموس سيفيروس (Septimus Severus)، والتي أطلق عليها اسم دستور كراكلا، حيث منح حق المواطنة لجميع أحرار الإمبراطورية، وكانت فترة حكم الأباطرة السيفرييون آخر حلقة في سلسلة التطور الذي عمل من أجله الأباطرة الأنطونييون (Les Antonins)، لتبدأ مرحلة أخرى اتسمت بالصراع على السلطة واستنزاف قوى الإمبراطورية، ...حول النموضوع أنظر:

- شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص ص.29-30.

هل عبرت عن وعي تلك القبائل القاطنة في تلك المنـــاطق بضـــرورة التصـــدي للأجنبي، وذلك ما جعلها تتحالف مع بعضها الـــبعض؟ أم أن مقاومتهـــا كانـــت لأســـباب مرتبطة باغتصاب أراضيها واستقلالها من قبل المحتلين؟ ولم تكن قد بلغت درجة الـــوعي السياسي الذي يجعلها تدرك ضرورة الوحدة الناتجة عن الشعور الإقليمـــي الـــذي يـــربط بينها؟.

وكان الباحثون الفرنسيون إبان الحقبة الاستعمارية قد تعرضوا إلى جوانـــب مـــن المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني إلا أن كتاباتهم كانت دوما تركـــز علـــى الجانـــب الروماني وانتصاراته المحققة على أرض الواقع، وهذا كان أحد الدوافع التي نطمح مـــن خلالها إلى إزالة اللبس عن منجزات أسلافنا النوميديين وإبراز أخبارهم بصـــورة لائقـــة بتضحياتهم من خلال إظهار العلاقة الجدلية القائمة بين الفعل الاستعماري الرومـــاني ورد الفعل المحلي المقاوم له...

المنهج المتبع:

ولقد اعتمدنا في ذلك منهجا تحليليا استنباطيا للوثائق المادية الكتابيـــة والمخلفـــات الآثارية للوصول إلى إجابات وافية على التساؤلات المطروحة والتي أشرنا إليها.

وظفنا أيضا المنهج التاريخي الوصفي في حالات عدة قمنـــا مـــن خلالـــه بســـرد الأحداث دون تحليلها وذلك لعدم تناولها بشكل أوسع في المصادر الكلاسيكية، لكن دعمنـــا ذلك بالمنهج المقارن بحيث قمنا بمقارنة الأحداث ببعضها البعض وما نتج من انعكاســـات ثقافية واجتماعية ثم اقتصادية كانتشار ظاهرة الرومنة بمدن الشمال وظاهرة البداوة فـــي مناطق الجنوب !؟

مصادر البحث ومراجعه:

إن طبيعة الموضوع فرضت علينا الإلمام بالجانبين التاريخي والأثري للوصول إلى النتائج المرجوة من العمل البحثي هذا ولكون العمل يعالج فترة زمنية طويلة نسبيا، استوجب علينا ذلك البحث والتدقيق في المصادر التي تناولت الموضوع والمعروف عنها أنها قليلة ولم تشر إلى تاريخ المنطقة محل الدراسة إلا عرضا، والتي يمكن أن نذكر منها: التاريخ الروماني (Histoire Romaine)، للمؤرخ الروماني تيتيوس ليفيوس (Titius Livius) وحرب يوغرطة (La Guerre de Jugurtha) لساليستيوس (Sallustius) وهو المصدر الوحيد حول مقاومة الملك يوغرطة ثم حوليات المؤرخ الروماني تاكيتوس (Les Annales de Tacite) التي تعتبر المصدر الوحيد حول مقاومة القائد الموزيلامي تاكفاريناس، وعلى الرغم من عدم الدقة في التطرق للأحداث التاريخية النوميدية الذي تتسم به هذه المصادر الكلاسيكية، فغالبية هؤلاء المؤرخين كانوا متحيزين لشعوبهم من منطق الانتماء للقبيلة ثم التعالي عن الشعوب المستعمرة وهي سمة اتصف بها معظم المؤرخين الرومان، مما يصعب على الباحث تفسير الأحداث التي أوردها هؤلاء المؤرخون، غير أننا استفدنا من الدراسات الحديثة التي تطرقت للموضوع سواء ما تعلق بالجانب التاريخي أو الجانب الأثري ونذكر منها على الخصوص:

– مؤلفات المؤرخ الفرنسي جبرييل كامبس (G.Camps) على الرغم من عدم موضوعيتها كونها تنم عن توجه إيديولوجي يضرب على العرقية والقبلية، يفرق ولا يوحد، وبذلك يمكن اعتباره سياسيا وليس علميا تاريخيا خاصة مؤلفه الشهير: في أصول البربرية ماسينيسا أو بدايات التاريخ « Aux Origines de La Berberie Massinissa ou Les Début de L’histoire »

– مؤلفات المؤرخ الفرنسي ستيفان جزال (S.Gsell): التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية (Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord) ثمانية أجزاء وأطلسه الأثري الخاص بالجزائر: « Atlas Archéologique de L'Algérie » جزءان.

يضاف إلى ذلك مؤلفات مارسال بن أبو (M.Benabou) خاصة منها المقاومة الإفريقية للاحتلال الروماني (La Resistance Africaine à la Romanisation) هذا بالإضافة إلى بعض الدراسات التي كتب باللغة العربية كمؤلفات أ.د.غانم محمد الصغير خاصة منها: المملكة النوميدية والحضارة البونية ومؤلفات أ.د. شنيتي محمد البشير منها: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...

– كتاب أ.د. محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة.

– وبعض الدراسات المنشورة في المجالات المتخصصة نذكر منها: دراسة لـــ أ.د. خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي منشورة في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ع12.

– ثورة تاكفاريناس 17–24م، فقال للأستاذ حارش محمد الهادي.

محتوى الأطروحة:

وفقا لما تطلبه الموضوع فقد قسمنا العمل إلى مدخل وبابين وكل باب يتضمن عدة فصول.

– تطرقنا في المدخل إلى أوضاع نوميديا قبيل معركة زاما وسياسة التحالفات التي طبعت توجهات القادة النوميد في الفترة السابقة لمعركة زاما الفاصلة سنة 202 ق.م. وقد حللنا من خلال الوثائق والمصادر المادية التي اعتمدنا عليها أحداث تلك المرحلة وأبرزنا

خلفيات ذلك الصراع الذي نشب بين العاهلين النومديين ماسنيسان وسيفاكس وأدرجناه تحت عنوان: مظاهر السيادة ومقتضياتها تحالف التبعية 208-148ق.م.

أما الباب الأول والمعنون بـ: علاقة المملكة النوميدية بالجمهورية الرومانية من تدمير قرطاجة إلى وفاة قيصر 146ق.م 44ق.م فقد أدرجنا ضمنه ثلاثة فصول حاولنا من خلالها أن نبرز أوضاع نوميديا بعد سقوط قرطاجة وتداعيات ذلك على المنطقة المغاربية، فتناولنا مقاومة يوغرطة، وتداعيات فشله على نوميديا ثم أشرنا إلى أوضاع المنطقة بعد الحرب الأهلية الرومانية وترتيبات قيصر بالمنطقة بعد انتصاره على غريمه بومبيوس سنة 46 ق.م وتتبعنا بعد ذلك مسار التوسع الروماني في أوائل عهد الإمبراطورية، دون أن ننسى ردود الفعل المحلية لاسيما مقاومة القائد الموزيلامي تاكفاريناس 17-24م.

أما الباب الثاني فقد حاولنا من خلاله التطرق إلى التوسع الاستيطاني الروماني في الجنوب النوميدي وآثاره الاقتصادية، وعالجنا ذلك من خلال الفصول الأربعة التي شكلت هذا الباب الذي خصصناه لدراسة أوضاع نوميديا في ظل حكم الأباطرة الفلافيين وسياستهم الاستيطانية، ثم حكم الأباطرة الأنطونيين استكمالا للفلافيين وأظهرنا دور الكتلة الأوراسية في الصمود والتصدي لمظاهر الاحتلال الروماني منذ وصوله إلى مشارف الكتلة الأوراسية من خلال مد الخطوط الدفاعية التي إندلت على شيء إنما تدل على صعوبة اختراق الأوراس أو السيطرة عليه جغرافيا وبشريا. كما خصصنا جزءا هاما من البحث للآثار أو المخلفات الرومانية في الجنوب النوميدي خاصة أعمال الري والزراعة في التخوم الجنوبية للأوراس، ثم أشرنا إلى إصلاحات الأباطرة السيفيريين وانعكاساتها الاقتصادية على المنطقة النوميدية، وأنهينا فصول الأطروحة بالإشارة إلى التدهور الروماني وانتشار المسيحية خصصناه للصراع الدوناتي الكاثوليكي وبروز المقاومة

الشعبية من خلال تحالف الدوناتية مع الدوارين وهو أهم أشكال مقاومة الرومنة في القرن الرابع الميلادي والذي أدى في النهاية إلى التدهور والتراجع الروماني مما سهل مهمة الوندال في غزو الشمال الإفريقي بعد ذلك.

وقد أنهينا الأطروحة بخاتمة ضمناها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال فصول هذا العمل.

لقد كان البحث في هذا الموضوع شاقا ومتعبا لأنه تطلب منا تناول وتخصيص فترة زمنية طويلة نسبيا في ظل ندرة المصادر التي تطرقت إلى موضوع الأطروحة بشقيه التاريخي والأثري وهو ما ندرجه ضمن صعوبات البحث.

وفي الختام أود أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور شباحي مسعود على رحابة صدره، وتحمله معي عناء هذا البحث، بعد وفاة أستاذي الدكتور غانم محمد الصغير رحمه الله الذي كان المؤطر الأصلي لهذا العمل فلروحه الطاهرة مني كل العرفان والتقدير، كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة والزملاء الذين ساعدوني بشكل أو بآخر، ثم لا يفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى عمال مراكز البحث التي زرتها واستفدت من مادتها العملية داخل الوطن وخارجه.

والله الموفق.

باتنة يوم 29 رمضان 1439

الموافق 15 جوان 2018.

مدخل: مظاهر السيادة ومقتضيات التبعية 208-148 ق.م

1- أوضاع نوميديا قبل وأثناء معركة زاما 202 ق.م

أ- الملك سيفاكس يوحد النوميديتين 205 ق.م

ب- ماسنيسان يتحالف مع الرومان و يستعيد العرش النوميدي

2- نوميديا تحت حكم ماسنيسان 202 -148 ق.م

مدخل: مظاهر السيادة ومقتضيات تحالف التبعية 208-148ق.م

1. أوضاع نوميديا قبيل وأثناء معركة زاما 202 ق.م:

أ. الملك سيفاكس يوحد النوميديتين سنة 205 ق.م:

لقد حارب فرسان الملك سيفاكس (Syphax) إلى جانب القرطاجيين في حربهم ضد الرومان في أوروبا، خاصة في إسبانيا، وتذكر المصادر أن المازيسوليين كانوا يشكلون غالبية الجيش القرطاجي في شبه جزيرة إيبيريا وبلاد المغرب القديم بما في ذلك قرطاجة نفسها، وذلك ما أشار إليه المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (polybius) وذلك حوالي سنة 213 ق.م. وهو ما برر على ما يبدو الصداقة المتينة التي كانت تربط بين الملك سيفاكس والقائد القرطاجي صدر بعل جيسكون (Hasdrubaal Jiscon) [1].

تلك العلاقة المتسمة بالصداقة التي وصفت بالمتينة لم تدم طويلا حيث شابها تصدع كبير على إثر انحياز قرطاجة إلى ملك الماسيل (نوميديا الشرقية) غايا (Gaia) في صراعه مع الملك سيفاكس وقد أبرز المؤرخ الروماني تينوس ليفيوس (Titius-Livius) ذلك الصراع الذي نشب بين سيفاكس وغايا وذكر أنه لم يدم طويلا وأن القرطاجيين قد أصروا على إعادة ترتيب علاقاتهم مع الملك سيفاكس [2].

ويبدو من خلال إصرار القرطاجيين على الاحتفاظ بعلاقات متينة مع الملك سيفاكس أن مملكة هذا الأخير كانت تمثل بعدا استراتيجيا بالنسبة لقرطاجة، حيث تتيح لها تلك الصداقة مع بلاد المازيسيل بالابقاء على التواصل مع جيوشها في شبه جزيرة إيبيريا وضمان تزويدها بالمؤونة والمزيد من الجند عن طريق هذه العلاقة مع هذه الدولة الحليفة

(1) -Denis Roussel, éd. Gallimard, . Polybius, Histoire, Romaine, Trad bibliothèque depleide, paris, 1970, LIV. III, 33-15.

(2) -Tite-live, Histoire Romaime, Trad. Eugène lassère, paris, 1981, XXIV, 48-49

وبذلك يكون القرطاجيون قد أدركوا حجم العواقب الوخيمة التي ستنجر عن الاستمرار في معادات الملك سيفاكس، لذلك نجد أنهم أنهوا ذلك الصراع بسرعة فعدلوا عن دعمهم لنوميديا الشرقية، أي تخلوا عن الملك غايا وراهنوا على الملك سيفاكس، فعادت العلاقات القرطاجية مع نوميديا الغربية إلى سالف عهدها، بل تدعمت وتوطدت بشكل أكثر صلابة لاسيما بعد زواج الملك سيفاكس بالأميرة القرطاجية سوفونونيسبة (Sophonisba) بنت صدر- بعل جسيكون[1].

نشير هنا إلى التغيير الذي طرأ على سياسة التحالفات في تلك الفترة الحاسمة من التاريخ النوميدي، حيث بعد تحول سيفاكس إلى حليف قوي للقرطاجيين بعد أن حاول الميل نحو الرومان على إثر تحول قرطاجه إلى دعم غريمه غايا، وعلى إثر عدول قرطاجه عن موقفها منه أدرك ماسينيسان خطورة ذلك على تتويجه ملكا على نوميديا الشرقية بعد وفاة والده غايا سنة 208 ق.م. ولا نستبعد أن يكون ذلك التحول والانقلاب

(1)- تعتبر الأميرة القرطاجية سوفونيسبة ابنة القائد القرطاجي صدر-بعل جيسكون من أشهر نساء قرطاجة بل المغرب القديم على الإطلاق، وقد شاركت زوجها الملك النوميدي سيفاكس، في تسييره لمملكته في أحلك اللحظات فأعانته في إدارة شؤون المملكة خصوصا في فترات الحرب، وقد أسال زواجها في سيفاكس الكثير من الحبر لاسيما لدى المؤرخون الأجانب وقد جعلوا من تلك الزيجة أحد الأسباب الرئيسية للصراع بين سيفاكس وماسنيسان رغبة منهم (المؤرخون الأجانب) في إفراغ الشخصيتين من محتواهما التاريخي (الوطني). ولقد وصف المؤرخ الروماني تيتيوس ليفيوس الأميرة سوفونيسبة بسحر الجمال، وقوة الشخصية ونباهة العقل، تلك الصفات التي جعلتها تفضل الموت منتحرة بتناولها السم على أن تساق أسيرة إلى روما، وذلك عندما ألقي عليها ماسنيسان القبض بعد هزيمة زوجها على إثر معركة سيرتا سنة 203 ق.م وقد صور لنا تيتيوس ليفيوس ذلك المشهد التراجيدي: حيث توسلت إلى ماسنيسان الذي كان يطمح إلى الزواج منها ولكن سيبيون الإفريقي منعه من ذلك بحجة أنه لا يحق له أن يتزوج من عدوة الشعب الروماني فتوسلت إلى ماسنيسان أن يحضر لها السم. وبعد أن قام بذلك فضلت الانتحار بتناول السم على أن تلقى مصير زوجها في روما....حول الموضوع أنظر:

-Tite-Live, XXX , 13-18 ; Evelyne (P.) Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, V ^{e} siècle avant J-C.1er siècle apres J-C.), Smogy éditions d'art, paris, 2003,pp.155-157.

في سياسة التحالفات بالمنطقة المشار إليهما كانا ناتجين عن تلك الزيجة التي تمت بين سيفاكس وسفونونيسبة[1].

وعليه يمكن اعتبار ذلك الزواج زواجا سياسيا بالدرجة الأولى ولم تكن له أي مبررات عاطفية.

ترتبت انعكاسات خطيرة على المملكة النوميدية من جراء أحداث نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وعلى رأسها الصراع الروماني-القرطاجي، ذلك الصراع الذي كان الملك سيفاكس على ما يبدو يدرك أبعاده الخطيرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط وعلى مملكته على وجه التحديد.

من جهة أخرى كان على الملك النوميدي سيفاكس المتصف بالحكمة والرأي السديد أن يلم بعناصر ذلك الصراع ومن ثمة يستطيع اتخاذ قراره المناسب، وفقا للمعطيات العسكرية والسياسية التي طغت على الحوض الغربي للبحر المتوسط عموما ومملكته تحديدا. وقد تيقن من أن نشوب الحرب في الشمال الإفريقي سيكون مدمرا لمستقبل المنطقة بأكملها وليس مملكته فقط [2].

خاصة خاصة وأن الجيش الروماني في إسبانيا كان تحت قيادة أحد أبرز القادة العسكريين الرومان والذي أدرك الملك سيفاكس دهائه السياسي وحنكته العسكرية وهو القائد سيبيون بوليبيوس إيميليانوس (Scipion.P.Emilianus).[3].

---

(1)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميدي منذ اعتلاء ماسينيسان العرش إلى وفاة يوبا الأول، 203-46 ق.م, دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بلات، ص.34.

(2)- غانم محمد الصغير، علاقة نوميديا بالرومان،(مجلة التراث)،ع2، مطبعة الشهاب، باتنة، 1987، ص.16.

(3) - Mommsen(w.) et Autres, Encyclopédie Universelle, Tom.5,éd.Marabout,Université, Verviers, Belgique,1962,PP.73-74.

وعلى ذلك الأساس لم يدخر الملك النوميدي جهدا لتفادي الحرب في شمال إفريقيا، لذلك نجده يحاول التوسط بين الرومان والقرطاجيين, من خلال إشرافه المباشر على عقد مؤتمر سيڤا (Siga)[1] الدولي سنة 206 ق.م، ولم يضيع فرصة مجيء القائد الروماني سيبيون إلى مدينة سيڤا بطلب منه على ما يبدو، فجمع في لقاء خاص يبنه وبين القائد القرطاجي صدر-بعل جسيكون الذي قدم إلى مدينة سيڤا في الفترة ذاتها[2].

إن انعقاد هذا المؤتمر في هذا التوقيت والمكان بالذات يطرح الكثير من التساؤلات والإستفهامات. وفي هذا الصدد يتساءل الأستاذ: محمد الصغير غانم، مستفسرا عن وجود صدر-بعل جسيكون بمدينة سيڤا في نفس الفترة التي وصل فيها القائد الروماني سيبيون إيمليانوس؟ هل كان ذلك محض صدفة؟ أم أن الملك سيفاكس رتب تفاصيل ذلك اللقاء؟[3]

إذا تتبعنا مساعي الملك سيفاكس من أجل إنهاء الصراع الروماني-القرطاجي بالطرق الديبلوماسية السلمية وتجنيب منطقة شمال إفريقيا حربا تكون كارثية على جميع

---

(1)- مدينة سيقا تذكرها المصادر الكلاسيكية بأنها عاصمة المازيسيل (مملكة نوميديا الغربية)، تقع على الضفة اليسرى لوادي التافنة، تبعد حوالي 4 كم من مصب الوادي، وبذلك تحتل موقعا استراتيجيا هاما، كونها تشرف على خليج جزيرة رشقون التي أنشأ بها الفينيقيون محطة تجارية خلال القرن السابع قبل الميلاد، من جهة أخرى يرى بعد المؤرخين أن مدينة سيقا اكتسبت مكانتها وشهرتها كعاصمة لمازيسوليا بداية من القرن الرابع قبل الميلاد، ثم برزت على مسرح الحياة السياسية المحلية والإقليمية بفضل شخصية الملك سيفاكس الذي حاول أن يجعل منها عاصمة تضاهي في عظمتها مدينة قرطاجة، كما سمحت أعمال الحفر والتنقيب التي أجراها الباحث الفرنسي ب. غريمال سنة 1936 وغيره ممن جلبت المدينة اهتمامهم، في اكتشاف العديد من اللقى الأثرية التي تعود إلى فترات متعاقبة: الليبية، الفينيقية والرومانية، تمثلت في عدة أواني فخارية وأعمدة وقنوات سقي وخزان مياه، كما عثر في نفس المكان على قطع نقدية تعود إلى فترة حكم الملك سيفاكس وابنه فيرمينا (Vermina)... لمزيد في المعلومات حول الموضوع أنظر:

-Grimal (P.), Les Fouilles de Siga, M.E.F R.,Paris,1937,pp.108-141 ;Gamps(G.), Aux origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, in libyca,Tom.VIII, 1960,pp.169-170.

(2)- Tite-Live, XXVIII, 18,9.

(3)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1988، ص.62.

الأطراف لاسيما مملكته، نستطيع القول أن ذلك يعزى إلى ترتيب مسبق وإعداد مدروس من قبل العاهل النوميدي.

ولعل ذلك ما يفسر إصراره أي الملك سيفاكس على مجيء القائد سيبيون شخصيا من شبه جزيرة إيبريا بعدما أرسل له هذا الأخير قائده لايليوس (Laelius) للتفاوض معه حول سبل تحسين علاقات الصداقة مع الرومان والتحالف معهم ضد القرطاجيين، وفي هذا الصدد يصف الباحث الفرنسي في التاريخ والأنتروبولوجيا ج.كامبس (G.Camps) ذلك اللقاء الذي جمع القادة الثلاث في مدينة سيڤا بأنه لقاء قمة، برز خلاله العاهل النوميدي سيفاكس كوسيط حقيقي للسلام[1].

رغم الجهود التي بذلها الملك سيفاكس في مؤتمر سيڤا الدولي من أجل تفادي الحرب في شمال إفريقيا إلا أنه لم يستطع التوفيق بين الطرفين المتصارعين الرومان والقرطاجيين بسبب تضارب المصالح وتفاوت القوة العسكرية بينهما، ما يمكن أن نقول عنه فشل لمؤتمر سيڤا الدولي المنعقد سنة 206 ق.م، وبعدها كان على العاهل النوميدي أن يتخذ القرار الذي كان يراه مناسبا .فاختار إذن التحالف مع القرطاجيين والتزم بالقتال إلى جانبهم طبقا لاتفاقية أبرمت بين الطرفين بعد فشل المؤتمر السالف الذكر سنة 2006 ق.م وقد أبلغ بذلك قائد الجيش الروماني سيبيون إيمليانوس شخصيا[2].

بعد ذلك قام الملك سيفاكس باجتياح المملكة النوميدية الشرقية وتمكن من ضمها إلى مملكته، فوحد بذلك المملكتين النوميديتين الشرقية والغربية سنة 205ق.م بعدما كان الأمير ماسنيسان قد استولى على العرش النوميدي الشرقي على إثر انتصاره على الأمير لاكومازيس (Lacomasis). ولم يكن سيفاكس يولي أي اهتمام بما كان يحدث.

---

(1)- جبرائيل كامبس، من ضفاف البحر الأبيض المتوسط إلى أطراف الصحراء، البربر- تعريب عبد الرزاق الحليوي، ط. 1، أليف: منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، بدون تاريخ، ص.20.

(2)- De la Malle(D.) et yanoski(M.J.),Carthage(Afrique ancienne),Tom.2, éd.Fermin Didot Freres, Paris, MDCCCXLII, p.92.

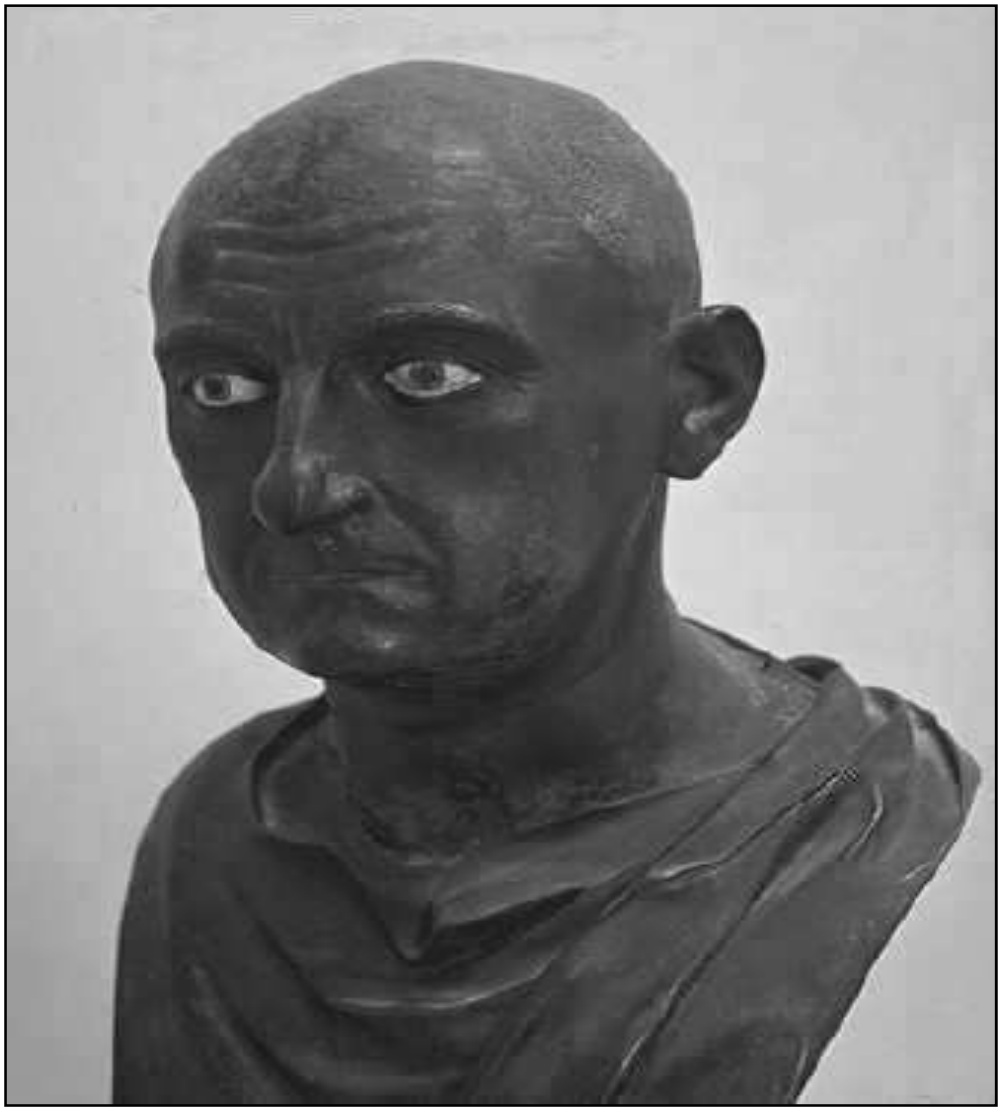

شكل رقم (01): تمثال نصفي للقائد الروماني سيبيون إيميليانوس

عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، روما وإفريقيا، مكتبة، دار القصبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، 2007، ص.220.

في الجزء الشرقي من المملكة النوميدية، لكن على ما يبدو وبإيعاز من القائد القرطاجي صدر-بعل جسيكون تبين له خطر تولي ماسنيسان عرش نوميديا الشرقية، ليس على قرطاجة فحسب، ولكن على ما يبدو كان خطره يهدد أيضا مملكة سيفاكس (نوميديا الغربية)، وبعد ذلك الاجتياح فر ماسنيسان رفقة مجموعة من أتباعه إلى خارج العاصمة سيرتا وأصبحوا يمارسون حرب العصابات ضد القرطاجيين وسيفاكس[1].

وعلى الرغم من المدة القصيرة التي تولى فيها سيفاكس الزعامة على نوميديا بشطريها الشرقي والغربي حيث لم تتجاوز 03 سنوات أي من 205 ق.م، إلى 203 ق.م إلا أنه استطاع أن يضع اللبنة الأولى لقيام الدولة النوميدية الموحدة[2].أنظر خريطة رقم01 صفحة رقم 24.

استطاع الملك سيفاكس بعد توحيده للنوميديتين الشرقية والغربية أن يجد الأسلوب الأمثل للتعامل مع السكان النوميديين وذلك بانتهاجه في تسيير الحكم بمملكته نظام اللامركزية في تنظيم إدارة مملكته الموحدة، حيث كانت له عاصمتان: سيڤا في الغرب على نهر التاقنة، وسيرتا في شرق المملكة، وعلى الأرجح أنه عين لهما مسيرين محليين، يستندون في حكمهم إلى مجالس شبه قبلية ورجال الدين، زيادة على جباة الضرائب وضباط الجيش[3].

(1) Gsell (S.), H.A.A.N.,T.III, p.193.

(2) غانم محمد الصغير، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص.138.

(3) Tite-Live, XXVIII, 17 ; Gsell(S.),H.A.A.N.T. III.p.186.

خريطة رقم01: نوميديا الموحدة على يد الملك سيفاكس سنة 205 ق.م

جهيدة مهنتل مقروس، حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية و الرومانية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص.65.

وفي غالب الأحيان، كان الملك سيفاكس يسير العاصمتين سيفا وسيرتا معا، حيث كان يستقبل فيهما السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين والملوك الذين يتعامل معهم، إضافة إلى التقاءه فيهما مع زعماء القبائل النوميدية التي كانت تشكل النسيج الاجتماعي لمملكته، ناهيك عن حكام المقاطعات التابعة لسلطته، وتزويدهم بالتوجيهات والتعليمات الضرورية المتعلقة بتسيير شؤون المملكه[1].

ونتيجة لتلك السياسة التي انتهجها الملك النوميدي سيفاكس والتي يمكن وصفها أنها في غالب الأحيان طوال الثلاث سنوات التي قضايا على رأس المملكة الموحدة كانت قد اتسمت بالرصانة و(الوسطية) المرنة، والتعقل، زيادة على كون الملك يتسم بحصافة الرأي ورجاحة العقل. و نتيجة لتلك السياسة المشار إليها، ازدهرت المملكة النوميدية الموحدة، سياسيا واقتصاديا وزادت تماسكا اجتماعيا بفضل السياسة الحكيمة للملك سيفاكس، كما نسجل أنها ازدادت رقعتها الجغرافية في ظل التحالف مع القرطاجيين وفقا لاتفاقية أبرمت بين الطرفين كما أسلفنا الذكر[2].

ب- الملك ماسنيسان يتحالف مع الرومان ويستعيد العرش النوميدي:

كان زواج الملك سيفاكس من الأميرة القرطاجية سوفونيسا قد قطع كل الطرق أمام ماسنيسان للاعتماد على القرطاجيين لاستعادة عرش مملكة والده، كما زاد في اتساع الهوة بنيه وبين الملك سيفاكس، وكان القرطاجيون قد أدركوا حجم العداوة بين سيفاكس وماسنيسان وعليه فقد أوكلوا للأول مهمة القضاء على الثاني، ذلك ما حاول الملك سيفاكس القيام به تنفيذا لمعاهدة التحالف المبرمة بينه وبين قرطاجه والتي أشرنا إليها

(1)- السليماني أحمد حسين، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، ط2، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص.90.
(2)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص.138.

سابقا، وعليه فقد كلف سيفاكس أحد قـــادة جيشـــه وهـــو بوكـــار (Bocchar) بملاحقـــة ماسنيسان من أجل القضاء عليه أو الإمساك به[1].

لم يستطع القائد النوميدي بوكار القضاء على ماسنيسان الذي تمكن من الفرار، إلا أن الملك سيفاكس رفقة ابنه فيرمينا (Vermina) تمكنا من اللحاق به والاشتباك مع جنوده في ضواحي العاصمة سيرتا على ما يبدو، وتمكنا من القضاء على عدد كبير من جنـــوده، مما اضطره إلى الفرار ثانية، هذه المرة إلى أقصى شرق المملكة النوميدية وبالذات إلـــى منطقة السرت حيث بقي يتربص هناك إلى غاية نزول القائد الروماني : ك.لا يليـــــوس (C.Laelieus) بالقرب من مدينة هيبون، فاتصل به منبها إياه من أجل الإسراع في إعداد الحملة على إفريقيا وعلى ضرورة استغلال المرحلة لأنه على ما يبدو كان الملك سيفاكس منشغلا بمحاوله إخماد بعض التمردات داخل المملكة[2].

يبدو أن القائد لايليوس طلب من ماسنيسان انتظار قدوم سيبيون، حيث نجد أنه بعد نزول هذا الأخير بإفريقيا عسكر قرب مدينة أوتيكا (Otika) قدم إليه ماسنيسان على رأس

---

(1)- لقد حاول بوكار وهو أحد القادة الشجعان في جيش سيفاكس، أن يأتي بماسنيسان حيا أو ميتا، تنفيذا للمهمـــة التـــي أوكلها إياه الملك سيفاكس ووعده بمكافئة مغرية بعد أن زوده بجيش قوامه أربعة آلاف جندي مشاة وألفي فارس، ولقـــد فاجأ بوكار خصمه ماسنيسان في أعالي جبل بالبوس (Balbus) وهو جبـــل الرصـــاص حاليـــا والواقـــع بـــين نابـــل (Neapolis) ورادس (Rades) بتونس وشتت أفراد جيشه فأوقع معظمهم، بين قتيل وجريح، مما اضطر ماسنيســـان إلى التسلل رفقة خمسين فارسا من جنده عبر الشعاب الضيقة إلى أن تواروا عن أنظار بوكار، لكن هذا الأخير استطاع أن يقتفي آثاره ثم فاجأه مرة أخرى في منطقة كليبية (Clybea) في الساحل الشرقي التونسي، وألحق به هزيمة نكراء، أصيب من خلالها ماسنيسان بجروح بليغة فر على إثرها من المعركة، بمعية أربعة من فرسانه، وكان بوكار قد اعتقـــد أنه قد هلك، فأخبر الملك سيفاكس، غير أنه يبدو أن ماسنيسان اختفى حتى التأمت جراحه ثم عاد إلى محاربـــة عـــدوه اللدود...لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر:

-Lacroix (L.), Histoire de la Numidie, depuis les temps plus anciens jusqu'à l'arrivée des Vandales en Afrique, éd, Firmin Didot frères, Paris, MDCCCXLII, pp.17-18.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N.,T.III, p.206.

فرقة من فرسانه وكان أشار إلى ذلك المؤرخ الروماني تيتيوس ليفوس واصفا ذلك اليوم بأسعد أيام الرومان منذ نزولهم بإفريقيا[1].

بنزول سيبيون وجيشه بإفريقيا وانضمام ماسنيسان إليه، بدأت طبول الحرب تقرع وبدأ الاستعداد من كلا الطرفين لمعركة حاسمة، فماسنيسان كان حليفا للرومان ويأمل في أن يمكنه ذلك من استعادة العرش المفقود بينما سيفاكس يستعد لدخول أول معركة إلى جانب القرطاجيين وقد نقل لنا تيتيوس ليفيوس نصا لرسالة كان الملك سيفاكس قد بعث بها إلى سيبيون إيمليانوس عشية حملته على إفريقيا وكان واضحا في موقفه من الحرب جاء فيها: "....**مادمتم قد أعلنتم الحرب ضد القرطاجيين فإنه يتوجب علي في هذه الحالة أن أدافع على الأرض الإفريقية التي ولدت فيها كالقرطاجيين، كما يفرض ذلك علي الدفاع عن وطن زوجتي كما أنني سأحارب في سبيل أبي وآلهتي...**"[2].

لم تمض إلا مدة قصيرة حتى خاض الطرفان معركة السهول الكبرى في ربيع سنة 203 ق.م والتي كان النصر حليفا لسيبيون إيمليلنوس وماسنسيان ضد القائد القرطاجي، صدر-بعل جسيكون وحليفه الملك النوميدي سيفاكس. وقد أشار بوليبيوس إلى حيثيات معركة السهول الكبرى حيث أورد أن القائد الروماني سيبيون أبحر باتجاه الأراضي القرطاجية خلال صيف 204 ق.م، فنزل بجيشه في منطقة محصنة طبيعيا (رأس سيدي المكي)، إلا أن ذلك لم يكن بعيدا عن أنظار القرطاجيين الذين أغلقوا أبواب مدينتهم ونشروا الجيش على أسوارها، في حين عمل القائد صدر-بعل على إنشاء جيش من القرطاجيين والنوميديين المتحالفين معه لمواجهة الخطر الروماني، وأقام معسكرا على نحو أربعين كيلو متر

(1) -Tite-Live,XXIX,29,4.
(2) -Tite-Live,XXIX,10,23.

(40 كلم) من قرطاجة (على إحدى ضفاف وادي مجردة)، منتظرا وصول حليفه العاهل النوميدي سيفاكس بجيشه[1]. بعد بضعة أيام تحرك القائد الروماني بجيشه على ضواحي أوتيكا (Utique) وعسكر هناك، فأرسل صدر-بعل ابنه حنون (Hannon) على رأس فرقة من الفرسان، لجس النبض على ما يبدو، ومعرفة مدى استعداد الرومان للمواجهة، وكان هؤلاء الأخيرين قد استفادوا من التحاق ماسنيسان مع فرسانه بهم[2].

أوكل سيبيون إلى ماسنيسان مهمة مناورة وإبعاد فرسان حنون عن معسكرهم وذلك لكي يصبحوا فريسة في مخالب الرومان، بجرهم إلى معركة جانبية خاسرة، وذلك ما حدث فعلا، فخلال مناوشات بسيطة فقد القرطاجيون أزيد من ألفي فارس منهم مائتين من أشراف قرطاجة بمن فيهم حنون ابن صدر-بعل نفسه[3].

غير أنه رغم هزيمة القرطاجيين في تلك المناوشات، إلا أن موقعهم على أرض المعركة سمح لهم بمحاصرة جيش سيبيون بعدم تقدم الملك سيفاكس على رأس جيش قوامه عشر آلاف فارس وخمسين ألف جندي من المشاة[4].

اضطر بعدها سيبيون إلى فك الحصار الذي ضربه على مدينة أوتيكا طوال فصلي الخريف والشتاء (204-203 ق.م)، وقد اتصل القائد الروماني سيبيون خلال تلك الفترة بالعاهل النوميدي سيفاكس عارضا العدول عن دعم القرطاجيين، إلا أن سيفاكس أظهر حكمته وسداد رأيه وإدراكه لعواقب الحرب على المنطقة، لا لكونه حليفا للقرطاجيين، بل لأنه رجل سلام يسعى لتفادي الحرب، ذلك ما يفهم من اقتراحه أثناء التفاوض مع سيبيون إنهاء العداء بين قرطاجة وروما، وذلك بعودة حنبعل من إيطاليا على أن يغادر سيبيون الأراضي الإفريقية[5]،

(1) -Polybius, LIV.IXI-1.6-8.
(2) -Gsell (S.), H.A.A.N.,T.III,PP.206-208.
(3) -Polybius, LIV.IXI-1.6.
(4) -Tite-Live, xx, 1,10.
(5) -Lancel (S.), Hannibal, éd.Cérès, Tunis, 1995, pp.298-305.

ولقي مقترح العاهل النوميدي تأييدا لدى القرطاجيين، نظرا لتراجع انتصارات حنبعل في إيطاليا، وشعورهم بقوة الجيش الروماني، بينما رفضه الرومان بشدة، كون سيبيون كان واثقا من نصره على القرطاجيين[1].

كانت هزيمة السهول الكبرى جد قاسية على الملك سيفاكس، حيث أرغمته على العودة إلى عاصمته سيرتا، فما كان على ماسنسيان إلا أن يستغل تلك الفرصة التي ستحقق له ما كان يصبوا إليه منذ زمن بعيد. حيث أجبر الملك سيفاكس على دخول معركة سيرتا يوم 23 جوان سنة 203 ق.م حسب ما أشار إليه أوفيدوس[2].

معركة سيرتا التي جرت في التاريخ المشار إليه أعلاه والذي أورده بعض المؤرخين المحدثين استنادا إلى ما ذكره المؤرخ اللاتيني أو فيدوس كانت حاسمة ليس فقط في حياة كلا الرجلين سيفاكس وماسنسيان ولكنه في التاريخ النوميدي بأسره حيث لن يتمكن ماسنسيان من الانتصار على غريمة فحسب بل تمكن أيضا من إلقاء القبض عليه رغم أن تفاصيل المعركة لم تتوفر لدينا, ولكن الأمر انتهى بإلقاء ماسنيسان القبض على غريمه وتسليمه مكبلا إلى القائد سيبيون إيميليانوس[3].

وخلافا لما أورده المؤرخون الفرنسيون بخصوص مصير سيفاكس بعد تسليمه من قبل ماسنسيان إلى سيبون, فإن المؤرخون الإنجليز يشيرون إلى أن الرومان اعترفوا

---

(1)- كان سيبيون أثناء المفاوضات مع سيفاكس قد جمع كل المعلومات المتعلقة بخصميه (سيفاكس وصدر-بعل)، واستغلها في التسلل بنفسه إلى معسكرهما في إحدى ليالي ربيع سنة 203 ق.م وأضرم النار فيه، مما أفقدهما الكثير من جنودهما، إذ بلغت حسب بعض المصادر 40 ألف قتيل، وقد استغل الرومان الآثار السلبية لتلك الصدمة على القرطاجيين وأرغموهم على دخول معركة حاسمة و خاسرة في منتصف أفريل سنة 203 ق.م.... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Polybius,LIV,XIV,1.6-8;Tite-Live,XX,1,10

(2)- حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص.21.

(3)-Piganiol (A.),La Conquête Romaine,Paris,1942,p.579.

للملك سفاكس بشرعية ملكه على نوميديا وسلطته المطلقة وأن الرومان قد نقلوه إلى سجن في مدينة ألبا فوسنس (Alba Fucens) وتذكر المصدر أن السجن كان عبارة عن قلعة قديمة في المدينة المشار إليها، كما تشير ذات المصادر إلى الدور الذي لعبه ماسنسيان لصالح الرومان في تمكنهم من الملك النوميدي سيفاكس[1].

ويضيف الباحث الإنجليزي دافيد براوند (David Braund) أن الملك النوميدي لم يتعرض إلى أي إهانة في روما بعد نقله إلى هناك ولم يتم عرضه في مسيرة النصر (La Marche Triomphale) التي اعتاد الرومان على استعراض أعدائهم المهزومين فيها. وعلى هذا الأساس اعتبر ذات المؤرخ أن الرومان من خلال ذلك أقروا بأحقية الملك سيفاكس وشرعية دفاعه عن أرضه ومملكته. واعترافا به وتقديرا لعمله وفضائل شخصيته المخلصة لبلاده، نظمت له روما جنازة شعبية من أموال الشعب الروماني، وذلك بعد نقله من مدينة ألبا فوسنس إلى مدينة تيبور (Tibur) وهي مدينة تيفولي (Tivoli) الإيطالية حاليا[2].

ويشير الباحث إيدوارد بورتون (Edward Burton) في موضع آخر أن ذلك التكريم الرسمي الذي حضي به الملك سيفاكس حيا وميتا, قد أزعج القائد الروماني سيبيون الإفريقي الذي كان يأمل أن يهان سيفاكس ويشار في روما من خلال تلك الإهانة

(1) - Burton (E.) A description of the Antiquites and other curiositiés of Rome Observation, Durino a visit to italy in years 1818-19, vol.II,2er édition, Printed from personal for,C.J. Rivington, london,1828,p.73.

(2) -Braund (D.C.), Rome and the Fiendy King, The character of Client Ringship, Reviuals Routeldge,Groom Helm,1984,p.168.

المتوقعة إلى أفضال سيبيون وأعماله لصالح بلاده ولكن ذلك ما لم يحدث ممـــا أدى إلـــى وفاة سيبيون حقدا وغلا بعد أيام قليلة من تشييع سيفاكس بتلك الطريقة الشرفية[1].

كذلك كان مصير سيفاكس ونهايته المشرفة، أما بالنسبة لماسنسيان، فيشير تيتيوس ليفيوس إلى أن سيبيون الإفريقي قد توجه ملكا على نوميديا خلفا لسيفاكس وأنه أهداه نيابة من إمبراطور روما بعد مدحه على ما قدمه لروما وشعبها، عصا من عاج وتاجـــا ملكيـــا وكأسا ذهبية وألبسه عباءة رومانية، وقال له سيبيون أثناء تتويجه: " **لم يسبق لرومـــا أن أهدت ملكا أجنبيا مثل ما أهديناك وهذا اعترافا منا لك يا ماسنيسان بجدارتك، وأنك أهلا لهذه الهدايا**" [2].

إذن كما أسلفنا استعاد ماسنيسان العرش النوميدي لصالحه وسوف ينـــتهج سياســـة مغايرة لسياسة سالفه بالنظر إلى الكيفية التي استعاد بها العرش وسنرى ذلك فيما ســـيأتي من هذا البحث، أما سيبيون فقد واصل تعقبه لجيوش صدر-بعل جسيكون فبلغ مشـــارف مدينة قرطاجه بعد استيلائه على بعض المدن المحاذية للمدينة، مما أدى بسكان قرطاجـــه

---

(1)- تكريما للملك النوميدي سيفاكس أقام الرومان جنازة شعبية له بعد نقل جثمانه من سجنه في ألبافونس إلـــى مدينـــة تيبور (Tivoli) أين دفن هناك وقد نقشت على قبره عبارات الاعتراف والتقدير التي حظي بها الملك النوميدي كخصـــم محترم مدافع عن بلده وفيا لقيم الكفاح المحترم وهي كما يلي:

SYPHAX. NVMIDIAE. REX
A. SCIPIONE. AFRICANO. IVRIS. BELLI. CAVSA
ROMAM. IN. TRIVMPHVM. SVVM. ORNANDVM
CAPTIVVS. PERDVCTVS
IN. TIBVRTINORVM. TERRIS. RELEGATVS^{e}
SVAMQVE. SERVITVTEM. IN. ANIMO. REVOLVENS
SVPREMAM. DIEM. CLAVSIT
AETATIS. ANNO. XLVIII. MENSE. VI. DIE. XI
CAPTIVITATIS. VI. OBRVTVS
P. C. SCIPIONE. CONDITORE. SEPVLCRI

أنظر:

- Burton (E.), op.cit., pp.312-313.

(2)- Tite-Live,XXXI,XI.

إلى التخوف من اقتحامها فاستوجب ذلك عقد مجلس الأشفاط وهو أعلى هيئة سياسية في إدارة شؤون المدينة[1] الذي أنقسم أعضاءه إلى ثلاثة أقسام حسب ما أورده بوليبيوس[2].

أ- قسم متشدد، حاول جر القرطاجيين إلى مواصلة الحرب بانتهاج أسلوب الهجمات المباغتة على معسكرات ووحدات الجيش الروماني عن طريق البحر انطلاقا من مدينة أوتيكا.

ب- قسم يبدو أنه كان مسالما حاول إقناع البقية بضرورة إنهاء الحرب بطريقة سلمية أي التفاوض مع القائد الروماني سيبيون إيمليانوس.

ج- قسم ربما كان من العسكريين، أدرك خطورة المرحلة إذ دعا إلى ضرورة عودة القائد حنبعل من إيطاليا وضرورة الإسراع في تحصين المدينة والاستعداد للحصار الذي يعتزم الرومان فرضه عليها.

وبعد نقاش حاد بين أعضاء مجلس الأشفاط لاسيما الأطراف الثلاث أقر المجلس المقترح الثالث والقاضي بدعوة حنبعل إلى العودة إلى قرطاجة[3].

---

(1)- الأشفاط جمع شفط ويقصد به في النظام السياسي القرطاجي القاضي وكان للمدينة القرطاجية مجلس للأشفاط أو القضاة مهمته دراسة قضايا السلم والحرب التي تتعلق بالدولة القرطاجية ويعتبر بمثابة مجلس الشيوخ لدى الرومان... حول الموضوع أنظر:

-Lancel (S.), Op.cit., pp.302-303.

(2) -Polybius,XIX,9.

(3)- هزيمة الجيش القرطاجي في معركة السهول الكبرى سنة 203 قبل الميلاد اربكت القرطاجيين وخلقت حالة من الذعر، استوجبت إعادة النظر في سياستهم المنتهجة تجاه الخطر الروماني المحدق، بعد اتضاح النوايا التوسعية للرومان، ذلك أن تحالف الملك النوميدي سيفاكس مع القرطاجيين لم يأت بالنتائج المتوخاة، مما يفسر على ما يبدو إصرار أغلبية أعضاء مجلس الأشفاط على عودة حنبعل من إيطاليا واعتباره الأمل الوحيد لتحقيق النصر وإنقاذ قرطاجة من الخطر الروماني....لمزيد من المعلومات أنظر:

-Tite-Live,XXX,7,6-7;De La Malle(D.) et Yanoski (M.J), Carthage … , p.93.

إذن بعد هزيمة السهول الكبرى كان الموقف القرطاجي ضعيفا، فاضطرب إلى طلب الهدنة بالتفاوض مع سيبيون حول إنهاء الحرب، فتم التوصل إلى اتفاق حول هدنة لم تدم طويلا، وبعد أن عبث القرطاجيون بعض القطع من الأسطول الروماني التي جرفتها المياه بفعل الرياح إلى الساحل القرطاجي، إضافة إلى عودة حنبعل في نهاية سنة 203ق.م، حيث نزل بساحل مدينة لمطة (Leptis Minors) وتقض الهدنة التي كانت بين الطرفين فأخذ كل طرف يستعد للحرب مرة أخرى[1].

وحسب ما أورده بعض المؤرخين القدامى وعلى رأسهم أبيانوس (Appianus) فإن حنبعل قد ذهب إلى مدينة حادرومات (سوسة) لاستمالة القبائل النوميدية القاطنة بالمنطقة ثم اقتناء الخيول التي يحتاجها فرسانه قبل أن يتجه إلى مدينة زاما (Zama)[2].

تحرك حنبعل بجيشه إلى مدينة زاما جعل القائد سيبيون يشعر بضرورة الاستعانة بخليفة النوميدي ماسنسيان، فبمجرد طلب المساعدة حتى لبى هذا الأمر النداء، لأنه كان على أهبة الاستعداد، فسار نحو زاما، أما سيبيون فقد انتقل إلى مدينة نارا قارا (Nara Gara) التي لا تبعد عن معسكر حنبعل بزاما إلا بنحو 04 أميال[3].

حاول حنبعل التفاوض مع سيبيون قبل المواجهة المسلحة و إنهاء الحرب بينهما، لكنه يبدو أن سيبيون كان يدرك أن قوة قرطاجه قد انهارت فأراد أن ينتصر في المعركة

(1) -Gsell(S.),H.A.A.N.,T.III,P.170.

(2)- أشار المؤرخ أبيانوس (Appianus) إلى ظروف ما قبل معركة زاما حيث استعرض انتقال حنبعل إلى مدينة حادرومات (Hadrumete) سوسة حاليا لاقتناء المؤونة الضرورية لخوض الحرب والحصول على الأحصنة النوميدية لفرسانه، ثم السعي لدى بعض القبائل النوميدية القاطنة بالمنطقة من أجل إقناعها بانضمامها إليه وتجنيد أبناءها ضمن جيوشه، ثم يتجه بعد ذلك إلى مدينة زاما... حول الموضوع أنظر:

-Appien, Histoire Romanie, éd, P.Viereck, dans Bib,Teulner,1906,VIII,5,1.

(3) -Tite-Live,XXX,29,9-10.

عسكريا وليس بالتفاوض, حتى ينال شرف النصر على القائد الذي أذل الرومان بانتصاراته المتكررة في الحروب القرطاجية-الرومانية السابقة، لذلك لم يرض بالتفاوض حول إنهاء الخلاف وتوقيف الحرب.

وبفشل تلك المحاولة القرطاجية لتفادي المواجهة ولو مؤقتا لربح الوقت لم يبق إلا خيار الحرب، فبتاريخ 19 أكتوبر سنة 202 ق.م خاض الجيشان معركة زاما التي انتهت بهزيمة حنبعل نظرا لضعف خبرة جنوده المجندين حديثا وقلة فرسانه مقارنة بجيش سيبيون لاسيما وأنه مدعم من قبل حليفه ماسنيسان بفرسانه النوميديين[1].

وتجدر الإشارة إلى أهمية معركة زاما وخطورتها ليس فقط على حنبعل باعتباره المنهزم، ولكن على كل الشمال الإفريقي بشكل عام، لأن هزيمة القرطاجيين في هذه المعركة، مهدت الطريق لتدمير قرطاجه من قبل العسكرية الرومانية، ووضع الرومان أيديهم على أملاكها.

لقد كان لهزيمة القرطاجيين في معركة زاما بتاريخ 19 أكتوبر 202 ق.م، أمام الرومان نتائج وخيمة على الدولة القرطاجية واستمراريتها، وما زاد تلك النتائج قساوة وتعقيدا إجبار قرطاجة باعتبارها المنهزمة على توقيع معاهدة زاما 201 ق.م والتي احتوت بنودها على شروط قاسية، كبلت القرطاجيين، أمام الرومان لمدة طويلة وقد عمل هؤلاء الأخيرين على إذلال قرطاجة من خلال فرض بنود قاسية عليها في معاهدة توقيف الحرب على إثر انتصارهم في معركة زاما وقد احتوت تلك المعاهدة على البنود التالية:

1- يعتبر القرطاجيون أحرارا في الأرض التي كانت بحوزتهم قبل الحرب.

(1) -Polybius,XV,14 ;Soumagne (Ch.),La manœuvre de Zama (cahier de Tunisie), T.10, 962, PP.375-390.

2- أن تعيد قرطاجه الجنود الرومان الذين لجؤوا إليها مع إعادتها لكل العبيد والأسرى الذين بحوزتها.

3- تنازل قرطاجه عن قطع أسطولها البحري ولا تحتفظ إلا بعشر سفن وألا يجند المرتزقة في جيشها.

4- أن تسلم قرطاجه كل فيلتها وتروض أعداد أخرى من الفيلة للرومان.

5- تعيد قرطاجة لماسنيسان ممتلكاته.

6- لا يمكن لقرطاجه الدخول في حرب بإفريقيا أو خارجها إلا بعد إذن من مجلس الشيوخ الروماني.

7- أن تلتزم قرطاجه بتقديم الأغراض والمؤونة التي يحتاجها الجيش الروماني.

8- أن تدفع قرطاجه غرامة مالية قدرها عشرة آلاف وزنه فضية في مدة خمسين سنة، منها ألف وزنه قبل توقيف الحرب .

9- أن تسمح قرطاجه للقائد سيبيون الإيميلي باختيار مائة من شباب قرطاجه لتحتفظ بهم روما كرهائن إلى غاية تسليم آخر وزنه فضية من الغرامة المفروضة عليها[1].

إن هذه المعاهدة وما احتوته من بنود، فتحت المجال واسعا أمام الأمير النوميدي الشاب ماسنيسان لممارسة استفزازاته على الدولة الجريحة، أملا في إيجاد الذريعة والفرصة المواتية، لإعلان الحرب من جديد عليها باعتبار أنها تلاشت قوتها, بينما دولته ناشئة ورثها موحدة عن ملكها السابق سيفاكس الذي انتهى به الأمر في روما[2].

(1) -Polybius, XV, 18;Tite-Live, XXX,37,1-6.

(2)- معروف أن الملك سيفاكس استطاع أن يوحد المملكة النوميدية بشرطيها الشرقي والغربي ويتولى الزعامة عليها من سنة 205 إلى 202 ق.م، وبالرغم من قصر المدة التي قضاها على رأس المملكة النوميدية الموحدة (3سنوات) إلا=

بعد معركة زاما عاد سيبيون إلى روما واستقبل بحفاوة كبيرة كما أسلفنا الذكر تخليدا لانتصاراته في إفريقيا على العدو التقليدي لروما ألا وهو حنبعل.

الرومان من جهتهم لم تكتفوا بذلك الانتصار بل كانوا يسعون إلى إيجاد ذريعة للانقضاض على قرطاجه، فوجدوا ضالتهم في الملك النوميدي الشاب الطموح الحاقد على قرطاجة ماسنيسان واعتبروه الأداة المناسبة لذلك، أو اليد الطولي التي يمكن استخدامها لذات الغرض[1].

2- نوميديا تحت حكم ماسنيسان 202 ق.م-148 ق.م:

بعد انتهاء معركة زاما الحاسمة سنة 202 ق.م, فرض على قرطاجه حصارا شاملا من خلال المعاهدة التي تلت المعركة وانهت الحرب البونية الثانية وكبلت قرطاجة فرسمت خارطة سياسية جديدة ببلاد المغرب القديم، سيبيون الإيملي من جهته حق له أن بنتشي بلقبه الإفريقي الذي وسمته به روما عقب انتصاراته بإفريقيا[2].

=أنه استطاع أن يضع اللبنة الأولى في قيام الدولة النوميدية الموحدة ومن ثمة فكل الفضل في توحيد هذا الجزء من الشمال الإفريقي يعود إلى هذا الملك...لمزيد من المعلومات أنظر:

-Gsell(S.), H.A.A.N.,T.III,p.193.

[1]- استغل ماسنيسان ضعف قرطاجة ودعم الرومان له لانتزاع بعض من الأراضي القرطاجية المتاخمة لمملكته خاصة وأن معاهدة زاما لم تبين بشكل واضح الحدود بين مملكته وممتلكات الدولة القرطاجية، في حين تسمح للملك النوميدي أن يطالب متى يشاء بما يراه كان ملكا لأسلافه، وأن قرطاجة أخذته منهم، لكن ذلك كان حسب س. غزال (S.Gsell) تكتيكا من روما لاستخدام ماسنيسان كذراع لها بإفريقيا من أجل التمهيد لتدمير قرطاجة بالضغط عليها وإنهاك قوتها العسكرية والاقتصادية بحرب استنزاف مع النوميدين... أنظر:

-Gsell(S.), H.A.A.N,T.III, p.312.

[2]- بكري حسن صبحي، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، ط1، دار عام الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ص.298.

من جهته ماسنيسان دخل عاصمة مملكته سيرتا بصفته ملكا، وشرع في توطيد سلطته، السياسية والإدارية فأخذ يوسع المملكة شرقا على حساب أملاك الدولة القرطاجيه التي بدأت عمليا في الأفول، وغربا على حساب أراضي المملكة المازيسولية التي يبدو أنها انفصلت عن الجزء الشرقي بانتهاء سيفاكس وإلقاء القبض على سوفونيسبه (زوجته).

إلا أنه تجهل الفترة التي استطاع ماسنيسان أن يبسط نفوذه ويحكم سيطرته على المملكتين معا ويستولي على معظم الشمال الإفريقي، نظرا لعدم الدقة فيما أورده المؤرخون القدامى، فبوليبوس، الذي عاش في نفس الفترة التي تولى فيها ماسنيسان الحكم ذكر أن هذا الأخير استولى على مملكة سيفاكس في الفترة الموافقة لسنتي 203-202 ق.م[1].

في حين يشير تيتيوس ليفيوس إلى أن ماسنيسان في هذه الفترة لم يبسط نفوذه إلا على المناطق الغنية من مملكة سيفاكس فقط[2].

استنادا إلى ما أورده كل من بوليبيوس وليفيوس يحاول ج كامبس (G.Camps) أن يثبت أن سلطة الملك ماسنيسان لم تتعد العاصمة سيرتا والمناطق المجاورة، وأن عدم قدرة فيرمينا (Vermina) ابن الملك سيفاكس على مجابهة ماسنيسان وضعفه جعله يتقهقر، نحو الجنوب، ذلك على ما يبدو حسب المؤرخ المشار إليه مما مكن ماسنيسان من السيطرة على مملكة المازيسيل فيما بعد, إلا أنه لم يحدد السنة التي تمكن خلالها من ذلك أو الفترة على الأقل[3].

(1) -Polybius,XV,5,13.
(2) -Tite-Live,XXXVII,53 ,22.
(3) -Camps(G),op.cit., p.130.

أما فيما يتعلق بما أوده المؤرخ بوليبيوس فيرجعه بعض المؤرخين المحدثين إلى الصداقة المتينة التي كانت تربطه بالقائد الروماني سيبيون الإفريقي، وإعجابه الشديد بالملك ماسنيسان[1].

كما أن المؤرخ تيتيوس ليفيوس، يذكر أن الأمير فيرمينا ابن سيفاكس كان لا يزال سنة 202 ق.م يحكم سيطرته على مملكته أي مملكة المازسيل وأنه حاول نجده القائد القرطاجي حنبعل في معركة زاما السالفة الذكر[2].

ولكن يبدو أنه سرعان ما تمكنه ماسنيسان من التخلص من الأمير فيرمينا، ولعل هذا الأخير حاول أنه يكسب ود الرومان من خلال سعيه إلى إبرام هدنة أو معاهدة تحالف معهم بعد أن فشل في نجدة القرطاجيين، ولكنه لم يتمكن أيضا من إقناع الرومان في ذلك نظرا للشروط القاسية التي يكون الطرف الروماني بقيادة سيبيون قد أملاها عليه, لذلك يكون قد رفض ذلك على ما يذكر الأستاذ:عانم محمد الصغير[3].

نذكر أن المصادر التاريخية لم تحدد بدقة السنة التي أحكم فيها العاهل النوميدي ماسينيسان سيطرته على كامل نوميديا بشطريها الشرقي والغربي، إلا أنه كما أسلفنا الذكر استطاع توحيد نوميديا لثاني مرة، أي بعد المحاولة الأولى التي تمت في عهد الملك سيفاكس بعد مدة وجيزة من معركة زاما سنة 202 ق.م.

(1) -De la malle (D.) et Yanoski (M.J.), op.cit., P.100.

(2)- خلافا لما أورده بوليبيوس بشأن استيلاء ماسنيسان على مملكة المازيسيل على إثر هزيمة سيفاكس في زاما، يشير تيتيوس ليفيوس إلى أن الأمير فيرمينا ظل يقاتل الرومان بعد معركة زاما سنة 202 ق.م، ويذكر ذات المؤرخ أن فيرمينا حكم المازيسيل فترة زمنية و أرسل خلالها سفراء إلى الرومان سنة 200 ق.م، لعرض ولائه لهم، وأنه استقبل سفراء الرومان في مملكته... حول الموضوع أنظر:

-Tite-Live,XXX,36,7-8 ; XXXI,19,5-6.

(3)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص.86.

يبدو أن الملك ماسينيسان كان قد حاول استثمار محتوى معاهدة زاما قدر الإمكان لانتزاع بعضا من الأراضي القرطاجية، مستغلا ضعف الدولة القرطاجية ووقوف الرومان إلى جانبه، خاصة وأن ذات المعاهدة لم تبين بشكل واضح الحدود بين مملكة ماسينيسان وممتلكات الدولة القرطاجية، في حين تسمح للملك النوميدي أن يطالب متى شاء بما يراه كان ملكا لأسلافه أخذته قرطاجة منهم،حتى وإن كان ضمن التراب القرطاجي[1].

يبدو أن الرومان تركوا ثغرة في تلك المعاهدة يمكن لماسينيسان استغلالها ليتوسع نحو الشرق مخترقا أراضي الدولة القرطاجية، ولا تملك قرطاجة أية قوة تمكنها من أي رد فعل سواء لإعاقة توسعات ماسينيسان أو معارضة تجاهل الرومان لذلك[2]، أي تطبيقهم سياسة الكيل بمكيالين في تعاملهم مع منطقة شمال إفريقيا، منتظرين الوقت المناسب لاستغلال تلك السياسة لتحقيق أهدافهم التوسعية.

من جهته لم يكن ماسنيسان بدهائه ومهارته ليهمل استغلال تلك الوضعية، فكانت ذاكرته على حد تعبير جوليان[3] تكشف له حقوقا قد جهلها والده جايا من قبله.

وهكذا، فقد استغل ماسنيسان فرار أحد المتمردين عن سلطته سنة 193 ق.م، وهو أفتير (Aphter) الذي كان قد لجأ إلى طرابلس, لملاحقته عبر التراب الخاضع للسيادة القرطاجية، دون أن تسمح له قرطاجة بذلك[4].

---

(1) -Gsell (S.), H.A.A.N.,T.III, p. 312.

(2) -Camps (G.), Massinissa…, p. 192.

(3) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 140.

(4) -Polybius, XXX, 21.

وقد مكنته تلك الحملة التي شنها سنة 193 ق.م تحت غطاء ملاحقة أفتير من أن يجتاح إقليم أمبوريا (Emporia) ويبسط نفوذه على المناطق الممتدة بين لبدة الصغرى (Liptis Minors) وطرابلس وأرغم بعض مدنها على دفع ضرائب باهضه مما أزعج القرطاجيين وسبب لهم إهانة كبيرة[1].

لقد تمكن ماسنيسان من خلال حملته سنة 193 ق.م أن يبسط نفوذه على جزء من إقليم أمبوريا[2]. الذي يعتبر من أغنى الأراضي القرطاجية وأكثرها خصوبة، وقد كان لماسينيسان من وراء ذلك عدة أهداف حسب بعض المؤرخين منها: استعادته لممتلكات كانت بحوزة الماسيل والاستفادة من تلك الأراضي المستصلحة، والتي كانت تضم ثروات زراعية وبشرية معتبرة[3].

إضافة إلى انه كان يهدف حسب ج.كامبس إلى حمل قرطاجة إلى رد الفعل وبذلك تكون قد أخلت بأحد بنود معاهدة زاما، واختبار موقف مجلس الشيوخ الروماني (Senat)[4] الذي فضل عدم التدخل في القضية عندما اشتكت قرطاجة إلى روما[5].

وبعد نحو عشر سنوات من التاريخ الذي أشرنا إليه سابقا، يقدم ماسينيسان على محاولة توسع أخرى على حساب أراضي الدولة القرطاجية.

ففي سنة 182 ق.م حاول استرجاع بعض الأراضي التي كان والده جايا قد افتكها من القرطاجيين، فأعادها لهم سيفاكس أثناء توحيده للنوميديتين. ويعتقد ج.كامبس أن

(1) - Saumagne (Ch.), Les préstextes juridiques de la troisième guerre punique, Rev. Hist, T. CLXVII, 1931, p. 238.
(2) - Polybius, XXXI, 21; Mommsen (Th.), op.cit., TIII, p. 265.
(3) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, pp. 315- 316.
(4) - Camps (G.), op.cit., p.193 .
(5) - De la malle (D.) et Yanoski (M.J.), op. cit., p. 100.

تكون تلك أراضي ضمن الحفر الفينيقية (Les fosses phéniciennes)[1].

وبعد تلك الحادثة، اشتكت قرطاجة إلى مجلس الشيوخ الروماني، فأرسل إليها وفدا (لجنة لتقصي الحقائق)، إلا أنه لم يكترث للأمر ولم يجبر ماسنيسان على التراجع عن سياسته العدائية تجاه قرطاجة[2].

ورغم اعتقاد ج.كامبس أن تلك الأراضي التي استولى عليها ماسنيسان تقع داخل الحفر الفينيقية، كما أسلفنا ذكره إلا أنه لا يستبعد أن يكون الأمر متعلقا بأراضي ساحلية كانت فتحت شهية ماسنيسان[3] ،خاصة وأنه سيشرع في بناء قوة بحرية بداية من سنة 180 ق.م سيكون لها دورها في التجارة بالبحر المتوسط خاصة مع بلاد الإغريق[4].

لم يكتف ماسينيسان بما سبق ذكره بل واصل استغلاله للأوضاع التي كانت تعيشها قرطاجة ليصب جام حقده وكراهيته لها، غير مكترث بالأضرار التي يسببها لها، بل يلقي دائما باللوم عليها، بدعوى عدم التزامها ببنود معاهدة زاما لسنة 201 ق.م. لذلك نجده يكشف سر محادثات كانت قد تمت بين الملك المقدوني برسي (Persée) وقرطاجة استعدادا للحرب المقدونية الثالثة[5]، بل زاد على ذلك بالاستيلاء على سبعين مدينة

(1) - Camps(G.), op.cit., p. 193.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, p.318.

(3) -Camps (G.), op.cit., p. 193.

(4)- منصوري خديجة، ماسنيسان ودول المدن الإغريقية من خلال البقايا المادية التي وجدت بالخروب وضواحيها (حوليات المتحف الوطني للآثار)، ع 11، 2002، ص ص. 98-109.

(5)_ شكلت المحادثات التي أجراها برسي (Persée) ملك مقدونيا فيما بين (179-168ق.م) مع قادة قرطاجة قبيل الحرب المقدونية الثالثة التي انتهت بهزيمة الملك المقدوني برسيه في مدينة بيدنة (Pydna) في سبتمبر سنة 168 ق.م. نشاطا سياسيا مكثفا، اندرج ضمن المساعي الدبلوماسية القرطاجية الرامية إلى تأجيج الصراع الروماني- الإغريقي. وقد نجح حنبعل في ذلك، بعد أن عرض على الملك المقدوني فيليب الخامس تقديم قرطاجة يد العون لمقدونيا في حربها ضد روما، فقبل هذا الأخير التحالف مع القرطاجيين، واستمر ذلك التحالف القرطاجي- المقدوني ضد الرومان أثناء حكم الملك برسيه، آخر ملوك مقدونيا، وهو ابن غير شرعي للملك فيليب الخامس... أنظر:
- بيار غريمال وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العام (جزآن)، ج1، أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر، ترجمة أنطوان أ. الهاشم، منشورات عويدات، ط1، بيروت- باريس، 1995، ص ص. 180-181.

وحصن وذلك في ما بين سنتي 174-172ق.م[1].

ومن ثمة، يكون ماسنيسان قد استولى على جزء كبير من شمال غربي تونس الحالية باعتبار أن تلك المدن والحصون تقع في هذه المنطقة[2].

يلاحظ أن عدد المدن التي استولى عليها ماسنيسان في هذه الفترة والمشار إليها مبالغ فيه، غير أنه يجب إبراز الحادثة وردود الأفعال سواء من قرطاجة المغلوبة على أمرها أو من روما التي توجه تلك الأحداث، إلى أن يحين الوقت الذي تراه مناسبا للانتقام من قرطاجة.

حيث يبدو أن الفترة اللاحقة لمعركة زاما هي مرحلة إنهاك الدولة القرطاجية، باستغلال الأحقاد التي يكنها ماسنيسان للقرطاجيين. لذلك نجد أنه رغم احتجاج قرطاجة الشديد على تصرفات ماسنيسان فمجلس الشيوخ الروماني كان قد اكتفى مضطرا بمجاملة

قرطاجة اتقاء لأي تقارب مقدوني- قرطاجي، خاصة بعد تحذير غولوسان (Gulussan) ابن ماسينيسان لمجلس الشيوخ من خطر القرطاجيين[3].

لم تكف قرطاجة عن مطالبة مجلس الشيوخ الروماني بوضع حد لتصرفات ماسينيسان أو السماح لها بالدفاع عن نفسها ضد اعتداءاته المتكررة وغير المبررة[4].

(1) _Saumagne (Ch.), Les prétextes juridiques…, pp. 252-253.

(2)- إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996، ص ص. 134-135.

(3) -TITE-LIVE, XLIII, 3.

(4) -Gsell (S.), H.A.A.N., T. III, p. 324

ولا يستبعد الأستاذ حارش م.هـ.[1] أن يكون ماسنيسان قد استغل الدعم الذي قدمه للرومان أثناء حربهم الثالثة ضد مقدونيا (171-168 ق.م) لإقناعهم بغض الطرف عن شكاوي قرطاجة ضده، لأنه سيقدم سنة 162 ق.م على إكمال سيطرته على إقليم أمبوريا.

تمكن ماسنيسان خلال السنوات القليلة الموالية من بسط نفوذه على مناطق: الخمير والأسواق ولبدة الكبرى (Leptis Magna) التي كانت من أكبر المراكز التجارية القرطاجية[2]، كما استولى أيضا خلال سنة 153 ق م على السهول الكبرى (Campi magni) التي لطالما أغرت الملك النوميدي بخيراتها الوافرة، مما أثار مخاوف الرومان من طموحات ماسينيسان. لذلك نجدهم يرسلون بلجنة لتقصي الحقائق بعد شكوى قرطاجة[3].

ورغم تباطؤ تلك اللجنة التي كان على رأسها كاتو (Cato)[*]، إلا أنها أخذت الموضوع محمل الجد خوفا من تكرار مأساة حنبعل لكن هذه المرة بإفريقيا[1].

---

(1)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي... ،ص ص. 27- 28.

(2)- Lacroix (M.L.), op.cit., pp. 22-23.

(3)- De la Malle (D.) et Yanoski (M.J.), op. cit., p. 102.

(*)- ماركوس بوركيوس كاتو (Marcus Porcius Cato) ولد سنة 234 ق.م بمدينة توسكولوم (Tusculum) التي تبعد عن العاصمة روما بحوالي عشرة أميال، ينتمي كاتو إلى طبقة العامة، شغل عدة وظائف إدارية وسياسية وعسكرية، منها منصب القنصل سنة 195 ق.م، ومنصب الكونسور (Censorius) سنة 174 ق.م.

انضم كاتو إلى الجيش وهو لا يتجاوز 17 سنة فأصيب بجراح متفاوتة الخطورة في عدة معارك منها: المعارك التي خاضها أثناء تصدي الجيش الروماني لهجمات حنبعل على المدن الإيطالية، وكان يعتبر الآثار الكثيرة التي خلفتها الجراح المتكررة في المعارك على جسمه، أوسمة شرف، يفتخر بها أمام أعدائه، ويقدمها دليلا على حبه لوطنه ودفاعا عنه. ولقد حارب كاتو من رآهم فاسدين في مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان. فأطلق عليه اسم كاتو الرقيب (Cato Censorius) كما عرف كخطيب مقنع وكاتب مبدع، ألقى حوالي 150 خطبة لم يبق منها إلا فقرات قليلة. ورأى في الهيليـنية (Hillinisme) عامل هدم وانحطاط، يجب إبعاد تأثيراته عن المجتمع الروماني، فكان بذلك من أشد أعداء الفكر اليوناني، رغم اهتمامه بدراسة اللغة الإغريقية في أواخر سنين حياته. حاول كاتو=

لقد عاد كاتو إلى روما وقدم تقريره أمام مجلس الشيوخ وضمنه أفكاره التوسعية الاستعمارية كما أنهاه بكلمة بقيت على مر السنين خالدة وتشهد على الغطرسة والهيمنة الرومانية وهي "يجب أن تهدم قرطاجة" (delenda est cartago)[2].

لم يكتف ماسينيسان بالعمل العسكري في علاقته مع قرطاجة بل تعداه إلى العمل السياسي فسلك مختلف الطرق والمراحل لإذلال القرطاجيين والفتك بهم. فقد استطاع أن يكون مناصرين له في قرطاجة[3].

=إصلاح أوضاع المجتمع الروماني المتدهورة في عصره، بالدعوة إلى محاربة حياة الترف والبذخ في روما وكبح جماح الانتهازيين من ملاك الأراضي والتجار في الولايات الخاضعة لسلطة روما... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Plutarque, Les vies des hommes illustrés, T.2, trad. Jacques Amyot, éd. Gallimard, Paris, 1985;Vie de Caton, I, II.

(1)- زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج1، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 1994 ، ص ص. 179-180.

(2) - لاحظ كاتو عند وصوله إلى إفريقيا على رأس لجنة تقصي الحقائق حول الصراع الدائر بين قرطاجة والملك النوميدي جاهزية الجيش القرطاجي المشكل حديثا وتدريبه على أسلحة جديدة، كما أن الملك النوميدي يكون قد أبلغه بكل ما لديه من معلومات حول استعدادات القرطاجيين، وبذلك عاد كاتو إلى روما محملا بالحقد و الوعيد وهو يفكر في الانتقام، ذلك أنه عند تلاوته للتقرير الذي أعده حول الأحداث التي جرت بين قرطاجة وماسينيسان أبرز فيه أن معاهدة السلم التي أبرمت مع قرطاجة لم تكن إلا مطية لتعليق الحرب مع روما، ريثما تتوفر الظروف الملائمة لخوض غمار الحرب مرة أخرى. في أثناء ذلك نفض كاتو عباءته بما يلفت الأنظار، فتناثرت حبات التين الليبي الكبيرة الحجم، الجميلة الشكل، والطيبة المذاق، فنالت إعجاب بل دهشة أعضاء مجلس الشيوخ الروماني من جودتها. فوجد كاتو الفرصة الملائمة لتمرير مكيدته ضد قرطاجة حيث قال أمام المجلس: " إن الأرض التي أنتجت هذه الثمار، لا تبعد عن روما إلا بثلاثة أيام من الإبحار". ثم صرخ بأعلى صوته "يجب أن تهدم قرطاجة". " Delenda est Cartago ". ورغم معارضة بعض أعضاء مجلس الشيوخ وعلى رأسهم بوبليوس سيبيون نسيكا (Publius Scipion Nasica) لفكرة تدمير قرطاجة، إلا أنه في نهاية الأمر تمكن كاتو من إقناع أغلبية الأعضاء بضرورة شن حرب مدمرة على قرطاجة، رغم أن الموت أدركه ولم ير حلمه يتحقق في ربيع 146 ق.م. حول الموضوع أنظر:

-Plutarque, op.cit., Vie de Caton, XLI

(3) -Lancel (S.), Carthage…, p. 552.

كما عمل على بث العيون وتدعيم التنظيمات المعارضة لها داخل المدنية في حد ذاتها، لكنه يلاحظ أنه فيما بين سنتي 151-150 ق.م وذلك عندما وصل الديمقراطيون إلى السلطة في قرطاجة كانوا قد عملوا على طرد أنصار ماسينيسان مما دفع هذا الأخير إلى التدخل بإرسال ابنيه مسيبسا (Micipsa) وغولوسان (Gulussan) إلى قرطاجة بهدف التوسط لأنصار والدهما. لكن قرطاجة لم تسمح لهما بدخول المدينة[1] بل أكثر من ذلك فقد تعرضا لهجوم من قبل هملكار (Hamilcar) قتل أثناءه بعض جنودهما مما جعل ماسينيسان رغم تقدمه في السن يقدم على حصار مدينة أوروسكوبة (Oroscopa)[2].

فاندلعت الحرب من جديد بين الطرفين وقد تمكن قائد الجيش القرطاجي صدر-بعل أن يهزم جيش ماسينيسان في المناوشات الأولى للمعركة. تلك المناوشات التي أغرت القائد القرطاجي باللحاق بماسينيسان الذي كان يحاول جلب خصمه إلى مكان منبسط اختاره ميدانا للمعركة الحاسمة التي استمرت طوال النهار وجزء من الليل، وتكبد فيها الطرفان خسائر فادحة، إلا أن النصر النهائي كان إلى جانب ماسينيسان[3].

لقد كان سيبيون الإميلي يراقب عن قرب تلك المعركة المشار إليها آنفا، وبنهايتها لصالح الملك النوميدي اضطر القرطاجيون إلى طلب وساطة القائد الروماني لإنهاء الحرب،إلا أن شروط الملك النوميدي كانت قاسية،مما ترتب عنه رفض القرطاجيين في

(1) -Camps (G.), Massinissa…, p. 194.

(2)- يجهل موقع هذه المدية رغم تخمينات ج. كامبس المستندة إلى الأصل الإغريقي لكلمة Oroscopa التي تعني منطقة جبلية، ومن ثمة يحددها ما بين السهول الكبرى وإقليم توسكا، أي في جبال الخمير. أنظر:

- Camps (G), Massinissa…, p. 194.

(3)- يشير س. جزيل إلى ضخامة الخسائر التي مني بها كل من صدر- بعل وماسينسا ويرجع ذلك إلى العدد الكبير الذي حشده كل طرف، فجيش صدر- بعل تجاوز ثمانية وخمسين ألف جندي، يماثله في ذلك عدد جند ماسينيسان الذي أحسن التخطيط بتسيير المعركة وفقا للخطة التي رسمها لها... لمزيد من المعلومات حول هذه المعركة أنظر:

_ Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, pp. 324-325.

البداية، لكن تموقع جيش ماسينيسان على أماكن إستراتيجية منعت وصول المؤونة إلى الجيش القرطاجي مما جعل صدر-بعل يرضخ لشروط ماسينيسان المذلة لقرطاجة، والمتمثلة فيما يلي:

1. السماح للمطرودين من قرطاجة بالعودة إليها.

2. تدفع قرطاجة غرامة قدرها (5000) وزنة فضية بالتقسيط على مدى 50 سنة.

3. مرور الجنود القرطاجيين من موقع واحد تباعا أمام النوميديين، بحيث لا يلبس الواحد منهم أكثر من جلباب قصير[1].

رغم تلك الشروط القاسية، إلا أن غولوسان لم ينس ما فعله القرطاجيون به ففتك بمعظمهم، ولم يفلت من قبضته إلا عدد قليل، استطاع أن يدخل مع صدر-بعل مدينة قرطاجة[2].

نُذَكِّر أن السياسة الرومانية اتجاه ما كان يحدث حينذاك في الشمال الإفريقي شبيهة بما يعرف حاليا بـ(سياسة الكيل بمكيالين التي تمارسها هيئة الأمم المتحدة في الصراع العربي الإسرائيلي).

فقد غض الرومان الطرف عن تجاوزات ماسنيسان لإضعاف قرطاجة فزادت طموحات الملك النوميدي التي يغذيها حقده الكبير على قرطاجة. فأصبح يأمل أن يضم أراضي قرطاجة إلى مملكته ويجد في الرومان سندا له في ذلك، جراء وفائه المتواصل لهم[3].

(1) -De la malle (D.), Carthage…, p. 106.
(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.III, p. 326.
(3) -Gaid (M.), Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, Tom.1, éd. Mimouni, Alger, 1990, p. 101.

لكن ما كانت روما ذات المصالح والمطامع في إفريقيا أن تسمح بنمو قوة قد تهـدد تلك المصالح. فقرر مجلس الشيوخ بناء على تقرير كاتو إزالة قرطاجة والوقـوف فـي وجه طموحات الملك النوميدي متذرعة بخرق بنود المعاهدة التي تحظر عليهـا شـن أي حرب دون موافقة الرومان، فكان بذلك طموح ماسنيسان وحقده وراء تـدمير قرطاجـة وإزالتها نهائيا[1].

من خلال ما سبق، يمكن اعتبار حوادث 150 ق.م بمثابة الذريعة التـي اتخـذتها روما لإزالة قرطاجة وإعاقة ظهور قوة جديدة في الحوض الغربي للمتوسـط قـد تهـدد سياستها الرامية إلى بسط نفوذها في المنطقة، خاصة وأن الأنتلجنسيا التي تسيطر علـى مجلس الشيوخ الروماني على حد تعبير الأستاذ غانم محمد الصغير[2] كانت تدرك تمامـا مرامي الملك النوميدي الذي وصفه مؤرخو عصره بالعظمة، والشهرة، والقـوة، جسـدا وعقلا، وأرجعوا فضل الانتقال من حياة البداوة إلى حياة التمدن والاستقرار في نوميـديا إليه، فبوليبيوس الذي عاش في عصره واحتك به شخصيا يقول في هذا الصدد: "قبل حكم ماسينيسان لم تكن نوميديا إلا أرضا بورا قاحلة... وبفضله وحده وبجهوده فقط أصـبحت تلك الأرض منتجة لكل أنواع الثمار ..."[3].

---

[1]- أندري إيمار، جانين أوبواية، تاريخ الحضارات العام (3 مجلدات)، ترجمة : فريد.م.داغر، يوسف أسعد داغـر، منشورات عويدات، ط 2، بيروت – باريس، 1981، المجلد الثاني : روما وإمبراطوريتها، ص. 64.

[2]- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص. 85.

[3]- Polybius, XXX, 16-21.

رغم ذلك تبقى سياسة الملك ماسينيسان خصوصا مع روما لا تعبر عما نسب للرجل من قبل بعض المؤرخين المحدثين (شعار إفريقيا للأفارقة) [1]، ذلك أن ارتمائه في أحضان الرومان مهد الطريق لبسط نفوذهم على إفريقيا.

يبدو أن الملك ماسينيسان وجد نفسه مجبرا على أن يختار شرا كان قائما حينذاك وهو قرطاجة وإما أن يختار شرا محتملا وهو روما، بينما كانت ظروف وخلفيات وراثة العرش النوميدي إثر وفاة والده غايا سببا في اختياره للشر الثاني، وهو ما لا ينفي سياسته الإفريقية من خلال استغلاله للاستقرار السياسي الذي عمت به البلاد في القيام بإصلاحات متعددة الجوانب في الدولة النوميدية[2].

باختلاق روما لذريعة التدخل، كانت الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م) التي أزالت قرطاجة من الوجود وفارق خلالها ماسنيسان الحياة بعدما قضى أزيد من نصف قرن في حماية مصالح روما في إفريقيا حيث عمل على تزويد جيوشها بالجند وقدم لها المساعدات الاقتصادية التي كانت بأمس الحاجة إليها وذلك بعد أن ساهم بشكل كبير في إضعاف قرطاجة من خلال الحروب الاستفزازية التي كان يشنها من حين إلى آخر[3]. ولو أنه يكون قد انتبه إلى خطئه الجسيم في فترة متأخرة من عمره وحكمه على ما يذكر الأستاذ محمد لحبيب بشاري اعتمادا على نص المؤرخ الروماني أبيانوس (Appien)

---

(1)- حول هذا الشعار يطرح الأستاذ غانم محمد الصغير تساؤلا في غاية الأهمية: هل كان للثقافة العسكرية التي طغت على شخصية الملك أثر جعله لا يدرك الأبعاد المستقبلية للسياسة الرومانية وخطورتها على إفريقيا، ومملكته تحديدا؟. إن إنصاف الرجل يكمن في عدم اتهامه أو تبرئته، ما دامت الظروف المحيطة بحكمه غير واضحة تماما، ذلك أن معظم المعلومات التي وصلتنا حوله مستقاة من مصادر لاتينية أو إغريقية، والأكيد أن الساسة الرومان كانوا يدركون أهدافه الحقيقية، لذلك عملوا على توجيه سياسته وفقا لمصالحهم. حول الموضوع أنظر: محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص.85.

(2)- Camps (G.), Massinissa…, pp.231- 233

(3)- Dahmani (S.), Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides V^{e} siècle av. J-c – 1er siècle ap. J-c), Smogy éditions d' Art, Paris, 2003, pp. 81-94.

مفادها أن العاهل النوميدي قال للرومان عندما طلبوا مساعدته العسكرية: "سأرسل لكم المساعدة عندما أرى أنكم بحاجة إليها"[1].

واستطاع الملك ماسينيسان خلال نصف قرن من الزمن التي قضاها في حكم النوميديين أن يغير الخريطة السياسية لبلاده وترك بصماته في الأحداث المختلفة التي عرفها النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد[2].

[1]- محمد لحبيب بشاري، روما وزراعة المقاطعات الإفريقية بين 146ق.م-285م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2015، ص.102.

[2] -Dahmani (S.),Op.cit.,p.94.

الباب الأول: علاقة المملكة النوميديه بالجمهوريه الرومانيه من تدمير قرطاجة إلى وفاة قيصر 146–144 ق.م

الفصل الأول: أوضاع نوميديا بعد سقوط قرطاجه (تقسيم المملكه وتزايد النفوذ الروماني)

1- الملك مكوسن وإشكالية وراثة العرش النوميدي بعد وفاة ماسنيسان 148 ق.م

2- تدمير قرطاجه وانعكاساته على الشرق النوميدي

أ- تدمير قرطاجة 146 ق.م

ب- انعكاسات تدمير قرطاجه على الشرق النوميدي

3- الحرب اليوغرطيه والبحث عن السيادة المفقوده

أ- مولد يوغرطه ونشأته

ب- مكوسن يتبنى ابن أخيه

ج- إشكالية وراثة العرش النوميدي الثانية (عودة إلى صراع الإخوة الأعداء)

د- يوغرطه يوحد نوميديا و يعيد لها سيادتها

هـ- يوغرطه يخوض الحرب ضد الرومان (ثمن السيادة)

و- بوكوس وسيلا والتآمر على يوغرطه

الفصل الثاني :أوضاع نوميديا بعد فشل الملك يوغرطه ونهاية الدولة الإقليمية

1- التطورات السياسية في نوميديا بعد هزيمة الملك يوغرطه

2- قيصر والكيان السياسي النوميدي

أ- الحرب الأهلية الرومانية وانعكاساتها على نوميديا

ب- الملك يوبا الأول يتحالف مع بومبيوس (تبعية أم بحث عن سيادة ؟)

1- شخصية يوبا الأول

2- يوبا الأول يخوض الحرب إلى جانب بومبيوس

3- انتصار قيصر ونهاية الكيان السياسي النوميدي

4- الأمير أرابيون ابن ماسينيسان الثاني يجدد المقاومة

5- نوميديا مقاطعة رومانية

أ- النظام الإداري الروماني في نوميديا

ب- النظام العسكري الروماني في نوميديا

الفصل الثالث: التوسع الروماني في أوائل العهد الإمبراطوري وردود الفعل المحلية

1- مقاومة قبائل الجيتول 03- 06 م

2- مقاومة تاكفاريناس 17-24م

أ- إستراتيجية تاكفاريناس

ب- أسباب المقاومة

ج- مراحل المقاومة

1- مرحلة جس النبض

2- مرحلة التوازن (الند للند)

3- مرحلة التراجع ونهاية المقاومة

د- نتائج المقاومة

الفصل الأول: أوضاع نوميديا بعد سقوط قرطاجه (تقسيم المملكه وتزايد النفوذ الروماني)

1- الملك مكوسن وإشكالية وراثة العرش النوميدي بعد وفاة ماسنيسان 148 ق.م

2- تدمير قرطاجه وانعكاساته على الشرق النوميدي

أ- تدمير قرطاجة 146 ق.م

ب- انعكاسات تدمير قرطاجه على الشرق النوميدي

3- الحرب اليوغرطيه والبحث عن السيادة المفقوده

أ- مولد يوغرطه ونشأته

ب- مكوسن يتبنى ابن أخيه

ج- إشكالية وراثة العرش النوميدي الثانية (عودة إلى صراع الإخوة الأعداء)

د- يوغرطه يوحد نوميديا و يعيد لها سيادتها

هـ- يوغرطه يخوض الحرب ضد الرومان (ثمن السيادة)

و- بوكوس وسيلا والتآمر على يوغرطه

الباب الأول: علاقة المملكة النوميديه بالجمهوريه الرومانيه من تدمير قرطاجة إلى وفاة قيصر 146-144 ق.م

الفصل الأول: أوضاع نوميديا بعد سقوط قرطاجه (تقسيم المملكه وتزايد النفوذ الروماني)

1-الملك مكوسن وإشكالية وراثة العرش النوميدي بعد وفاة ماسنيسان 148 ق.م:

بعد وفاة ماسنيسان في حوالي 148 ق.م، خلفه أبناؤه الثلاث مسيبسا (Micipsa) أو مكوسن (م.ك.و.س.ن)، كما ورد اسمه في بعض النقوش البونية وغولوسان (Gulussan) ومصطنبعل (Mastanbal)[1]. وقد استأثر مكوسن بالسلطة الإدارية بينما تولى غولوسان السلطة العسكرية، في حين اضطلع مصتنبعل بالسلطة القضائية، ولا يستبعد الأستاذ محمد الحبيب بشاري أن يكون هذا الأخير قد استأثر إلى جانب القضاء بجباية الضرائب في أقاليم المملكة[2].

وقد قسم الحكم على الأمراء الثلاث بإشراف سيبيون إميليانوس[3] الذي ادعى أنه استند إلى تقاليد قديمة لدى النوميديين في كل من مدن دوقة (Dogga) وألثيبورا (Althiburas) ومكثر (Makthar) التي كانت تسير من قبل ثلاث أشفاط

---

(1) -Berthier(A.) et Charlier(L.R.),Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine,Paris,1955, p. 59, inscrip. 63;

- غانم محمد الصغير، نقيشة دوقة الأثرية "دراسة لغوية وتاريخية"، (مجلة العلوم الإنسانية)، ع 10، جامعة قسنطينة، 1998، ص ص. 101-112.

(2)- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص.104.

(3)- يبدو أن السياسة الرومانية المنتهجة مع نظام الحكم النوميدي بعد وفاة ماسينسا اعتمدت على مبدأ التقسيم للحفاظ على امتيازات الرومان التي أسس وخطط لها سيبيون إميليانوس ونفذها بإتقان الملك ماسينسا، كما أن سيبيون لم يكن واثقا من أن سياسة ماسينيسان تجاه روما ستستمر في حالة ما إذا انفرد أحد أبنائه بالحكم. غير أنه بعد إنفراد مكوسن بالحكم على إثر وفاة أخويه، وسيره على خطى أبيه، بدد مخاوف الرومان ولو إلى حين. أنظر:
-Lacroix (M.L.), op.cit., p. 25; Gaid (M.), op.cit., p. 102.

(Suffètes)[1]، وما لبث أن انفرد مكوسن بالحكم بعد وفاة أخويه غولسان ومصـــطنبعل حوالي سنة 148 ق.م[2]. إذ لم يكن قد عهد له والده بالخاتم الذي يرمـــز إلـــى الســـيادة والقوة. وذلك ما يشير إلى الحكم باعتباره هو أكبر إخوته، طبقا لتقاليد القبائـــل النوميديـــة التي تولي السلطة للأكبر سنا، حسب ما يراه بعض المؤرخين[3].

وبعد انفراد مكوسن بالحكم، ربما يكون قد أدرك النوايا التوسعية الرومانيـــة ضـــد مملكته، لذلك واصل السير على نهج والده في موالاة الرومان، حتى لا يترك لهم ذريعـــة للتدخل في شؤون بلاده، فكان يزودهم بالحيوانات كالفيلة والخيول، إضافة إلى القمـــح [4]. زيادة على الدعم العسكري الذي سارع إلى تقديمه للرومان أثناء حروبهم في إيبيريا فـــي سنوات :143 و142 و141 قبل الميلاد. وقد قادرالأمير يوغرطة سنة 134ق.م الجـــيش النوميدي نفسه مدعما للرومان في إيبيريا، واستمر دعم الملك مكوسن لروما عسكريا فـــي سنوات 126–125ق.م إثر حروبها في سردينيا، ذلك ما جعل الملك النوميـــدي مكوســـن ووالده ماسينيسان يظهران بمظهر وكلاء روما في إفريقيا[5].

ولا يمكن الحديث عن علاقة مكوسن بقرطاجة أثناء توليـــه الحكـــم، لأن الرومـــان شرعوا في حصارها تمهيدا لتدميرها في بداية حكمه. وهذا لا يلغي طابع الحـــــقد علـــى قرطاجة والذي كان والده قد غرسه فيه منذ صباه، كما عرفنا ذلك فيمـــا ســـبق. وعلـــى العموم يمكن القول بأن فترة حكم مكوسن لنوميديا، كانت قد اتسمت بالسلم والتفرغ لبنـــاء الدولة في مختلف أنشطتها الاقتصادية والعمرانية والعسكرية.

---

(1) -Camps (G.), Massinissa…, pp. 253-254.

(2)- غانم محمد الصغير، نقيشة مكوسن الأثرية "دراسة مقارنة"، (مجلة سيرتا)،ع 4، ديسمبر 1980، ص ص.02–14

(3)- فنطر محمد حسين، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ص. 68.

(4) -Saumagne (Ch.), La Numidie et Rome, P. U. F., Paris, 1966, p. 100 .

(5)- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص.104.

وفي هذا الصدد، يشير استرابون (Strabon) إلى الازدهار الذي عرفته التجارة في عهده، خاصة العاصمة سيرتا التي أصبحت مركزا تجاريا ضخما. كما أن اهتمامه بالمجال الاقتصادي لم يمنع من ازدهار الدولة في المجالين العسكري والعمراني، فزيادة على القصور والتحصينات التي بناها في العاصمة سيرتا كانت المدينة تستطيع تجنيد عشرة آلاف فارس و 20 ألف جندي من المشاة. [1]

دام حكم مكوسن مدة 30 سنة (148–118 ق.م) وتميز بالاستقرار وانتشار السلم فاستغل ذلك في البناء الاقتصادي والحضاري[2].

رغم إشراف الرومان المباشر على توزيع تركة ماسنيسان بين أبنائه الثلاث ورغم سياسة التبعية للرومان التي انتهجها مكوسن على غرار والده،وهذا يبرز مدى تحكم الرومان في تسيير شؤون المملكة النوميدية وتخطيط مستقبلها تماشيا مع استراتيجيتهم في المنطقة المغاربية[3].

رغم ذلك، فقد فرض السلم والأمن والعلم فكانت سيرتا عاصمته، كما ذكرنا سابقا مزدهرة، وأشار إلى ذلك الكثير من المؤرخين فتحدثوا عن التطور الفني والفكري والمعماري الذي اتسمت به، وقد أصبحت قبلة للأدباء والفلاسفة الوافدين من بلاد الإغريق وإيطاليا[4].

بعد وفاة مكوسن حوالي سنة 118 ق.م دخلت المملكة النوميدية في مراحل جديدة من الانحطاط الفكري والصراعات المتتالية حول السلطة، وقد حاول بعض ملوكها أن

(1) -Strabon, XVII, 3, 13.

(2) -Gaid (M.), op.cit., p. 102

(3)- فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص. 120.

(4) -Berthier (A.), La Numidie, Rome et le Maghreb, éd. Picard, 1981, p. 159.

يعيدوا لها مكانتها خاصة يوغرطة ويوبا الأول، إلا أنهما فشلا في ذلك مما فتح المجال واسعا للرومان للتدخل المباشر في الشؤون النوميدية[1].

وهكذا نرى، أنه تعددت العوامل التي ساهمت في تدمير قرطاجة، فزيادة على طموحات ماسينيسان التوسعية وتحرشات الرومان، لا سيما بعد استيلائهم على صقلية التي كانت تشكل حاجزا مانعا للتصادم بين القوتين الكبريين في البحر المتوسط[2].

كذلك لا نستبعد عامل السياسة القرطاجية في حد ذاتها، حيث تحولت من تركيز اقتصادها على التجارة إلى إمبراطورية استعمارية توسعية، ويبدو أن لكبار الأثرياء من التجار وأصحاب الضياع دور في ذلك التحول،حيث على الراجح أنهم هم الذين كانوا يقومون بتجهيز الجيش وبناء السفن، وبفضل تلك القوة أصبحت تعامل البلاد الخاضعة لها بدرجات مختلفة القسوة، وذلك بفرض الإتاوات وتجنيد شبابها في الجيش القرطاجي وتقييد تجارتها بأشد القيود[3]، مما يرجح حسب رأينا ألا يخرج كره النوميديين وحقدهم على قرطاجة لاسيما ماسينيسان عن هذا السياق.

1. تدمير قرطاجه و انعكاساته على الشرق النوميدي:

أ-تدمير قرطاجه 146 ق.م:

نذكِّر أنه بدفع قرطاجة لإعلانها الحرب سنة 151 ق.م من قبل الرومان، كانت قد أخلت بشروط المعاهدة التي أنهت الحرب البونية الثانية من وجهة من كان يتربص بها

(1)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص. 97.

(2)- أندري إيمار، جانين أوبواية، المرجع السابق، ص. 64.

(3)- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، المجلد3، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، بلا تاريخ، ص ص. 85- 86.

ويتحين فرصة إيجاد ذريعة لإعلان الحرب. كما انه لا يستبعد أن يكون للجالية الإيطالية ضلع في حبك المؤامرة من خلال عمل الكثير منها عيونا لماسينيسان في المدينة، تعمل على إذكاء الصراع بينه وبين قرطاجة[1].

تبعا لذلك أعلن مجلس الشيوخ الروماني الحرب على قرطاجة، فنزل سيبيون الإميلي (الابن بالتبني) على رأس الجيش الروماني في سواحل أوتيكا (Utique)[2] خلال ربيع سنة 147 ق.م. وبعد مدة قصيرة استطاع أن يصل إلى ضواحي مدينة ميقارا (Megara)[3] في حين تراجع القرطاجيون خلف أسوار مدينتهم وشرعوا في الاستعداد للحرب بعد إعلان مجلس شيوخ قرطاجة الحرب على الرومان[4].

يبدو أن مجلس الشيوخ في قرطاجة كان قد أعلن الحرب مضطرا، بعد أن تأكد أن الرومان عازمون على اقتحام المدينة، وأمام ما يمكن تسميته بالاستنزاف الذي عاشته

(1) _Pareti (L.) , Histoire de l'humanité, Tom .II, (Antiquité), UNESCO, Paris, 1965, p. 320.

(2)_ يشير الأستاذ م. ص. غانم إلى أن أوتيكا قد أسست فوق مرتفع على مقربة من مصب نهر مجردة وتبعد عن البحر بحوالي 10كلم ويفصلها عن قرطاجة حوالي 15 ميلا، وقد كان تأسيسها سنة 1101 ق.م لأغراض اقتصادية تجارية محضة، لربط فينيقيا بالمغرب القديم، وتسهيل التبادل التجاري بينهما، ثم تحولت إلى مستوطنة فينيقية تنتج كميات كبيرة من القمح لتصديرها إلى المدن الفينيقية في شرق المتوسط، ويشير بعض المؤرخين إلى كون أوتيكا كانت مرتبطة بشكل مباشر بالسيطرة القرطاجية، ولم تنفصل عنها إلا بعد الحرب البونية الثالثة، عندما أحست بتراجع قوة قرطاجة، واستسلمت للجيش الروماني بقيادة سيبيون إميليانوس الذي أقام معسكره بها، وبعد تدمير قرطاجة سنة 146ق.م، أصبحت أوتيكا عاصمة إدارية وسياسية لإفريقيا الرومانية... لمزيد من المعلومات أنظر:

_ غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي...، ص ص. 93–96.

(3)_ يعتقد ديرو دولامال أن كلمة ميقارا مشتقة من الكلمة البونية ماقارا (Magara) التي تعني المدينة الجديدة.

تعتبر ميقارا امتدادا لمدينة قرطاجة من جهة الشمال حيث تقع ما بين هضبة بيرسا (Byrsa) جنوبا والمنحدرات السفلية لرأس كامارت (Qamart) المحاذي للبحر شمالا.

ومن ثمة فهي أحد الأحياء المنبثقة عن قرطاجة. إلا أن كثافتها السكانية كانت منخفضة، ذلك أنها كانت منطقة فلاحية تضم حدائق من مختلف أنواع الفواكه. لمزيد من المعلومات أنظر:

_ De la Malle (D.), Carthage…, p. 143; Lancel(S.) , Carthage…, p. 557.

(4)_ ول ديورانت، المرجع السابق، ص. 222.

قرطاجة منذ حرب 151 ق.م، وما ترتب عنه من ضعف في قدرات الجيش عددا وعدة واستعدادا واعتيادا على أساليب القتال، أهاب مجلس الشيوخ بكل الفئات الاجتماعية القرطاجية من النساء والرجال وحتى العبيد، بأن يسهموا في بناء جيش جديد ويصنعوا أسلحة جديدة يدافعون بها عن مدينتهم[1].

في حين تأكد الرومان بأن الانتصار يكمن في الاستمرار بحصار المدينة عبر البر والبحر. فأقاموا معسكرا بجوار المدينة المحاصرة. وأنشأوا جدارا أعلى من أسوار قرطاجة وأقاموا فيه قلعة خشبية عالية، يمكن من خلالها مراقبة ما يحدث داخل قرطاجة المحاصرة[2].

في تلك الأثناء كان القرطاجيون يحاولون النهوض من جديد وتعويض ما فات. وكأنهم يسابقون الزمن، فقد هدموا المباني العامة لاستعمال أخشابها وحديدها، وصهروا تماثيل الآلهة لصناعة السيوف، وضربت نساء قرطاجة أمثالا في التضحية والصبر، حيث أنهن قصصن شعورهن لتصنع منها الحبال وتجدل بها الأقواس[3]، ففي خلال شهرين فقط استطاع القرطاجيون أن يصنعوا 8.000 درع، 18.000 سيف، 70.000 حربة، 60.000 قذيفة منجنيق، و 120 سفينة[4].

وخلال تلك المدة (شهرين) صمد القرطاجيون واستماتوا في الصبر وبذل الجهود المضنية، كما اهتدوا إلى حيلة تمكنوا من خلالها من تمرير السفن التي أنشأوها إلى الميناء المحاذي للمدينة، وهي فتح باب جديد يؤدي إلى الميناء القريب من السور المحاذي

---

(1)- نفسه.

(2)- Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.), op.cit., p. 122.

(3)- زبيب نجيب، المرجع السابق، ص. 183.

(4)- ول ديورانت، المرجع السابق، ص .222.

للبحر دون أن ينتبه الرومان لذلك. وتمكنت تلك السفن من مهاجمة الأسطول الروماني الذي كان يحاصر قرطاجة بحرا[1].

كان عدد سكان قرطاجة حينها لا يزيد قليلا عن 200.000 نسمة بما فيهم العبيد، ومع ذلك قاوموا الحصار والجوع والأمراض طوال مدة الحصار، ولم يفقدوا الأمل لا سيما أنه قبل اقتحام المدينة حاول صدر بعل أن يناوش الجيش الروماني في نيفيريس (Nepheris) بضواحي قرطاجة من خلال جيش قوامه 80.000 جندي[2] تركه صدر بعل تحت قيادة قائد إغريقي وآخر نوميدي يدعى بيثياس (Bithyas) والتحق بقرطاجة للإشراف على عملية التحصين والاستعداد للدفاع عنها، ولكن ذلك الجيش (أمل قرطاجة) لم يستطع الصمود أمام الفرق العسكرية الرومانية بقيادة لايليوس (C.Laelius) خلال اثنين وعشرين(22) يوما من الحصار [3].

لقد اختار القرطاجيون الموت على أنقاض مدينتهم ولم يقبل صدر–بعل بعرض أحد أبناء ماسينيسان[4] والمتضمن ضمان حياته وتسليم المدينة بمن فيها من السكان مقابل وقف الحرب على ما يفهم من جوليان[5].

وبذلك أمر سيبيون باقتحام المدينة فاندفع الجنود الرومان على ثلاث اتجاهات رئيسية مؤدية كلها إلى بيرسة (Byrsa) فاحتلوا المدينة السفلى واقتحموا المنازل واحدا تلو الآخر، وعسكر سيبيون في الساحة العامة (Agora)، فكان القرطاجيون يحتمون في

(1) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.) , op.cit., p. 122.

(2) -Pellegrin (A.), Histoire de la Tunisie depuis les origines, éd. 4, Bouslama, Tunis, 1975 , pp. 52-53.

(3) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.), op.cit., p. 122.

(4)- هو غولوسا على ما يبدو وحسب : G.Lapeyre, A.Pellegrin أنه كان رفقة سيبيون على رأس فرقة من الجيش النوميدي، Ibid .

(5)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 145.

الطوابق العلوية، ويطلقون صولات من النيران والحجارة على الجنود الرومـــان. وفـــي خلال ثلاثة أيام من الحرب والقتال داخل المدينة لم يستطع الرومـــان تحقيـــق الانتصـــار المنشود فاضطر سيبيون في اليوم الثالث إلى إدخال كتائب الفرسان[1].

ورغم ذلك استمر صمود القرطاجيين ، واشتدت مقاومتهم فزادت وحشية الرومـــان وحقدهم حيث كانوا يرمون بالنساء والأطفال من السطوح والشرفات. ولم يكتفوا بذلك بل أمر سيبيون بإحراق المدينة.

وفي اليوم السابع، استسلم جزء كبير من السكان لحماية أرواحهم[2] فوافق ســـيبيون على طلبهم وأصبح 55 ألف من الرجال والنساء والأطفال عبيدا لدى الجيش الروماني[3].

وبقي أحد جيوب المقاومة في قلب المدينة المحترقة عند معبد أشمون (Eshmoun) مع صدر-بعل وزوجته وأبناءه، إضافة إلى 900 من الجنـــود الرومـــان الفـــارين مـــن المعركة[4].

وكانت زوجة صدر-بعل قد تزينت بأحلى ما لديها من ملابس وبقيت ماكثـــة مـــع أبنائها في معبد أشمون، بينما فضل صدر-بعل ملاقاة سيبيون سرا حـــاملا إليـــه غصـــن الزيتون، فأهانه القائد الروماني بأن طلب منه الركوع عند رجليه[5].

لقد فضل صدر-بعل الاستسلام ربما حفاظا على حياته أو حفاظا على من تبقى في المدينة من أحياء، ولكن زوجته فضلت الموت على أن تهان من قبل الرومـــان، فحســـب

(1)- زبيب نجيب، المرجع السابق، ص ص. 173- 174.

(2)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 145.

(3) -Pellegrin (A.) , op.cit., p. 53.

(4) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.) , op.cit., p. 122

(5) -Ibid, pp.123-125.

بعض المؤرخين المعاصرين للحدث، ومنهم أبيانوس الذي يذكر أن زوجة صدر-بعل عندما شاهدت زوجها في تلك الوضعية المهينة مع سيبيون خاطبتهما معا واصفة ما أقدم عليه زوجها بالجبن والخيانة، مستهزئة بما قام به سيبيون من وحشية وتنكيل لسكان قرطاجة، ورمت بنفسها في نار معبد أشمون مفضلة الموت على أن تساق مع العبيد إلى روما وتراها النساء هناك في تلك الوضعية المهينة تمر أمام قوس النصر الذي أقيم لسيبيون خصيصا في روما[1].

ب- انعكاسات تدمير قرطاجة على الشرق النوميدي:

لقد حاول الرومان بعد تهديمهم لقرطاجة سنة 146 ق.م تفادي أو تحييد النوميديين بل سلكوا سياسة التحالف معهم أو إثارة الفتن بينهم[2] وهدفهم في ذلك على ما يبدو هو توجيه الأوضاع الداخلية النوميدية حسب ما تقتضيه المصلحة الرومانية إلى غاية استقرار الأوضاع في قرطاجة المدمرة.

لأنه رغم انتصارهم على قرطاجة إلا أنهم تكبدوا خسائر كبيرة، وتدل على ذلك الاستماتة الكبيرة التي أبداها القرطاجيون في الدفاع عن مدينتهم وإصرارهم على البقاء وفي هذا الصدد، يعتقد المؤرخ الفرنسي: فيرناند بردوال (F.Braudel)[3] أن تدمير قرطاجة يندرج ضمن سياق السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط الذي شكل رهانا بين قرطاجة وروما آل إلى صراع، سوف لن ينتهي إلا بزوال أحد طرفي ذلك الصراع.

(1) - Gsell (S.), H.A.A.N.T.III, PP. 401-402.

(2)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...،ص .121.

(3) - Braudel (F.) , Les mémoires de la méditerranée, préhistoire et antiquité, éd. Fallois, Paris, 2002, p. 458.

وكان على القرطاجيين أن يستسلموا للحتمية التاريخية التي جعلت من انتصار الرومان قدرا مسطرا أملاه قانون الطبيعة. ذلك ما يفهم مما أورده المؤرخ الآنف الذكر حول تفسير بوليبيوس لظاهرة التوسع الروماني والانتصار على قرطاجة سنة 146ق.م[1].

لقد أشرنا سابقا إلى الظروف التي مرت بها قرطاجة والانعكاسات التي ترتبت عن معاهدة زاما (Zama) المبرمة سنة201 ق.م، حيث عرفت المدينة ما يشبه الحصار السياسي والاقتصادي والعسكري من قبل الرومان وماسينيسان، إذ لا يمكن تفسير ما حدث سنة 146 ق.م، دون العودة إلى مخلفات معركة زاما (Zama) سنة 202 ق.م ونتائجها على قرطاجة[2]، والتي على ما يبدو هي التي عجلت بالحرب بين المتنازعين.

بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م أنشأ الرومان مقاطعة إفريقيا التي شملت الأراضي التي كانت بحوزة قرطاجة عشية اندلاع الحرب البونية الثالثة[3].

ومن ثمة فمساحة تلك المقاطعة التي لم تكن واسعة ، حيث أنها لم تتجاوز غداة إنشائها 25.000 كم²، إذا أخذنا بعين الاعتبار المنطقة التي يحدها جنوبا الخندق الذي حفره سيبيون والذي يبدأ من مصب الوادي الكبير (Tusca) بجوار ميناء تبرقة (Thabraca)[4] ويتجه إلى الجنوب الشرقي بمحاذاة المدن النوميدية : باجة (Vaga) وتبرسق (Thubursicubure) ودوقة (Thugga). وبعد ذلك يميل نحو الشرق إلى أن يصل إلى جبل فكيرين (Fekerine) في الجنوب الغربي من جبل زغوان

(1) - Ibid, p .459.
(2) -Pellegrin (A.) , op.cit., p . 52.
(3) -Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Paris, 1892, introd. p . VIII ; Babelon (E.), op.cit., p. 84.
(4) -Cagnat (R.), op.cit., introd. p. VIII.

(Zeghouane). ومنه يمتد على خط مستقيم إلى هنشير طينة (Thenae) على بعـــد 12 كم جنوب مدينة سفاكس (Syfax). شاملا بذلك سبختي سيدي الهاني والقرة.

لقد استطاع الباحث شارل سومـــاني (Ch.Saumagne) أن يبين أن هذا الخنـــدق حفر بالقرب من السلاسل الجبلية الموازية للساحل من جبل خشيم إلى جبل فكيرين وتنتهي هذه المقاطعة في السرت الصغرى (خليج قابس) [1].

ولإحكام السيطرة على المقاطعة الإفريقيـــة وربطها بالسلطـــة الرومانية عين على رأس المقاطعة شخصيات مقربة من محيط القناصل أو القضاة في رتبة مساعدي القناصل وأطلق على حاكم المقاطعة لقب بريطور (Preteur) [2] الذي استمر إلى غاية يعين لمدة سنة إلى غاية بداية فترة حكم سيلا (Sylla) [3] سنة 81 ق.م أين أصبح حاكم المقاطعـــة

---

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 148.

[2]-كانت الإدارة الرومانية ترسل حكاما لتمثيلها في الأراضي الخاضعة لسلتطها في المقاطعة التي أطلق عليهـــا اســـم افريقيا القديمة (Africa Vetus)، يحملون لقب بريطور ، ومعناه الحاكم الشرعي ، يعينون لمدة سنة قابلـــة للتجديـــد، وعند انشاء الولاية الرومانية الثانية التي أطلق عليها اسم افريقيا الجديدة (Africa Nova)، عين يوليوس قيصر على رأسها حاكما حمل لقب بريطور وخول له مهام القنصل أي كان له الحق في قيادة الجيش ومرافقته باثني عشر ضـــابطا بدلامن سنة ضباط كماجرت العادة لدى القناصل الرومان... لمزيد من المعلومات انظر:

-Fevrier (P-A.), Approches du Maghreb Romain(pouvoirs, différences et confins),(2vols.), T1, Aix en Provence, 1989, ,p.140

[3]-لوكيوس كورنيليوس سيلا (Lucuis Cornelius sylla) :عاش فيما بين سنتي 138–78 ق.م، ينتمي إلـــى أســـرة عميقة في روما تراجعت مكانتها بعد فقدانها لثروتها.

عين سيلا كيستورا (Questeur) ثم نائبا عسكريا، وارتقى بعد ذلك في مختلف الرتب والوظائف العسكرية، خاصة بعد انتقاله إلى إفريقيا رفقة ماريوس من أجل التصدي للمقاومة التي قادها الملك النوميدي يوغرطه، المتحالف مع بوكـــوس ملك موريطانيا، واستطاع سيلا بدهائه أن يقنع بوكوس بالتخلي عن يوغرطـــه، بل الغدر به وتسليمه أسيرا للرومان نال سيلا شرف ذلك الانتصار، مما أوغر صدر ماريوس عليه، فبدأ التنافس بينهما ، رغم استمرار سيلا في العمـــل تحـــت قيادة ماريوس.

– عند مقتل القنصلان سنة 82 ق.م عين سيلا من قبل الجمعية المئوية ديكتاتورا لمدة غير محددة وبدأ إصـــلاحاته وتشريعاته المنظمة للحياة السياسية الرومانية المرتكزة على إعادة الصلاحيات لمجلـــس الشـــيوخ وتوطيـــد ســـلطته،=

الإفريقية يلقب بـــ : بروقنصل (Proconsul) دون شك نظرا للأهميـــة السياســـية التـــي أصبحت تتمتع بها المقاطعـــة[1].

وكان حاكم المقاطعة يقيم في أوتيكا (العاصمة الإدارية للمقاطعة) مـــع مســـاعديه، وخولت لهم مهام تسيير خزينة المقاطعة والمحافظة على الأمن الداخلي وصـــد هجمـــات النوميديين. وغالبا ما كان الحاكم يستعين بالملوك النوميديين المتحالفين مع الرومان[2].

لقد صادر الرومان معظم الممتلكات القرطاجية والنوميديـــة المتواجـــدة بقرطاجـــة وحولوها إلى أملاك عمومية. وما تبقى من ممتلكات بسيطة لمن بقي مـــن الرعايـــا فـــي قرطاجة أجبر أصحابها على دفع ضريبة ثابتة عرفت بضريبة المهزومين، أوكلت مهمـــة جمعها إلى المرتزقة[3].

ولم تهتم السلطة الرومانية بالأهالي الذين بقوا في قرطاجة حيث اســـتمروا علـــى التقاليد البونيقية من لغة وديانة وواصلوا استعمال الكتابة البونية، كما أقاموا تماثيل للإلهـــة تانيت (Tanit) والإله بعل حمون (Baal Hammon)، كما استمرت عادة تقديم الأضاحي البشرية (الأطفال الصغار) في المذبح المقدس[4].

=وبحلول عام 79 ق.م إعتزل الحكم ، وتنحى عن كل المسؤوليات السياسية والعســـكرية، واعتكـــف فـــي ضـــيعة بضواحي روما منشغلا بكتابة مذكراته أو الصيد واللهو... لمزيد من المعلومات أنظر:

(1) - Plutarque, op.cit., Vie de Sylla, I; III; VII; Jean-Claud Fredouille, op.cit., pp. 152-153.
-Babelon (E.), op.cit., p .85.

(2)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 149.

(3) - Pellegrin (A.) , op.cit., p . 63.

(4) -Eydoux (H.P.), A la recherche des mondes perdus, les grandes découvertes archéologiques, librairie Larousse, Paris, 1967 , pp .95-96.

ويبدو أن السلطة الرومانية المتمثلة في الحاكم المقيم مع الجالية الرومانية من تجار كبار وجباة للضرائب في أوتيكا تجاهلت الأهالي في قرطاجة (المقاطعة الإفريقية)، نظرا لاهتمامها بالدرجة الأولى بمستخلصي الضرائب والتجار الكبار ورجال الأعمال[1].

وبقيت المدينة (قرطاجة) في نظر الرومان مدينة ملعونة، وذلك ما يشير إليه صب الملح على الموقع عند إحراق المدينة حتى لا تثمر مرة أخرى، مما يؤكد حقد الرومان على كل ما هو بوني (Punique)، وبقيت مدينة قرطاجة أو بالأحرى موقعها ملعونا إلى غاية بروز الإخوة جراكوس (Gracchus) بإصلاحاتهما الزراعية والاجتماعية على مسرح الحياة السياسية الرومانية ، حيث تمكن الأخ الأكبر تيبريوس (S.G Tiberius)[2] من إقناع مجلس الشيوخ على المصادقة على برنامجه الإصلاحي. ومن ثمة،عرفت قرطاجة أولى محاولات التعمير، ولكن تيبريوس سيدفع حياته ثمن تلك الإصلاحات نظرا لوجود فئة أرستقراطية معارضة لتلك الإصلاحات[3].

---

(1)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 150.

(2)- تيبيريوس سمبرونيوس جراكوس (162-133 ق.م) (Tiberius Sempronius Gracchus) شاب روماني ينتمي إلى عائلة نبيلة ،وهو حفيد سيبيون الإفريقي ،عرف مع أخيه كايوس.س.ج (Cauis Sempronius Gracchus) بإصلاحاتهما الزراعية في النصف الثاني من القرن الثاني ق.م، ولكنهما اصطدما بالأرستقراطية التي كانت تسيطر على مجلس الشيوخ في روما، فضل تيبيريوس يرتقي في سلم الوظائف ، حتى تقلد منصب نقيب العامة (محامي) في 10 ديسمبر 134 ق.م ،وفي ظرف قصير جدا أي بداية سنة 133 ق.م أعلن عن برنامجه الإصلاحي الذي صادق عليه مجلس الشيوخ في نفس السنة، ويحدد ذات البرنامج أقصى ما يمكن أن تحوزه العائلة الواحدة بـ 250 هكتار، كما ينص على توزيع الأراضي المصادرة على الفقراء ، بحصة سبعة هكتارات ونصف لكل عائلة فقيرة وتكلف لجان ثلاثية (Triumvir agris iudicandis adsignadis) بتوزيع تلك الأراضي ... لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر:

-Fredouille (J.C.), Dictionnaire de la civilisation romaine, édit2, Larousse, Paris, France,1999,p. 71.

وأيضا: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق ، ص. 2 وما بعدها .

(3)-Pellegrin (A.), op.cit., pp . 63- 64.

وتبعا لذلك القانون جاء الأخ الأصغر كايوس (Caius) إلى إفريقيا سنة 122 ق.م وأحظر معه ستة آلاف من المعوزين الإيطاليين، ونظرا لكون موقع قرطاجة ظل ملعونا في نظر الرومان اختار مكانا خارج المنطقة التي استنزلت عليها اللعنة، وأقام عليها تلك المستعمرة بجوار قرطاجة المدمرة. وقسم الأراضي إلى مربعات بمساحة 50 هكتارا في المربع الواحد لتوزيعها على أولئك المعمرين ، المهاجرين والمهجرين من إيطاليا، ومنح لتلك المستوطنة اسم مستعمرة قرطاجة المحمية من قبل جونون (Colonia Junonia Carthago)[1] أي وضعت تحت حماية الإلهة جونون التي ورثت الإلهة تانيت (Tanit).

وفي خلال 60 يوما قام كايوس بترتيب الأمور وتهيئة الظروف للمستوطنين الجدد في قرطاجة الجديدة ثم عاد إلى روما[2] ليجد خصومه في انتظاره بالتهم والافتراءات الكاذبة لإثارة البلبلة في صفوف أتباعه، فاتهموه بإثارة غضب الآلهة عندما سمح للمعمرين في قرطاجة بالإقامة في مدينة ملعونة، فنجحوا في الحيلولة دون انتخابه مرة ثانية كما نجح خصومه بإقامة محكمة تطالب بإلغاء أعماله في إفريقيا، فاضطر إلى الالتحاق بالثورة، ولكنه لم يستطع تغيير الأوضاع فمات منتحرا[3].

هكذا، إذن زالت قرطاجة من الوجود، ولكن ما ينبغي التأكيد عليه هو أنه رغم زوالها إلا أن حضارتها وثقافتها بقيت مستمرة في إفريقيا لعدة قرون. ويبدو أن الرومان لم تكن لديهم أدنى رغبة للاستفادة من الحضارة القرطاجية. فروما التي ورثت كل ما أنجزه القرطاجيون خلال قرون عدة، فقد أضاعت أسرار الصناعة القرطاجية وتقنيات

(1) -Ibid.

(2) -Babelon (E.), op.cit., pp . 84- 85.

(3) -شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 153.

زراعتها، ولم تكن لها سياسة اقتصادية محددة المعالم وكل ما كان يحرك الرومان هو الرغبة في السيطرة على الشعوب المهزومة واستغلالها[1].

وانطلاقا من ذلك، لم يقم الرومان بممارسة الزراعة في قرطاجة المستعمرة ولا في نوميديا فيما بعد ولكنهم استغلوا الأرض الإفريقية بطريقتهم الخاصة، كل ما ينتج في إفريقيا يحول إلى روما، فإفريقيا البونيقية ستصبح مستودعا لروما (إفريقيا تنتج وروما تستهلك)[2].

وذلك كان نتيجة آنية للسيطرة الرومانية على شمال إفريقيا التي تكبد سكانها المحليين عبر المراحل المتعاقبة باستعمار واستغلال لثرواتهم الاقتصادية والبشرية.

إن النهاية التراجيدية لقرطاجة، وانعكاساتها الآنية والبعيدة على إفريقيا تدفعنا إلى التساؤل :

هل كان زوال قرطاجة التي كرست كل جهودها من أجل السلم في إفريقيا، نعمة أم نقمة على النوميديين الذين حالفوا الرومان ضد القرطاجيين، والذين أصبحوا فيما بعد عبيدا لدى الرومان؟

هل كان النوميديون محقون في اختيارهم للجانب الروماني؟ نعني بذلك ماسنيسان الذي نسب له شعار: إفريقيا للأفارقة. هل يمكن أن يصدر ذلك الشعار عن ماسينيسان الذي ارتمى في أحضان الرومان طوال فترة حكمه؟ أم أن الشعار مجرد لعب على الأذقان نسب للملك المومیدي لدرء الانتقاد الذي سيوجه له باعتبار ولائه للرومان ضد بني جلدته

(1) -Hubac (P.), Carthage, éd. Marcel Daubin, Paris, 1946, p . 215 ; Lapeyre (G.), et Pellegrin (A.), op.cit., p . 124.

(2) -Hubac (P.), op.cit., p .114.

عمل يسيء إلى انتمائه النوميدي؟ فكيف ينقاد النوميديون وراء الرومان الدخلاء على الأرض الإفريقية ؟ أكيد أن سنة 111 ق.م حملت إجابات لهذه التساؤلات.

3-الحرب اليوغرطيه والبحث عن السيادة المفقودة:

أ-مولد يوغرطه ونشأته:

قبل تطرقنا إلى الحرب اليوغرطيه التي أذاقت الرومان الويلات في الشرق النوميدي وتفاصيل حكم الملك يوغرطه لمملكة أجداده علينا التذكير بإشكالية وراثة العرش النوميدي والحكم الثلاثي الذي دأب عليه الأمراء النوميد عند وفاة الأغاليد؟ غير بعيد عن أعين الرومان، فالعاهل النوميدي ماسنيسان (Massinissa) مثلا قد يكون بحكمته وبحكم ولائه للرومان قد أدرك تربصهم بالوضع الداخلي في المملكة، لذلك عند احتضاره سلم أمر خلافته للقائد الروماني سيبيون الإميلي (Scipion Emilien)[1].

وبذلك يكون العاهل النوميدي قد واضب على الوفاء للرومان وآثر أن يشركهم في تتويج الملك الذي سيخلفه مثلما توجوه هو ملكا بصفة رسمية في معسكرهم بعد إنهاء مقاومة سيفاكس (خصمه) سنة 203 ق.م، ولقد كانت هذه الطريقة في رأيه تضمن استقرار الأوضاع بمملكته من بعده وحسن علاقاتها مع الرومان[2].

وتبعا لذلك فقد أسند سيبيون الإميلي شؤون الإدارة لمكوسن وهو المعروف بالثقافة الواسعة ورجاحة العقل، بينما أوكلت قيادة الجيش لغولوسا والذي كان أصلا على رأس

---

[1]- من دعائم سياسته التي يلام عليها الملك ماسنيسان أن حقده القديم على قرطاجة كان قد جعله يعتمد على الرومان وينقاد إليهم بصورة عمياء. بل ينصبهم أوصياء على عرشه بعد وفاته، ولم يهيئ أبناءه لتولي مسؤولية العرش النوميدي و الحفاظ على مملكته من بعده، ذلك ما سعى الرومان إلى تحقيقه بعد وفاة العاهل النوميدي. حول الموضوع أنظر:
- Gsell (S.) ,H.A.A.N.,T III ,P.354; Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VI ,P.123.

[2]- شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة... ،ص ص.30-31.

الجيش النوميدي المتحالف مع الرومان، في حين اضطلع مصتنبعل بالقضاء.غير أنه ما لبثت الأمور أن آلت كل المسؤوليات لمكوسن على إثر وفاة أخويه بعد مدة قصيرة من توليهما الحكم[1].

وقد أشرنا إلى الاستقرار السياسي الذي عرفته فترة حكم مكوسن والتي دامت ثلاثين سنة (148–118 ق.م). كما أن مملكته كانت مترامية الأطراف، امتدت من حدود إفريقيا الرومانية شرقا إلى نهر الملوية غربا[2]، إلا أن ذلك الاستقرار لم يدم بعد وفاة العاهل مكوسن سنة 118 ق.م، حيث استيقظت من جديد إشكالية وراثة العرش النوميدي وكان بطلها هذه المرة يوغرطه ابن مصتنبعل ابن مسنيسان الذي لا يكن الولاء للرومان مثل بقية أفراد الأسرة الحاكمة. فكان بذلك الوقوف في وجه الرومان شبيها بالعاهل النوميدي الأسبق سيفاكس.

---

[1] – أورد المؤرخ الروماني ساليسيتوس أن وفاة الأميرين مستنعبل و غولوسا بعد مدة قصيرة من توليهما الحكم رفقة أخيهما مكوسن، كانت بسبب مرض أصابهما. رغم ذلك تبقى الأسباب الحقيقية لوفاتهما المفاجئة تثير التساؤلات، لاسيما وأن بعض المؤرخين المحدثين أشاروا إلى خلاف يكون قد نشب بينهما وبين آخيهما حول مواصلة السياسة التي رسمها وسلكها والدهما مع روما، وذلك ما يجعلنا لا نستبعد تورط الرومان في القضية، ولا نستثني فيها مكوسن الذي نال على ما يبدو رضا الرومان، الذين إما أن يكون لهم ضلع في وفاة الأميرين أو تغاضوا عن كشف الحقيقة خدمة لمصالح حليفهم مكوسن وسكوتهم عن انفراده بالحكم، وهم الذين حرصوا على تقسيم المملكة النوميدية، وذلك ما يعزز هذا الافتراض. حول الموضوع أنظر:

- Salluste, La guerre de Jugurtha, V; Gsell (S.), H.A.A.N.,T.VI ,P.123 ; Gaid (M.), op.cit .,p .93 ;

– فنطر محمد حسين ، يوغرطة ...،ص. 102 ؛ غانم محمد الصغير ، المملكة النوميدية...،ص.94 ؛ ج. كامبس المرجع السابق، ص.24 .

[2]–غانم محمد الصغير، نقيشة مكوسن ...، ص ص. 02–14 .

إذن فقد ولد يوغرطه في حوالي سنة 160 ق.م [1]. ولم يصلنا إلا الشيء القليل من المعلومات حول طفولة يوغرطه لعدم ورود ذلك في المصادر القديمة، عدا ما دونه المؤرخ الروماني سالوستيوس في مؤلفه حرب يوغرطه (La Guerre de Jugurtha)[2].

حيث يذكر ذات المؤرخ أن يوغرطه : "**في شبابه كان قويا، جميلا مثل النوميديين مولعا بركوب الخيل والرماية والتسابق مع أترابه، وكثيرا ما كان يقضي جل أوقاته في الصيد خاصة صيد الأسود الذين كان من أكفأ من يتصدى لهم**"[3].

كما يصف نفس المؤرخ يوغوطة: بالتواضع لبني قومه، وحبه الشديد للعمل مما أوجد لدى النوميديين حبا كبيرا لهذا الأمير الشاب، وأعطى له شعبية واسعة لدى أبناء

---

[1]-حارش محمد الهادي، ذاكرة الجزائر، صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور (يوغرطه 160-104 ق.م)، إصدار المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1984، ص. 38.

[2]-لم يكن كايوس ساليستيوس (Caius Sallustius) يهدف من وراء كتابته لحرب يوغرطه، التأريخ لتلك الحرب ولا للأحداث التي عرفتها منطقة (شمال إفريقيا)، وإنما الرغبة في كشف المؤامرات التي كانت تحاك في مجلس الشيوخ وشيوع الرشوة والمحسوبية لدى الطبقة الارستوقراطية التي كانت تسيطر على قراراته، وكان ذات المؤرخ قد تدرج في العديد من المناصب السياسية منها تقلده منصب المحاماة (Tribunat) سنة 52 ق.م ثم عضوية مجلس الشيوخ الروماني فيما بين 51-46 ق.م (عضوية غير منتظمة)، وكان قد رافق يوليوس قيصر(Jules César) في الحملة الإفريقية، فأهله قربه منه لأن يكون له دور كبير في الحزب الذي يقوده قيصر، لذلك فإنه عند انتصار هذا الأخير كان قد أسند له مهام الحكم في ولاية إفريقية الجديدة غداة إنشائها سنة 46 ق.م. وقد اعتزل السياسة ساليستيوس عند عودته إلى روما متحججا بتغلب طبقة الأرستقراطيين الفاسدين وسيطرتهم على دواليب الحكم وقرارات مجلس الشيوخ، خاصة بعد اغتيال قيصر، كذلك تطرق ساليستيوس مجال الكتابة لعله يحصل على المجد الذي لم يستطع الوصول إليه عن طريق السياسة. فكتب مؤامرة كاتيلينا (La conjuration de Catilina) وبعدها حرب يوغرطه (La La guerre de Jugurtha) لكشف الأرستقراطيين وإظهارهم بمظهر الخيانة للوطن من خلال تواطؤهم وارتشائهم على حساب مصالح الشعب الروماني بهدف تأليب الرأي العام الروماني ضدهم... حول الموضوع أنظر :

-Gsell (S.), H.A.A.N.,T .V, p . 123.

(3) -Ibid.

شعبه[1].

ونظرا لما أظهره يوغرطه من القوة والذكاء والتعقل فإن ذلك جعل عمه مكوسن يقدم على الإعجاب به وتقريبه منه ليكون حاميا عرش ولديه الصغيرين. إلا أن إعجابه به سرعان ما تحول إلى النقيض خوفا منه على ولديه. ولقد حاول مكوسن أن يجد مخرجا لمخاوفه تلك وذلك من خلال عدة طرق أهمها تبنيه ليوغرطه حتى يصبح ابنا له على غرار ابنيه أذربعل وهيمبسال[2].

ب. مكوسن يتبنى ابن أخيه يوغرطه:

لقد أشرنا أعلاه إلى إعجاب مكوسن بابن أخيه يوغرطه وذلك نظرا لخصاله الحميدة، عير أن تلك الخصال والإعجاب الكبير اللذين كان يحظى بهما الأمير الشاب لدى قومه ولدت الحقد والكراهية لدى الملك النوميدي لابن أخيه يوغرطه خوفا منه على مستقبل ولديه.

ولا شك أن مكوسن فكر مليا في إيجاد مخرج لإنقاذ ولديه، واحتفاظهما بالملك من بعده، والأكيد أنه حاول إيجاد الحل في التخلص من يوغرطه! لكن كيف! هل عن طريق الاغتيال؟ من المؤكد أن ذلك سيؤلب النوميديين ضده وذلك نظرا للشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها يوغرطه لدى قومه. إذن فلم يبق للملك سوى التخلص من ابن أخيه بطريقة ذكية تبعد كل الشكوك من حوله وترضي حلفاؤه الرومان، وهي إرساله على رأس الجيش النوميدي لمساندة الرومان في حربهم ضد الإيبيريين[3].

(1) -Ibid.

(2)- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة،ترجمة عباد صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1993، ص.91.

(3) - Sahli (M.Ch.), Le message de Yougourtha, éd. En-Nahda, Alger, 1947, p .43.

بناء على ما أشرت إليه آنفا وأثناء الحرب التي كان الرومـــان يخوضـــونها ضـــد الإيبيريين في مدينة نومانس باسبانيا سنة 134ق.م، لقد نفذ مكوسن خطته المشـــار إليهـــا آنفا وذلك بإرسال يوغرطه على رأس جيش من النوميديين لمآزرة سيبيون الإميلي[1].

وكان الملك النوميدي مكوسن يهدف من وراء ما أقدم عليه تعريض حياة يوغرطه لخطر الحرب المهلك قصد التخلص منه, هذا من جهة ومن جهة أخرى استرضاء لحلفائه الرومان ومساندتهم، وبذلك يكون قد حقق هدفين ضروريين بالنسبة له[2].

غير أنه على عكس ما كان يأمل الملك مكوسن، فقد عاد الأمير الشاب يوغرطـــه من أسبانيا مبليا بلاءً حسنا في الحرب التي خاضها هناك إلـــى جانـــب الرومـــان، فنـــال إعجابهم وودهم لا سيما أبناء الطبقة الأرستقراطية الذين احتك بهم في تلك الحرب، فلـــم يتحقق أي من هدفي مكوسن. وهكذا تجري الرياح بما لا تشتهيه السفن على حـــد تعبيـــر الأستاذ غانم محمد الصغير[3].

لقد عاد يوغرطه من إسبانيا منتصرا ونال إعجاب الكثير من الجنود الرومان زيادة علـــى كسبه لود وثقة سيبيون الإميلي (Scipion Emilien) بعد أن كلفه بمهمات صعبة وخطيرة أنجزها بدقة واقتدار، فحمَّله رسالة عرفان وتقدير يبدو أنها تنبيه لمكوسن!؟.

أورد ساليسيوس تلك الرسالة التي جاء فيها: "**لقد أظهر ولدك يوغرطه في حـــرب نومانس (Numance) فضائل حسنة وشجاعة فائقة، بدون أدنى شك ستسعدك، كما أسعدتني**

(1) - Saumagne (Ch.), La Numidie et Rome, Massinissa et Jugurtha, éd presses universitaires . de France, Paris, 1966, P.03.

(2) - Berthier (A.) et autres, "Le bellum Jugurthinum de Salluste et le problème de Cirta, R.N.M.S.A.C., T.LXVII, 1950-1951, PP .03-144.

(3)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى،عين مليلـــة، الجزائـــر، 2005، ص ص. 165-166.

ونالت إعجابي، سأبذل ما في وسعي من أجل أن ينال هذا الفذ تقدير ورضا مجلس الشيوخ والشعب الروماني، فباسم صداقتنا المتينة أهنئك بابنك الشجاع فهو جدير بك وبجده ماسينيسان"[1].

ما يفهم من تأويل المؤرخين المحدثين لهذه الرسالة هو تلميح من سيبيون للملك مكوسن إلى ضرورة تسليم الملك ليوغرطه من بعده. أو على الأقل إشراكه فيه من جهة أخرى يريد سيبيون أن يبين للملك النوميدي أن للرومان يد في تتويج ملك نوميديا وأن يوغرطه نال ثقة الرومان[2].

يبدو أن الملك مكوسن استوعب مضمون رسالة التزكية التي زود بها سيبيون يوغرطه لدى عودته من أسبانيا، والمتمثلة في رغبة الرومان استخلاف يوغرطه لعمه، لذلك لجأ إلى أسلوب الاستعطاف والحنان، لعل ذلك يؤثر في قلب يوغرطه فيكون رؤوفا بابني عمه، كما ارتأى أن ينفذ رغبة الرومان ويشركه في الملك مع ولديه أذربعل وهيمبصال فتبناه سنة 121 ق.م[3].

---

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, IX

(2)- إضافة إلى تأكيد سيبيون للملك مكوسن على أحقية الرومان في تعيين ملك نوميديا من خلال تزكية الأمير يوغرطة، أشار بعض المؤرخين إلى المخاوف التي كانت تنتاب الرومان من جراء قوة مكوسن المتزايدة، مرتكزة على الناحيتين الاقتصادية و الثقافية. لم يمنعه من الاهتمام بالمجالين العسكري و العمراني، فقد حصن عاصمة مملكته" سيرتا"بالأسوار المنيعة، وزينها بالقصور الفاخرة،و أمنها حسب ما أورد ه سترابون بجيش قوامه عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف جندي من المشاة.وذلك ما جعل الرومان يدركون خطورة تلك القوة النامية على مصالحهم الإستراتجية في إفريقيا، فاتخذوا على ما يبدو من سياسة فرق تسد آلية لكبح تلك القوة من خلال الإعداد لتقسيم المملكة بعد مكوسن، على غرار ما فعلوه بعد وفاة ماسينيسان ... حول الموضوع أنظر:

- Strabon, XVII, 3,13 ; Berthier (A.), Le bellum Jugurthinum…,p.25 ;

- الصفدي هشام، تاريخ الرومان في العصور الملكية، الجمهورية ، الإمبراطورية ،ج.1 ،ط1 ،دار الفكر الحديث، لبنان،1967،ص.227.

(3)- يأتي بني الملك ميسبسا لابن اخيه يوغرطه بعد الرسالة التي تلقاها الملك من القائد الروماني سيبيون الإميلي والتضمنة التلميح إلى ضرورة منح الشرعية للامير النوميدي الذي كسب ثقة القادة الرومان بعد أن أبهرهم بقدراته=

لقد توفي مكوسن حسب سالوستيوس في سن متقدمة بعد أن أعيته السنين والمرض[1]. وعند شعوره بقرب وفاته جمع ابنيه والمقربين منه، وخاطب يوغرطه عبر وصية أورد المؤرخ سالوستيوس ما جاء فيها: "**كنت طفلا صغيرا عندما فقدت أباك الذي تركك بلا أمل ولا مال، فاحتضنتك وقربتك مني آملا أن تحبني مثلما يحبني أبنائي ولا أضنني أخطأت... لقد عدت من نومانس غامرا أياي ومملكتي بالأمجاد، إنجازك هناك دعم صداقتنا بالرومان، هناك في أسبانيا رأينا اسمنا يسطع ثانية... اليوم أشرف على مفارقة الحياة، فباسم هذه اليد التي أشدها – وكان يمسك بيد يوغرطه –. وباسم الوفاء الذي تكنه لملكك، أرجوك أن تعطف على هذين الصغيرين، أبناء جلدتك ،الذين جعلتهما رعايتي لك أخواك... إن الملك لا يصان بالجند والمال وإنما بالمحبة والإخلاص، وهل هناك من هو أحق بالصداقة من أخ لأخيه ؟... إن المملكة التي أتركها بين أيديكم ستكون قوية إذا حسنت سياستكم، وضعيفة إن ساء تصرفكم، فبالوحدة والوفاق تقوى أضعف الدول وبالشقاق تنهار أقوى الدول... أما أنتما يا أذربعل وهيمبصال فيجب عليكما احترام وتبجيل رجل مثل يوغرطه وعليكما أن تتخذاه قدوة لما تفعلون ، ذلك حتى لا يقال ابني بالتبني أفضل من ولداي الشرعيين**"[2].

ج. إشكالية وراثة العرش النوميدي الثانية (عدوه إلى صراع الإخوة الاعداء):

مثلما كان يتوقع ويتخوف الملك مكوسن – إن ثبت ما أورده سالوستيوس في روايته– فقد نشب الصراع على وراثة العرش النوميدي بين الأمراء الثلاث أذربعل وهيمبصال من جهة، ثم يوغرطه من جهة أخرى بعد وفاة الملك مكوسن سنة 118 ق.م[3]، ولم ينتظر

=الحربية وذكائه الحاد في شبه جزيرة إيبيريا، فلم يتردد الملك مكوسن في تلبية رغبة الرومان حفاظا على العرض النوميدي من جهة، ومن جهة أخرى حماية لولديه ... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Kadra-Hadjadji (H.), Jugurtha un Berbère contre Rome , Casbah éditions, Alger, 2007, pp. 67-68.

(1) -Salluste, La guerre de Jugurtha, XI.

(2) -Salluste, La guerre de Jugurtha, X .

(3) -Gsell (S.) , H.A.A.N., T. VII, p. 139

الورثة وقتا طويلا لإبداء التعارض في الرؤى والأفكار، بل بمجرد الانتهاء من تشييع الملك إلى مثواه الأخير، والانتهاء من مراسم الدفن.

فقد اجتمع الأمراء الثلاث للنظر في شؤون المملكة، فصادفهم أول مشكل تمثل في امتناع هيمبصال (الابن الأصغر لمكوسن) الجلوس إلى جانب يوغرطه تماشيا مع العادة والتقاليد النوميدية التي تقضي بتوسط كبير القوم في أي مجمع يعقد، ذلك لأن هيمبصال كان يحقد على يوغرطه، ويرى فيه غير مؤهل للانتماء إلى الأسرة المالكة، فارتأى أن يجلس إلى جانب أخيه، وبذلك يتوسط أذربعل الجلسة فينال شرف رئاستها[1].

إلا أن أذربعل يكون قد أدرك خطأ أخيه الأصغر في حق يوغرطه الذي كظم غيضه ، فأنَّب أخاه على ذلك السلوك وأمره بالجلوس إلى جانب يوغرطه حتى يتوسط هذا الأخير الجلسة، ففعل مكرها[2].

كانت وجهة نظر يوغرطه أثناء الاجتماع تحوم حول طرح مشاكل المملكة وفقا للمصالح الأساسية للدولة، فرأى أن الحل ليس في تقسيمها وإنما يكمن في تحريرها من أساليب التسيير السيئة، والتي أضرت بمصالحها، فاقترح إلغاء الأوامر التي أصدرها الملك الراحل (مكوسن) خلال الخمس سنوات الأخيرة من حكمه نظرا لوهن الشيخوخة الذي كان فيه (Sénilité) إضافة إلى تعفن محيطه المشكل من الفنانين والمستشارين والتجار الإيطاليين الذين كانوا يوجهون قرارات الملك وفق مصالحهم[3].

---

(1)-التصرف غير المسؤول الذي قام به هيمبصال بالتأكيد سينزل وقعة كطعنة سهم على يوغرطة، الذي سيترك الرد عليه في الوقت والمكان المناسبين أنظر: -Lacroix (M.L.), op.cit.,p.27.

(2)-غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص .168.

(3) - Sahli (M.Ch.), op.cit., p .45.

يلاحظ على طريقة طرح يوغرطه لمشاكل المملكة إدراكه للمسؤولية التي يضطلع بها كرجل دولة، إضافة إلى عدم رضاه على السياسة المنتهجة أثناء فترة حكم عمه مكوسن الذي سلك نهج أبيه الملك ماسينيسان، لاسيما في الولاء للرومان وإطلاقه يد التجار الإيطاليين وتدخل المستشارين الأجانب وتأثيرهم في توجيه سياسة الدولة النوميدية وفقا لمصالحهم، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه آنفا في كون يوغرطه رغم أنه ورث صفات قوة البنية الجسدية والجمال والفروسية عن جده الملك ماسينيسان ، إلا أنه في معاداته للرومان يكون أقرب إلى الملك سيفاكس من جده.

بإثارة يوغرطه لمسألة إلغاء أوامر الملك مكوسن المشار إليها آنفا، يكون قد فتح المجال لتلقى طعنة أخرى من هيمبصال ،حيث وافقه على إلغاء تلك الأوامر و المراسيم على أن يشمل ذلك المرسوم الذي تبناه فيه كولد شرعي له. كون ذلك الإجراء قد صدر خلال الثلاث سنوات الأخيرة من حكم الملك، فزاد ذلك في إصرار يوغرطه على الرد بالطريقة المناسبة وضرورة إسكات هيمبصال إلى الأبد[1].

وبعد الاجتماع الأول والأخير ، افترق الأمراء الثلاث على وقع التذمر مما حدث لا سيما تصرفات هيمبصال غير المسؤولة ولم يتفقوا إلا على تقسيم المملكة والأموال التي تركها لهم أبوهم الملك مكوسن[2].

وذلك ما كان يوغرطه يعارضه، فدبر مكيدة اغتيال هيمبصال في السنة الموالية لوفاة الملك مكوسن أي سنة 117 ق.م [3].

---

(1)–غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص. 168.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XII ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VII,p.139.

(3) - Florus (L.A.) , Abrégé de l'histoire romaine, trad. P.Hainslin et H.Watelet, éd, Garnier. Paris, 1932, LIV, III, I.

بعد أن استقر كل أمير في إقليمه يبدو أن يوغرطه كان يتحين الفرصة السانحة للانتقام من هيمبصال لما بدر منه في الاجتماع السالف الذكر، فحسب ما أورده سالوستيوس، فقد صادف وجود هيمبصال في قلعة تيرميدة (Thirmida)[1] التي تمكن يوغرطه من إغراء أحد حراسها لتسهيل مهمة القضاء على هيمبصال، حيث تمكن أحد الموالين ليوغرطه من دخول القلعة بعد أن تمكن من صناعة مفاتيح مماثلة لمفاتيح تلك القلعة، وفي جنح الظلام اقتحم الجنود الموالون ليوغرطه القلعة وعبثوا بالحراس الذين كان بعضهم نائما، والبعض الآخر فر للبحث عن مخبأ له، وفي النهاية تمكن الجنود من العثور على هيمبصال لاجئا في أحد أكواخ العبيد، أين كان يختبئ لتضليل جنود يوغرطه المنفذين للمكيدة الذين قطعوا رأسه بعد العثور عليه مثلما أمرهم قائدهم وأخذوها إلى يوغرطه[2].

لم تثر تلك الحادثة التي أودت بحياة هيمبصال ثائرة أخيه أذربعل، فحسب بل أغضبت معظم النوميديين، وأججت مشاعرهم الساخطة على ذلك الموقف فانقسموا إلى قسمين : قسم شكل الأغلبية يآزر أذربعل، بينما جزء من النوميديين ومعظم الفرسان الذين يتقنون فنون الحرب انظموا إلى جانب يوغرطه[3].

كادت أن تندلع الحرب بين الطرفين لكن أذربعل لم يستطع مواجهة يوغرطه الذي استطاع أن يخضع عددا من المدن النوميدية إما بالقوة أو بالتراضي، فالتبعية. حتى أوشك أن يبسط نفوذه على كامل تراب المملكة النوميدية[4]. عندئذ أرسل أذربعل وفدا إلى روما يشكو من أعمال يوغرطه بنوميديا مهيئا جيشه لحرب تكون حتمية لا سيما وأنه يعرف

(1)– قلعة تيرميدة قريبة من مدينة دوقة النوميدية حسب ما أشار إليه فنطر، أنظر: فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص. 128.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XII.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XIII ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VII, p .139.

(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XIII.

جيدا طموح وأفكار يوغرطه التحررية[1] وفي سنة 116 ق.م حدثت أولى المواجهات بين جيش يوغرطه وجيش أذربعل، انهزم فيها جيش هذا الأخير الذي لجأ إلى الولاية الإفريقية الرومانية، للاستنجاد بواليها ومنها انتقل إلى روما لشرح موقفه أمام مجلس الشيوخ مثنيا ومادحا للرومان كعادة أسلافه[2] . وبدوره أرسل يوغرطه هو الآخر وفدا إلى مجلس الشيوخ الروماني لتوضيح موقفه من أحداث إفريقيا بعد أن أصبح سيد نوميديا[3].

عند تدخله في مجلس الشيوخ حاول أذربعل تأليب الرومان ضد يوغرطه وإبراز خطورة نواياه تجاه المصالح الرومانية مستعطفا أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ومؤكدا لهم ولاءه لروما وتبعيته المطلقة لها.

لقد نقل لنا سالوستيوس خطاب الاستعطاف ذاك الذي ورد فيه ما يلي : "**لقد أوصاني أبي وهو على فراش الموت أن أرى نفسي بكل بساطة كممثل لكم في المملكة النوميدية التي لكم فيها كل الحقوق والسلطات، وأن أبذل كل جهودي لأجل أن أكون في السلم كما في الحرب الأكثر وفاءً وإخلاصا للشعب الروماني، أعتبركم آبائي وحلفائي وأرجو أن أجد في صداقتكم القوة العسكرية والمادية والدعم الكافي لحماية عرشي المهدد من قبل ذلك الحقير والشرير يوغرطه، الذي استخف بسلطتكم واحتقرها في مملكة حفيد ماسينيسان الحليف والصديق الدائم للشعب الروماني...** [4]".

لقد أشار بعض المؤرخين المحدثين إلى كون هذا الخطاب الاستعطافي من وضع المؤرخ سالوستيوس على لسان أذربعل ولكن ذلك لا ينفي احتواءه على بعض الحقائق التاريخية، مثل وضعية العرش النوميدي وعلاقته بالرومان المتسمة بالولاء والتبعية في فترات عدة.

(1) - Lacroix (M..L.), op.cit.,p.28.

(2) -Carcopino (J.), La république romaine (133-44 Av. J.C), presses universitaires de France, aris1935-1950, p. 284.,

(3) - Florus (L.A.), III, I ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VII, p . 174.

(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XIV.

وفي هذا السياق جاء هذا الخطاب على نهج انهزامي يكرس الهيمنة الرومانية على السلطة النوميدية[1].

حاول على العكس يوغرطه التخلص من تلك الهيمنة بتبنيه للرؤية التحررية قولا وعملا، ذلك ما نستشفه من خلال مرافعة ممثليه أمام مجلس الشيوخ الروماني. فلم يكثروا الكلام، وذكَّروا أن هيمبصال مات نتيجة لأفعاله القاسية ضد النوميديين. وفيما يتعلق بأذربعل فذكَّر موفدو يوغرطه أنه هو من بدأ العدوان، لأسباب واهية وطالب الوفد بعدم الإصغاء لما يقوله عدو يوغرطه، بل الحكم على هذا الأخير بما قدمه في نومانس[2].

بعد الاستماع إلى الطرفين المتخاصمين، وبعد المداولات قرر مجلس الشيوخ الروماني إرسال لجنة تحقيق تتكون من 10 (عشرة) أعضاء برئاسة لوكيوس أوبيميوس (Lucchius Opimius) للإشراف على التقسيم الذي أقره مجلس الشيوخ أي تقسيم المملكة بين يوغرطه وأذربعل، وقد أنجزت اللجنة عملها في أواخر سنة 116 ق.م، حيث منحت الجهة الغربية من المملكة النوميدية ليوغرطه في حين تحصل أذربعل على القسم الشرقي[3].

وبخصوص خلفيات هذا التقسيم يحاول سالوستيوس أن يبين أثر الأموال والهدايا التي قدمها يوغرطه لأعضاء اللجنة، ويدعي أن القسم الذي منح ليوغرطه أكثر ثراء وخصوبة وأوفر سكانا من الجزء الذي حصل عليه أذربعل رغم احتوائه على عدد لا يستهان به من المرافئ[4].

(1) - Sahli (M.Ch.), op.cit., p. 46.
(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XV.
(3) - Carcopino (J.), op.cit., p. 285.
(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XV.

ولكن ما أبرزه المؤرخ الروماني أدحضه الواقع التاريخي لمنطقة الشمال الإفريقي عموما ونوميديا خصوصا حيث أنه على عكس ما ذهب إليه سالوستيوس فالمنطقة الشرقية النوميدية كانت أكثر ازدهارا وتعميرا من المنطقة الغربية[1]. قد يكون ذلك بسبب قربها من قرطاج واستفادتها بالتالي من وسائل الاستغلال ونقل الخبرة القرطاجية الواسعة في الزراعة والتجارة.

هل يمكن أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت سالوستيوس إلى إخفاء الحقيقة ؟ وما هي أهداف روما من وراء ذلك التقسيم ؟

هل حاول سالوستيوس إبراز مبادئ الطبقة الأرستقراطية في المجتمع الروماني وفي مقدمتها ظاهرة الرشوة المستشرية في أوساط طبقة النبلاء التي وقفت عائقا أمام طموحاته السياسية في كثير من المناسبات؟[2].

والحقيقة التي لا مناص منها هي أن القادة الرومان أدركوا قوة يوغرطة وطموحاته، خلال تلك الأحداث لذلك رأوا أن يتجنبوا الاحتكاك به من خلال إبعاده عن حدود إفريقيا الرومانية، وفي نفس الوقت محاولة استمالته واستدراجه لضمان نفوذ روما في المنطقة الغربية، وبالتالي تفادي المواجهة المسلحة لصالح أذربعل الذي يتضح من خلال رد فعل الرومان بعد تدخله في مجلس الشيوخ أنهم أصبحوا لا يراهنون عليه كثيرا للتحكم في كامل تراب المملكة النوميدية، ذلك لأنه زيادة على صغر سنه لم تكن لديه قوة الشخصية والكفاءة العالية السياسية والعسكرية التي تميز بها خصمه يوغرطه.

د. يوغرطه يوحد نوميديا ويعيد لها سيادتها:

لقد أشار سالوستيوس إلى أن يوغرطه لم يكن راضيا على تقسيم المملكة، وإنما تظاهر بذلك كي يتجنب المواجهة المسلحة مع الرومان. إلا أنه بدأ التفكير في غزو مملكة

(1) - Saumagne (Ch.), La Numidie et Rome…, P. 147.
(2) - Lacroix (M.L.), op.cit.,p.29.

أذربعل من أجل الاستيلاء عليها، وذاك ما قام به فعلا حيث بعد مدة قصيرة قام يوغرطه بغارة خاطفة تمكن خلالها من الظفر بغنائم وافرة، وعدد كبير من الأسرى، ثم كرر العملية مرة أخرى، لاستدراج جيش أذربعل[1]. الذي لم يسقط في فخ يوغرطه، بل فضل الانسحاب إلى سيرتا (العاصمة) سنة 113 ق.م، وكان أذربعل قد أرسل وفدا إلى روما يشتكي من تجاوزات يوغرطه المتكررة[2].

ولم تتمكن لجنة التحقيق التي أرسلها مجلس الشيوخ من إيجاد حل للمشكل، حيث لم يسمح لها يوغرطه بدخول العاصمة سيرتا التي بقيت تحت الحصار لمدة 05 أشهر. مما جعل أذربعل يستنجد بروما، فأرسلت لجنة أخرى ولم تنجح في مهمتها هذه المرة[3].

اضطر أذربعل بعد ذلك إلى التخلي عن سيرتا أمام ضغط الجالية الإيطالية التي كانت تطالبه بالاستسلام[4].

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XX.

(2) - De la malle (D.) , l'Algérie, éd. Firmin Didot, Paris,1852,p.38.

(3) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.VII, p.149.

(4)-عمل الرومان على مراقبة الأوضاع الداخلية في المملكة النوميدية وتوجيه سياسات ملوكها للحيلولة دون ظهور أية قوة من شأنها أن تهدد مصالحهم في إفريقيا، فاتخذوا من الجالية الايطالية أداة لذلك، فتوافد بتشجيع منهم على العاصمة النوميدية سرتا عدد كبير من الايطاليين ، وأصبح لهم نفوذ واسع في بلاط الملوك النوميديين خاصة الشخصيات البارزة منهم كالفلاسفة و الأدباء و الفنانين والتجار. واتخذ منهم الرومان عيونا و جواسيس يستعملونهم عند الحاجة. ولا يستبعد بعض المؤرخين المحدثين أن يكون لتلك الجالية دور في اغتيال هيمبصال لإثارة الفتنة و تؤجيج الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة.لا سيما وأن هؤلاء الايطاليين أدركوا أن يوغرطة مصمم على إلغاء المراسيم التي أصدرها الملك مكوسن في الخمس سنوات الأخيرة من عمرة، والتي يمنح بعضها لهم امتيازات واسعة في العاصمة سيرتا. حول الموضوع أنظر :

- Salluste, La guerre de Jugurtha, XXI ; Lacroix (M.L.) ,op.cit.,pp.29-30.

_ شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص ص. 155– 157؛ محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية...، ص. 103؛ شنيتي محمد البشير ،سياسة الرومنة، ... ، ص.57.

شكل رقم(02): الملك يوغرطه متجها إلى اليسار والظهر فيل يركض إلى اليمين وتحته حرف ألف البونية الجديدة.

عن: محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنيـــة للكتاب، الجزائر، 1993، ص.93.

كان يوغرطه يطمح إلى الاستيلاء التام على سيرتا قبل المثول أمام البعثة الرومانيـــة التي هددته باستعمال روما القوة ضده، إن لم يمثل أمامها. فاضطر يوغرطه إلى المثـــول أمام تلك اللجنة. إلا أنه لم يتوصل إلى حل معها بسبب استماتته في الدفاع عن نفسه مـــن خلال تحميل مسؤولية الحرب لأذربعل[1].

بعد الفشل الثاني الذي منيت به اللجنة الثانية التي أرسلها مجلـــس الشـــيوخ إلـــى نوميديا أعاد يوغرطه حصار سيرتا وتمكن من اقتحامها والاستيلاء عليها سنة 112 ق.م، حيث تمكن من إلقاء القبض على ابن عمه أذربعل وأمر بتعذيبه حتى الموت[2].

كما أن يوغرطه لم يتوان في الفتك بالجالية الإيطالية التي كانت تقيم في سيرتا وكل مـــن كان حليفا لأذربعل[3].

وقد عرفت تلك الجالية بنشاطها السياسي إلى جانب نشاطها الاقتصادي والثقـــافي، زيادة على عملها على إذكاء الفتن، ويتضح ذلك من خلال عملها على تصعيد الخـــلاف بين ورثة العرش النوميدي، ودفع الرومان إلى التدخل العسكري[4].

بعد استيلائه على سيرتا يصبح يوغرطه بلا منازع سيد نوميديا كلها وموحدها من جديد. كما أن مملكته أصبحت متاخمة لإفريقيا الرومانية وباتت روما متأكدة أن يوغرطـــه الذي فتك بجاليتها المقيمة في سيرتا لن يثـــنيه أي مانع ولن تنقصه الجرأة على أن يهاجم الرومان في الولاية الإفريقية (الرومانية) والهدف لن يحيد عن السياسة الوطنية التي مـــا

(1) -Lacroix (M.L.), op.cit.,p.31.

(2) - Camps (G.), Jugurtha, ency.ber., T.XXVI, 2004, pp.3975-3978.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXVII

(4)- شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة ...، ص57.

فتئت تبرز لدى هذا الملك الشاب، وهو تحرير كل المنطقة المغاربيـــة وتوحيـــدها تحـــت رايته.

بعد أحداث سيرتا الأخيرة، ثارت ثائرة طبقة العامة في روما كمـــا طغـــى ذلـــك الغضب الشعبي المطالب بإعلان الحرب لتأديب النوميدي الذي أهان شرف الرومان على جلسات مجلس الشيوخ على حد تعبير سالوستيوس[1].

يبدو أن يوغرطه بات متأكدا من الرد العنيف الذي ستقدم عليه روما، لذلك نجـــده يعمل كل ما في وسعه من أجل تفادي ذلك، مستعملا شتى الطرق بما في ذلـــك التظـــاهر بموالاة الرومان والانصياع لهم.

وما الأحداث الأخيرة إلا ردود أفعال على سياسة ابـــن عمـــه أذربعـــل ولا تعنـــي الرومان. والواضح أن هدف يوغرطه من كل ذلك هو الحفاظ على وحدة نوميديا.

وحتى يثبت حسن نواياه لروما (يوغرطه) أرسل إلى روما وفدا برئاسة ابنه، وضـــم ذلك الوفد زيادة على ابن يوغرطه اثنين من النوميديين المقربين من الملك لشرح الموقف النوميدي والتفاوض مع أعضاء مجلس الشيوخ[2].

وقبل وصولهما إلى روما طلب القنصل بستيا (Bestia) من مجلس الشيوخ إن كـــان بالإمكان استقبال مبعوثي يوغرطه، فجاء الرد بالرفض القاطع. إذا لم يكن المجـــيء مـــن أجل تسليم المملكة والملك للرومان، مع إلزامية الامتثال التام للقوانين الرومانية[3].

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXVII.
(2) - Camps (G.), Jugurtha…, ency.ber., T.XXVI, 2004, pp. 3975-3978.
(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXVIII.

لقد عاد الوفد النوميدي دون أن يتمكن من دخول مدينة روما. كان ذلك بقرار من مجلس الشيوخ ذلك القرار الذي شكل إعلانا للحرب، حيث غادر بستيا إلى ولاية إفريقيا الرومانية أواخر ربيع 111 ق.م. وهو يقود جيشا قوامه 40.000 جندي وبعد مدة قصيرة توغل في الأراضي النوميدية، فاحتل بعض المواقع كما أسر بعض النوميديين، لكنه سرعان ما توقف إثر عقده للصلح مع يوغرطه، اعترف له فيه بالسيادة على كامل نوميديا باستثناء لبدة الكبرى (Léptis Magna) مقابل أن يدفع يوغرطه مبلغا زهيدا من المال وبعض المواشي والخيول والفيلة[1].

وبخصوص هذا الاتفاق يحاول سالوستيوس أن يسوق لنا سقوط بستيا ضحية إغراءات يوغرطه متهما إياه بالخيانة وتعاطي الرشوة على حساب الشرف الروماني[2].

ومهما يكن فإن يوغرطه كسب المعركة الأولى في أقصر وقت وبأقل ثمن[3] ذلك ما حمل مجلس الشيوخ على مسايرة الرأي القائل باستدعاء القنصل بستيا وإقصائه من منصبه[4] كما دعي يوغرطه لحضور جلسة المجلس كشاهد. إلا أنه بذكائه ومعرفته بواقع تركيبة مجلس الشيوخ الروماني، كان قد اتفق مع كايوس بيبيوس (C.Bébius) وبعض مناصريه على أن يلتزم (يوغرطه) الصمت لإفشال الجلسة عند مثوله أمام مجلس الشيوخ وذلك ما تم بحسب ما أورده سالوستيوس متهما كايوس بيبيوس بأنه باع ذمته ليوغرطه[5].

(1) - Oussedik (T.), La Berberie, T.I, ENAP/ENAL, Alger, 1989, pp .71- 72.
(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXIX .
(3) - Sahli (M.Ch.), op.cit., p .50.
(4) - Lacroix (M.L.), op.cit.,p.31.
(5) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XXXIV.

وفي أثناء إقامته في مدينة روما قام العاهل النوميدي يوغرطه بتدبير عملية اغتيال ماسيفا (Massiva)[1]، وهو أحد أبناء غولوسه عم يوغرطه، كان أحد المساندين لأذربعل في صراعه مع يوغرطه، وقد تمكن من الفرار من سيرتا بعد سقوطها في يد يوغرطـــه، فالتحق بروما التي رأت فيه الأنسب لحماية مصالحها في نوميديا، كما أنه سعى هو أيضا لينال رضا مجلس الشيوخ وتأييده في تولي عرش نوميديا بعد يوغرطه[2].

إثر هذه الأحداث التي أثارت ضجة كبرى في مجلس الشيوخ جاءت ردود الأفعال سريعة في روما مطالبة يوغرطه بمغادرة المدينة. وأخذ الرومان يجهزون لإعداد الحرب ثانية. وعين القنصل سوبرينوس ألبينوس (Sp.Postitumius Albinus) قائـــدا للقـــوات الرومانية ولعمليات الحرب في شمال إفريقيا[3].

هـــ. يوغرطه يخوض الحرب ضد الرومان (ثمن السيادة) :

بعد تعيينه على رأس الجيش الروماني نزل ألبينوس بإفريقيا سنة 110 ق.م علـــى رأس 40 ألفا من الجنود وهو عازم على القضاء على يوغرطه والانتقام للرومـــان قبـــل إجراء انتخابات مجلس الشيوخ الروماني، لكن مع دخوله العمليات العسكرية لـــم يســـتطع مواصلة الحرب بسبب الإرهاق الذي نال منه وجنوده من جراء إتباع يوغرطه لأســـلوب الكر والفر (حرب العصابات) فاضطر القائد الروماني ألبينوس إلى العودة إلى روما وهو يجر أذيال الهزيمة[4]، ذلك ما جعل الرومان يغيرون قيادة الجيش حيـــث تولاهـــا شـــقيق ألبينوس القنصل أوليوس ألبينوس (Aulus Albinus) الذي قاد حملـــة علـــى نوميـــديا،

(1) -Salluste, La guerre de Jugurtha, XXXV.

(2) -Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, p .169 ; Sahli (M.Ch.), op.cit., p. 51.

(3) - Camps (G.),Jugurtha ,ency.ber.,.. pp.3975 -3978.

(4) - Parterculus (V.),Histoire Romaine, trad.P.Hainselin et H. watelet ,éd, Carnier, Paris, 1932, LIV. II, 12.

فاستدرجه يوغرطه إلى موقع رآه مناسبا له، يقع قرب سوتول (Suthul)[1] في شهر جانفي 109 ق.م، حيث حاصر جنود يوغرطه الجيش الروماني من كل الجهات، فساد الذعر والهلع والخوف صفوفهم، فألحق بهم يوغرطه هزيمة نكراء[2].

فاضطر سوبروليوس ألبينوس إلى العودة عله ينقذ ما يمكن انقاذه. لكنه فوجئ بالوضعية المزرية التي كان عليها الجيش الروماني، حيث وجده يعاني من الفوضى وعدم التنظيم وانهيار معنوياته. ثم عاد إلى روما، التي بلغتها أخبار الهزائم التي منى بها جيشها. فأحدثت وقعا سيئا على نفوس سكانها وشوهت صورة القائد أوليوس(Aulius) [3].

---

[1]- لم يعرف موقع مدينة سوثول (suthul) رغم اعتقاد بعض المؤرخين أنها تقع على وادي ميلاق غير بعيد عن موضع التقائه بوادي مجردة، معتمدين في ذلك على ما أشار إليه ساليستوس حول الخصائص الجغرافية للمنطقة التي وقعت بها المعركة، حيث عمل يوغرطة على الإيقاع بالجيش الروماني في منطقة صعبة المسالك، للإجهاز عليهم بسهولة ،مستغلا حماس القائد الروماني أولوس ، الذي أغرته الغنائم التي كان يطمح إلى الظفر بها، فقرر الإغارة على الجيش النوميدي في سوتول ، إلا أنه قفل عائدا يجر أذيال الهزيمة، وفر جيشه إلى ما وراء الخندق الملكي (Fossa regia) ، وبذلك يكون يوغرطة أحرز نصرا هاما ودخل منعرجا حاسما في مقاومته للاحتلال الروماني. حول الموضوع أنظر :

- Salluste, La guerre de Jugurtha, XXXVII ; Lacroix (M.L.), op.cit.,pp.32-33;

– العربي عقون، المؤرخون القدامى، غايوس كريسبوس سالوستيوس (86–53 ق .م.) و كتابه حرب يوغرطة ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر ، 2006، ص .54.

[2]- فنطر محمد حسين، المرجع السابق...،ص .170.

[3]- كان من أثار هزيمة الجيش الروماني توقف مداولات جمعيات الشعب الناخبة (وهي هيئات شعبية وجدت في روما خلال العهد الجمهوري، من مهامها انتخاب القضاة، ومناقشة القضايا العامة) و دام توقفها طوال سنة 110 ق.م، وبدا القائد ألبينوس و كأنه المسؤول عن تراجع مكان الجيش الروماني، فقرر العودة إلى إفريقيا للانتقام و لكنه لم ينجح في ذلك .

يرجع المؤرخون الرومان أسباب هزائم الجيش الروماني في بداية حربهم ضد يوغرطة إلى عدم معرفتهم للطبيعة الجغرافية للمناطق التي جرت بها المعارك. و يبدو ذلك استعلاء منهم على كفاءة يوغرطة و قدرته على تسيير زمام الحرب بإتباعه إستراتجية جديدة لم يعهدها الجيش الروماني من ذي قبل، لأن جل المناطق التي جرت بها معارك الحملتين الأولى والثانية تقع شرق باجة(Vaga) ودوقة (Thugga) و تمتد إلى أوتيكا وهي مناطق معروفة لدى الرومان منذ سقوط قرطاجة سنة 146 ق م . أنظر : العربي عقون، المؤرخون القدامى...، ص. 55.

لقد بينت هزيمة الجيش الروماني في ستول سنة 110 ق.م مدى استعداد يوغرطه وكفاءته في قيادة حرب العصابات التي أذعرت الرومان مما جعلهم يختارون قيادة جديدة للجيش حيث اختير هذه المرة القنصل ميتيلوس (Metellus)[1] الذي أحسن اختيار مساعديه. حيث نزل بإفريقيا سنة 109 ق.م ومعه ضابطين عرف عنهما الدهاء السياسي والعسكري وهما ريتيلوس (P.Rutilus) وماريوس (Marius) [2].

عند مجيء ميتيلوس على رأس الجيش الروماني عزم على تنظيم الجيش ووضع حد للرشوة والفساد في صفوفه من خلال إصداره عدة تعليمات للجيش تخص تسيير المعسكرات وتحد من الفساد والارتشاء وعمل يوغرطه كل ما في وسعه من أجل إغراء القائد الجديد بالمال إلا أنه لم يستطع على حد قول ساليستوس[3].

إن هذا الأسلوب الذي انتهجه ميتيلوس في تسيير الجيش الروماني لم يعهده يوغرطه لدى السابقين من قادة الجيش الروماني، لذلك نراه يترك الجيوش الرومانية تتقدم نحو الغرب متتبعا لخطواتها وتحركاتها عن كثب[4].

يبدو أن العاهل النوميدي كان يحاول دراسة تحركات الجيش الروماني ويختبر قدراته وأساليبه في ظل القيادة الجديدة. لذلك نراه يترك ميتيلوس يتحرك نحو الغرب دون مقاومة. وقد استغل القائد ميتيلوس حلول موسم الحصاد للقيام بحملته تلك نحو الغرب لكي

---

(1) – كايكيليوس ميتيلوس (Q.caecilius Metellus) انتخب قنصلا في بداية سنة 109 ق م ، و تولى قيادة الجيش الروماني بإفريقيا و تنظيمه بعد وصوله إلى أرض إفريقيا في ربيع نفس السنة ، التي أنهاها في إعادة تنظيم وحدات الجيش الروماني الذي انهارت معنوياته من جراء هزائمه المتكررة على يد يوغرطة، فأقام ميتيلوس معسكره في موقع قريب من مدينة باجة (Vaga) وباشر الحرب في ربيع سنة 108 ق م. حول الموضوع أنظر :

- Mommsen (TH.), op.cit.,T.5, pp.10-11.

(2) -Saumagne (Ch.),"Le champ de bataille du Muthul, "revue tunisienne.1,1930,pp.3-17.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XLV.

(4)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص. 176.

يتيح الفرصة للرومان لجمع المؤونة والذخيرة حيث احتل مدينة باجة (Vaga) دون مقاومة تذكر. رغم كون المدينة تمتاز بأسواق الحبوب وتوافد الإيطاليين الذين يتاجرون في هذه المادة[1] ومن باجة اتجه نحو الجنوب الغربي لغاية وصوله وادي المثول (O.Elmuthul)[2] أين انقض عليه يوغرطه مع جيشه الذي كان متخفيا في التلال والغابات المجاورة، فألحق بميتيلوس وجيشه هزيمة ساحقة. وقد استفاد الجيش النوميدي من طبيعة التضاريس المختلفة والغابات والأشجار الكثيفة التي كانت تغطي المنطقة، زيادة على معنويات الجيش المرتفعة على ما يذكر سالوستيوس[3].

بعد ذلك اعتمد ميتيلوس على أسلوب مستهجن كعادة العسكرية الرومانية تمثل في تخريب المزروعات ونهبها وتحطيم أسوار القرى وإضرام النيران في كل ما تطأه أقدام جيشه. في حين أثبت يوغرطه ذكاءه وحنكته[4]، إذ لم يرضخ لتلك الأساليب الإرهابية وواصل الكفاح. فكان ينقض على الجيش الروماني ليلا فيقتل ويأسر كلما سمحت الفرصة بذلك. كما لجأ إلى تسميم الأعشاب والعيون حتى لا يستغلها الرومان[5] مما أربك ميتيلوس وجيشه من جراء حرب الاستنزاف

التي طبقها يوغرطه، فلجأ ميتيلوس إلى خطة لاستدراج يوغرطه، حيث هاجم مدينة زاما[6] وانتظر قدوم الملك النوميدي وجيشه لنجدتها، إلا أن يوغرطه اكتشف خطة

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XLVII.

(2)- وادي المثول، يعتقد س.جزال أنه وادي ملاق حاليا (تونس) أنظر :

- Gsell (S.), H.A.A.N., T.VI, p.190.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XLIX .

(4) - Mommsen (Th.) , op.cit., T.5,p.46.

(5) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LVI.

(6)- مدينة محصنة بالأسوار وتقع وسط سهل كبير، واحتوت عند مهاجمتها من قبل ميتيلوس على كل ما تتطلبه الحرب من المعدات والأسلحة والجنود، مما يوحي على أنها ليست زاما التي عرفت المعركة الشهيرة بين حنبعل وسيبيون. أنظر :

- Salluste, La guerre de Jugurtha, LVII.

ميتيلوس من خلال بعض الجنود الفارين من الجيش الروماني، وقدِموا إلى زاما فدعا حينها يوغرطه السكان للصمود في وجه العدو ووعدهم بنجدتهم في الوقت المناسب[1].

لقد بدأ ميتيلوس بتنفيذ خطته بالسير نحو زاما فباغته يوغرطه بالهجوم على معسكر جيشه، وقتل الكثير من حراسه وفي اليوم الموالي لذلك الهجوم أمر ميتيلوس كل فرسانه بالبقاء بالمعسكر لحراسة كل أبوابه قبل مواصلة المسير إلى زاما، وعندما أشرف الجيش الروماني على المدينة. وفي غياب الفرسان أمر ميتيلوس بالهجوم. وفي أثناء ذلك ظهر يوغرطه قادما لنجدة المدينة، وجرت معركة ضارية بين الطرفين أبلى فيها الفرسان النوميديون البلاء الحسن، مستغلين غياب الفرسان الرومان. مما انعكس سلبا على أداء المشاة في الجيش الروماني[2].

عاد ميتيلوس إلى إفريقيا الرومانية بعد هزيمته في زاما وفي جعبته خيبة أمل في الإيقاع بالملك النوميدي. وكان عليه انتظار انقضاء الشتاء لمعاودة الحرب. في حين استغل يوغرطه تلك الفترة لاسترجاع المناطق التي وقعت تحت السيطرة الرومانية، وتمكن من استرجاع باجة التي قضى على الحامية الإيطالية بها، ولم يسلم إلا قائدها توربيليوس سيلانوس (T.Turpiluis Silanus) الذي تمكن من الفرار من تلك المجزرة حسب ما أورده سالوستيوس[3].

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LVI .

(2)- فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص ص .190-191.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXVI-LXVII.

لقد استطاع ميتيلوس أن يهزم يوغرطه في ربيع سنة 108 ق.م ويسترجع باجة، فاضطر يوغرطه إلى اللجوء إلى مدينة تالة (Thala) وهي مدينة كبيرة وغنية يتواجد بهـا أبنـاء يوغرطه ومعظم كنوزه على ما يذكر سالوستيوس[1].

أدرك ميتيلوس معاناة يوغرطه وتأثره بهزيمة باجة، فأراد أن يفتك به. لكن يوغرطه تمكن من مغادرة تالة نحو قفصة (Capsa) ومنها سار إلى الغرب سالكا الصحاري، حاثا قبائل الجيتول على مساندته في التصدي للاحتلال الأجنبي[2].

استطاع يوغرطة بواسطة القبائل الجيتولية الوصول إلى الملـك المـوري بوكـوس (Bucchus)[*] وإقناعه بالوقوف معه ضد الخطر الداهم. ويشـير سالوسـتيوس إلـى أن "**الجيتول قوم متوحشون و برابر يجهلون اسم روما، استطاع يوغرطـه أن يلقـن مـن تحالف معه منهم الانقياد وحمل السلاح من أجل القتال**"[3].

نلاحظ من خلال نص سالوستيوس هذا استعلائه الكبير واستخفافه بـل اسـتهزائه بالشعوب المغاربية منطلقا من انتمائه إلى الحضارة اللاتينية، ورغم ذلك يبقى المصدر

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXV.

(2) - Rinn(L.),« Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha»,R.Afr., T . 29 , 1885, pp .180-81.

(*)-بوكوس: يعرف ببوكوس الأول ملك المورو أو موريطانيا التي تشمل المغرب الأقصى حاليا، وكانت مملكته تظـم القبائل المورية، التي استقرت غرب المملكة المازيسيلية من نهر الملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و تمتد جنوبا إلى أراضي الإثيوبيين، حسب ما أورده ج .ديزونج (J.Desange).

منح الرومان لبوكوس الأول الجزء الغربي من المملكة النوميدية بعد المؤامرة التي حبكها مع القائـد الرومـاني سـيلا للقبض على يوغرطة أنظر:

- Desange (J.),op.cit., p.35 ;

– محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام للنشـر و التوزيـع، الربـاط، 1989، ص.38.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXX.

الوحيد حول مقاومة يوغرطه. كما انه لا يخلو من بعض الحقائق التاريخية الهامة. فهذا النص أبرز لنا تلاحم القبائل المغاربية وتحالفها ضد الغزو الأجنبي على الرغم من العوائق الجغرافية العديدة.

في أثناء سير يوغرطه إلى قبائل الجيتول كان ميتيلوس قد بلغ تالة. وكعادتهم قام الرومان بالانتقام من سكانها الذين دافعوا عن مدينتهم ببطولة قل نظيرها، حيث فظلوا الهلاك جميعا على الاستسلام للرومان[1].

بعد إقناع يوغرطه لبوكوس على ضرورة دعم قضية الدفاع عن نوميديا ضد الاحتلال الروماني، تدعمت علاقة العاهلين بالمصاهرة حيث تزوج يوغرطه من إحدى بنات الملك بوكوس ويعتبر ذلك نجحا كبيرا أحرزه يوغرطه قد ينسيه هزيمة باجة وقرر العاهلان بعد توحيد رؤاهما حول القضايا المصيرية التي تربط بين مملكتيهما الهجوم على سيرتا التي كان ميتيلوس يعسكر بإحدى ضواحيها[2] وفي تلك الأثناء حدث تغيير في قيادة الجيش الروماني بإفريقيا حيث عين ماريوس (Marius)[*] على رأس الجيش خلفا لميتيلوس[3] وأحدث ماريوس غداة توليه قيادة الجيش الروماني بإفريقيا تغيرات كبيرة

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXVI.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXX-XXXI.

[*]-ماريوس (Marius): عاش فيما بين سنين (158– 86 ق.م)، أحد القادة العسكريين الرومان و أبرزهم ، ولد بمدينة أبينوم (Apinum) في جنوب روما، ينتمي إلى عائلة اتروسكية عريقة ، انظم مبكرا إلى الجيش الروماني و أظهر كفاءة عالية تحت إشراف سيبون الإيميلي في إيبيريا، و برز كقائد كفأ أثناء حصار نومانس (Numance) فيما بين 134–133 ق. م، و تولى العديد من الوظائف العسكرية منها كيستور سنة 121 ق م ، ثم تريبون (Tribun) سنة 119 ق م ثم بريتور (Préteur) ، وفاز بمنصب بروبريتور (Propréteur) على مقاطعة اسبانيا في السنة الموالية. وعين قنصلا سنة 107ق.م ليقود الحرب في نوميديا ضد الملك يوغرطة، و سيحسمها لصالحه سنة 104 ق م بمساعدة سيلا، الذي سيتحول إلى أكبر عدو له في الحزب الأرستوقراطي، توفي ماريوس سنة 86 ق م أنظر :

- Fredouille (J.C.),op.cit.,pp.100-101.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXII ; Rinn (L.), op.cit., pp.180-181.

حيث جلب جنودا من طبقة العامة كما رفع عدد جنود الفرقة الواحدة إلى 6200 جنـــدي، بعد أن كانت لا تتعدى 5000 جندي[1].

كما طلب الفرق المساعدة من الملوك حلفاء الرومان، ولم يجد مجلس الشيوخ بـــدا من الموافقة على طلبه[2].

بعد استرجاع سيرتا من قبل يوغرطه وبوكوس تفرقا بعد علمهما بقدوم مـــاريوس وتحصن كل منهما في المناطق ذات المسالك الصعبة لاستدراج ماريوس ومن ثمة تشتيت جيشه بعد مباغتته مثلما أراد يوغرطه بحسب ما أورده سالوستيوس[3].

لقد تأكد ماريوس بعد المواجهات الأولى بضواحي سيرتا من صعوبة تحقيق النصر بهذا الأسلوب. لذلك قرر القنصل الروماني وقائد جيشه مهاجمة المدن واحتلالها لاستدراج يوغرطه وبوكوس لنجدتها، فهاجم قفصة (Capsa) باعتبارها حسب سالوستيوس مركـــزا هاما رأى فيها ماريوس مدينة قد تمده بالشهرة مثلما أمدت تالة ميتيلوس بشهرة كبيرة في روما[4].

(1) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, pp. 227- 228.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXIV.

(3) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXVII.

(4) - كان على ماريوس أن يحقق نصرا بأي ثمن لرفع معنويات جيشه. وعلى هذا الأساس اتجهت أنظاره نحو قفصة وهي مدينة نائية تقع في الصحراء، أرضها غير قابلة للزراعة لافتقارها للمياه، وقد بلغها ماريوس خلال عشرة أيام من السير فأجهز على أهلها و أباد كل من فيها من الذين بلغوا سن القتال، ونهب ممتلكاتهم و وزعها على جنده، و لتبريـــر هذا الأسلوب الوحشي و الجريمة الشنعاء أشار ساليستوس كعادته متحاملا على النموديين إلى أن المدينة تمثل حصـــنا ليوغرطة و أن أهلها خونة و غادرين أنظر :

- Salluste, La guerre de Jugurtha, LXXXIX ;

– العربي عقون، المؤرخون القدامى ....،ص. 65.

باحتلال ماريوس لقفصة سنة 107 ق.م يكون قد حقق شعبية كبيرة ورفع معنويات جيشه، إضافة إلى قطع التموين المادي والمعنوي عن يوغرطه وبوكوس[1] ويبدو أن ذلك ما شجع ماريوس على الاستمرار في مواجهة الجيشين النوميديين وينتصر في جل المعارك التي خاضها حسب المؤرخ الروماني سالوستيوس حتى بلغ نهر الملوية (Mulusha) [2].

على الرغم من تقدم الجيش الروماني في ملاحقته يوغرطه بعد هزيمته في قفصة إلا أنه لم يستطع تحقيق نصر ساحق ينهي المقاومة خصوصا بعد التحالف بين يوغرطه وبوكوس، ذلك التحالف الذي طالما أقلق الرومان وعملوا كل ما في وسعهم من أجل تفكيكه، وفي هذا الصدد يشير بعض المؤرخين إلى أن ملاحقة ماريوس ليوغرطه غربا إلى قلعة تاوريرت (Taourirt) على إحدى ضفاف نهر الملوية وحصارها لعدة أيام، كان الهدف منه هو الضغط على بوكوس وتخويفه حتى يتخلى عن يوغرطه[3]، وقد استغل الملك النوميدي ابتعاد ماريوس عن سيرتا في استعادتها مع بعض المناطق المجاورة لها. كان ذلك في صيف 106 ق.م[4] إلا أنه لم يستطع البقاء بسيرتا طويلا، حيث تمكن ماريوس من استعادتها في نهاية 106 وبداية 105 ق.م حيث أقام معسكره بها في خلال هذه الفترة[5] بعد أن أجبره يوغرطه وبوكوس على خوض عدة معارك في ضواحي سيرتا، لكنه انتصر فيها بحسب ما أورده سالوستيوس الذي أشاد بالنقيب سيلا (Sylla)[6] في تلك المعارك وكان هذا الأخير قد عين مساعدا لماريوس في تلك الفترة[7].

(1) - Ousseddik (T.), op.cit., p .87.
(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XCII.
(3) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p.237 ; De la malle (D.) ,op.cit.,p.146.
(4) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, pp. 242- 243.
(5) - Mommsen (Th.) , op.cit., T.5, pp .144-146.
(6) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XCV .
(7) - Salluste, La guerre de Jugurtha, XCVII-CI.

وفي مقر إقامته بمعسكره بسيرتا استقبل ماريوس مبعوثين عن الملك بوكوس الذي أراد الدخول في هدنة مع الرومان بعد أن بدأ في التردد في مواصلة الحرب مع يوغرطه على ما يذكر سالوستيوس[1].

و. بوكوس و سيلا والتآمر على يوغرطه:

عند استقبال ماريوس لمبعوثي الملك بوكوس أبلغوه عن رغبة الملك في التفاوض من أجل إنهاء الحرب وفقا لمصالحه ومصالح الشعب الروماني وأنه يطلب إرسال اثنين ممن يثق فيهما لمقابلة الملك. وعلى الفور أوفد له ماريوس كل من : ل.سولا ومانليوس (A.Manlius) [2].

وفي أثناء اللقاء مع الملك بوكوس استطاع سيلا بذكائه ودهائه أن يقنعه بالتخلي عن مساندة يوغرطه ويصبح عنصرا أساسيا في مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطه[3].

وقد وصف المؤرخ سالوستيوس ذلك اللقاء حيث أشار إلى تناول سولا الكلمة أولا بعد أن تنازل له عنها مانليوس الذي يكبره سنا. وقد أثنى سولا على موقف الملك وأشاد بحكمته من خلال موقفه هذا كما وصف يوغرطه بالمجرم[4].

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CII.

(2)- بإرسال ماريوس كل من سيلا و ما نليوس و هما قائدين عرف عنهما الدهاء السياسي أكثر من التكتيك العسكري، تبدأ مرحلة جديدة في حرب ماريوس على نوميديا . فقد تقلص دور العمل العسكري ليبدأ العمل السياسي الذي يلعب فيه الدهاء دورا أساسيا، ومن ثمة فالمفاوضات ستكون لها الكلمة الفصل في إنهاء الحرب لصالح ماريوس حول الموضوع أنظر : قنطر محمد حسين، يوغرطة ...، ص.269.

(3)- غانم محمد الصغير، مقالات و آراء...، ص. 178.

(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CII.

كما أورد ذات المؤرخ رد الملك بوكوس الذي كان هادئا ولطيفا في كلمته محـــاولا توضيح موقفه من خلال التظاهر بالدفاع عن موقف يوغرطه، فيشير إلى أنـــه وإذ حمـــل السلاح إنما حاول الدفاع عن مملكته بعد رفض روما التحالف معه، وأعرب بعد ذلك عن أمله في التفكير في المستقبل دون العودة إلى أحقاد الماضـــي[1] ولـــم يكتـــف بوكـــوس بالتفاوض مع ماريوس بل أرسل بوفد إلى مجلس الشيوخ الروماني يطلب التحالف. فنـــال بوكوس عفو وثيقة الرومان لأنه نادم عما فعل في حق روما[2]، ولكـــن رفضـــت إبـــرام معاهدة تحالف معه لأسباب مجهولة[3] .

وفي أثناء تلك الفترة كانت لقاءات عديدة قد تمت بين سولا وبوكوس بحضور أحد الأمراء النوميديين المقربين من يوغرطه وهو (Aspar)[4] الذي يبدو أنه شـــعر بمكيـــدة الرومان لذلك حاول أن يقنع الملك بوكوس بضرورة إلقاء القبض على سيلا وأخذه كرهينة إلى يوغرطه ولكنه فشل في مهمته أمام إصرار بوكوس بعد أن أدرك تحول ميزان القـــوة لصالح الرومان على التخلي عن يوغرطه[5]، بل المساهمة الكبيرة في حبك مؤامرة إلقـــاء القبض عليه وتسليمه لسيلا في نهاية صيف سنة 105 ق.م[6].

(1) -Ibid.

(2) -kadra-Hadjadji (H.), op.cit., p. 199.

(3) - فنطر محمد حسين، يوغرطه...، ص. 279.

(4) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CVIII

(5) - غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص ص . 178– 179.

(6) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p .25.

اتفق سيلا مع بوكوس على إبلاغ يوغرطه عن طريق أسبار عن استعداد الرومان للتفاوض معه، فقدم يوغرطه إلى بوكوس مع الوفد المرافق له بدون سلاح ولكنه وقع في كمين نصبه بوكوس[1].

وقد ألقي عليه القبض بعد أن قتل كل من كان معه وهم عزل من أسلحتهم وسلم يوغرطه مكبلا بالأغلال إلى سيلا الذي نقله إلى ماريوس في نهاية صيف سنة 105 ق.م[2].

وفي أواخر سنة 105 ق.م نقل يوغرطه إلى روما واحتفل ماريوس والشعب الروماني بالقضاء على يوغرطه، رغم أنه تم عبر خيانة بوكوس وليس انتصارا في المعارك الحربية. إلا أن ذلك لم يمنع ماريوس من السير في روما بعربته التي تجر يوغرطه وولدين له، وبعد الاحتفال أخذ الملك النوميدي أسيرا ووضع في التوليانوم [3] بسجن روما إلى أن توفي بعد أن قضى 6 أيام بدون طعام في 104/01/07 ق.م[4].

ورغم إلقاء القبض على يوغرطه لم تمت المقاومة النوميدية بدليل أن ماريوس لم يغادر إفريقيا بعد المكيدة واستمر إلى نهاية السنة. مما يؤكد حسب بعض المؤرخين استمرار المقاومة في مناطق مختلفة من التراب النوميدي[5].

---

(1) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CXIII.

(2) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, pp . 258– 259

(3)- التوليانوم (Tullianum): زنزانة تحت أرضية سجن روما بعمق اثنا عشرة قدما، يصفها سالوستيوس بأنها محاطة بجدران ضخمة وسقفها عبارة عن قبة بنيت بحجارة ضخمة، مصقولة بشكل جيد ، و بأنها (الزنزانة) وسخة و مظلمة ، تنبعث منها رائحة كريهة ، و منظرها رهيب و مرعب حول التوليانوم أنظر:

(4) - Salluste ,Conjuration de Catilina,LV.
- Richard (J.C.), La victoire de Marius, M.A.H., vol.77, N°.01,1965,pp.69-86.

(5)- فنطر محمد حسين، المرجع السابق... ،ص ص . 298– 299.

الفصل الثاني: أوضاع نوميديا بعد فشل الملك يوغرطه ونهاية الدولة الإقليمية

1- التطورات السياسية في نوميديا بعد هزيمة الملك يوغرطه

2- قيصر والكيان السياسي النوميدي

أ- الحرب الأهلية الرومانية وانعكاساتها على نوميديا

ب- الملك يوبا الأول يتحالف مع بومبيوس (تبعية أم بحث عن سيادة ؟)

1- شخصية يوبا الأول

2- يوبا الأول يخوض الحرب إلى جانب بومبيوس

3- انتصار قيصر ونهاية الكيان السياسي النوميدي

4- الأمير أرابيون ابن ماسينيسان الثاني يجدد المقاومة

5- نوميديا مقاطعة رومانية

أ- النظام الإداري الروماني في نوميديا

ب- النظام العسكري الروماني في نوميديا

1. التطورات السياسية في نوميديا بعد هزيمة الملك يوغرطه:

لقد كان يوغرطه مخيرا بين أن ينال شرف لقب حليف الرومان وصديقهم ويُبقي على الجزء الذي منح له من المملكة النوميدية بعد وفاة الملك مكوسن ويساهم بذلك في تجزئة نوميديا مثلما أرادها الرومان. وبين أن يسعى لتوحيدها ومواجهة الرومان، فينال شرف مقاومة الأجنبي عن الأرض الإفريقية، ويخلد اسمه في التاريخ الإقليمي أو النوميدي.

فاختار الأمر الثاني ودفع حياته ثمنا لحبه للحرية، فأصبح فيما بعد رمزا للوطنية الصادقة. وكان بوكوس على غرار يوغرطه مخيرا بين أن يبقى حليفا ليوغرطه، وفقا لما تقتضيه تقاليد الانتماء العرقي والمصاهرة والقرابة الجغرافية والحضارية، فينال ما نال يوغرطه من شرف خالد. وبين ما عرضه عليه سيلا من مكاسب إقليمية لمملكته على حساب المملكة النوميدية، ومكاسب معنوية مثل حليف الرومان وصديقهم، ومختلف الأوصاف التشريفية الزائفة، فاختار الأمر الثاني.

لكن ما بين ما اختاره يوغرطه وما اختاره بوكوس فرق شاسع كالفرق بين الوفاء للوطن وخيانته. أو الفرق ما بين البطل الشجاع والخائن الجبان.

بعد تلك النهاية المأساوية للملحمة الخالدة من البطولة والاستماتة في الدفاع عن الوطن عبث الرومان بالمملكة النوميدية وعرشها من خلال مجموعة من الإجراءات والترتيبات التي رأوا فيها ضمانا لمصالحهم منها :

1. لقد منح ماريوس الثلث الغربي من المملكة النوميدية للملك بوكوس جزاء عمالته لهم ومساهمته الفعالة في حبك مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطه[1] وتخليص الرومان من خطره المهدد للوجود الروماني ليس فقط في نوميديا بل في كامل إفريقيا (المغرب القديم) كما تكرموا عليه بمنحه لقب حليف روما وصديقها.

2. تتويج الأمير غودا (Gauda) ابن مصتنبعل ابن ماسينيسان أي شقيق يوغرطه ملكا على الجزء الشرقي من نوميديا والمتاخم للولاية الرومانية، غير أن هذا الأمير كان يلازمه المرض وضعف الشخصية حسب ما أورده المؤرخ الروماني سالوستيوس[2].

يبدو من خلال تنصيب غودا على عرش نوميديا أن الرومان كانوا يسعون إقناع النوميديين بأنهم يحترمون تقاليدهم في تولي الحكم من خلال إيلاء العرش لغودا لأنه الأكبر سنا فيمن تبقى من العائلة المالكة، ومن جهة أخرى تعيين هذا الملك يجعل ماريوس مطمئنا على المصالح الرومانية لأن ضعف شخصيته ستجعله يخشى قوة الرومان وسطوتهم. ومن ثمة سيبقى خاضعا ومخلصا لهم[3].

وقد كان ماريوس محقا في ذلك حيث أصبحت نوميديا في عهد غودا سوقا لرجال الأعمال والتجار والجواسيس الذين يستغلون الثروات النوميدية لخدمة المصالح الرومانية.

---

(1)- تجهل الحدود الشرقية التي توقفت عندها المملكة الموريطانية (أي مملكة بوكوس) بعد هبة ماريوس لملكها .إلا أن س.جزال يضعها عند وادي الشلف فيكون حينئذ الثلث الذي منح لبوكوس هو الحيز الجغرافي الواقع بين وادي الشلف وملوية. أنظر :

- Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p . 264.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, LXV.

(3)- أصبحت المملكة النوميدية في عهد الملك غودا سوقا مربحة لرجال الأعمال و التجار و الجواسيس الإيطاليين، الذين يستغلون و ينهبون الثروات النوميدية و يعملون من أجل المصالح الرومانية في المملكة أنظر :

- Lacroix (M.L.) , op .cit.,p.44.

3. خلق مملكة في القسم الأوسط من نوميديا أي في وادي الشلف غربا إلى الحدود الغربية لمملكة غودا تمتد حتى صلداي (بجاية)[1].

أطلق عليها اسم الماستانزوسوس (Mastanesosus)، وقد وصفها الأستاذ قداش محفوظ بالوقائية وأن ماستانزوسوس هو ملكها[2] .

في حين يعتقد الأستاذ شنيتي م.ب أنها كانت منطقة حرة جعلها الرومان فاصلة بين موريطانيا الموسعة ونوميديا المصغرة خشية وقوع نزاع بين المملكتين[3].

4. دون شك فإن استغلال الثروات المختلفة في كل نوميديا المقسمة وفي موريطانيا الموسعة حيث استمر بوكوس إلى آخر أيام حكمه الممون الأساسي لروما سواءً بالمساعدات العسكرية أو المواد الغذائية كالقمح أو الحيوانات، خاصة ما تحتاج إليه سواءً في الحروب أو الاستعراضات[4].

5. كان لاستصدار الرومان للعديد من القوانين الخاصة انعكاساتها الهامة لاسيما قانون سارتورنوس لعام 103 ق.م والذي حصل بموجبه قدماء الجيش الروماني المحاربين ضد يوغرطه على أراضي زراعية تصل مساحة القطعة الواحدة إلى 25 هكتار خاصة الأراضي الإستبسية المتواجدة عند حدود الليمس إضافة إلى اعتبار مجلس الشيوخ الروماني للأراضي النوميدية ملكية للشعب الروماني باعتبارها أراضي الشعب المهزوم[5].

(1) - Mommsen (Th.), op.cit., T. 5, p.117.

(2)- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص . 107.

(3)- شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة... ،ص ص. 40-41.

(4) - Sahli (M.Ch.), op.cit., p .66

(5)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...،ص ص . 179-180.

لقد تحكمت في هذه الترتيبات والإجراءات الرومانية بنوميديا عوامل عدة منها الأوضاع الداخلية المتمثلة في الصراع السياسي والاجتماعي في روما، فثورة يوغرطه أحدثت آثارًا بعيدة المدى في روما كما أفقدت مجلس الشيوخ الروماني هيبته خاصة بعد أن أتضح تفشي الرشوة في أوساطه[1] زيادة على الحروب الخارجية وبعد الانتهاء من حرب نوميديا أجبرت روما على خوض حرب غالة[2].

وبعد كل هذه الترتيبات وما سينجر عنها على المغرب القديم سكانا وأرضا اعتقد الرومان أنهم قد أنهوا الخطر الداهم على تواجدهم الاستيطاني بالمنطقة والمتمثل في تماسك النوميديين ووحدتهم. وباطمئنان الرومان على مصالحهم في الشمال الإفريقي تدخل المنطقة فترة من الصمت والغموض تجهل أحداثها بشكل كبير امتدت تلك الفترة من نهاية يوغرطه إلى حملة قيصر على إفريقيا[3].

إذن فبعد وفاة غودا[4] شقيق يوغرطه سنة 88 ق.م خلفه ابنه هيمبصال الثاني[5]على عرش نوميديا والذي لم يحد عن سياسة والده تجاه الرومان .وتبعا لذلك

---

(1)- عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص . 51.

(2) - Salluste, La guerre de Jugurtha, CXIV.

(3)- شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة... ،ص . 41 ؛ حارش محمد الهادي، التطور السياسي... ،ص.69.

(4)- يشير ساليستيوس إلى أن غودا ابن مستنعل ابن ماسينيسان كان حليفا للرومان أثناء الحرب اليوغرطية ، و أن الملك مكوسن قبل وفاته قد أوصى له بالعرش بعد أبنائه (وريثا ثانيا). ذلك ما جعله على ما يبدو يطلب التقرب من القائد ميتيلوس و ملازمته، لكن القائد الروماني رفض ، مبررا ذلك بأن شرف الجلوس بجوار القنصل الروماني يناله الذين يحضون لدى الشعب الروماني بلقب ملك دون غيرهم.

لكن القنصل ماريوس أدرك بدهائه أهمية وجود أمير نوميدي حليفا للرومان،مثل غودا(الذي أرهقته الأمراض) لتولي العرش النوميدي إذا تم القضاء على يوغرطة. لذلك قربه منه تحضيرا له لحماية المصالح الرومانية على رأس المملكة النوميدية .حول الموضوع أنظر:

- Salluste, La guerre de Jugurtha, LXV.

(5)- يرى بعض المؤرخين أن هيميصال الثاني قد حكم في أقصى الشرق النوميدي، في المنطقة التي عرفت باسم بمملكة المزاق (Byzacene) ، التي ارتبط اسمها بمجريات الصراع بين ماريوس و سيلا . و بعد إزاحته عن=

انضم إلى مناصري سيلا في صراعه ضد ماريوس الذي فر إلى إفريقيا بعد سيطرة خصمه على روما في نفس السنة أي سنة 88 ق.م، وقد استغل هيرباس (Herbaces)[1] ذلك الصراع في مساندة ماريوس، مما مكنه من انتزاع السلطة من هيمبصال الثاني وضم إليه مملكة الأمير ماستانيزوس (Mastanesosus) أو ماستينيسا (Mastenissa) الذي كان يحكم المنطقة الواقعة بين طبرقة إلى صلداي[2].

لقد أصبح هيرباص يهدد مصالح روما في إفريقيا وأعاد إلى الأذهان ما أحدثه يوغرطه من خسائر لروما، لذلك كان لا بد لها أن تنهي حركة هذا الأمير بأقصى سرعة، حيث وبعد عودته من المشرق وإعلانه ديكتاتورا في أواخر سنة 82 ق.م، بعث سيلا بأحد قادته الأكفاء الشباب وهو بومبيوس (C.N.Pompeuis)[3] الذي استولى على صقيلية

=العرش من قبل هيرباص ، عاد إليه هيمبصال الثاني سنة 80 ق م أي عند انتهاء الصراع بانتصار بومبيوس على أتباع ماريوس ...لمزيد من المعلومات أنظر:

- La croix (M.L.), op.cit., p.46.

[1]- هيرباص: أمير نوميدي حكم في منطقة تقع غرب سيرتا عاصمتها بولا-ريجيا (Bulla-Regia)... لمزيد من المعلومات حول هذا الأمير النوميدي أنظر :

- Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, p . 281.

[2]- حارش محمد الهادي، التطور السياسي...،ص. 72.

[3]- بومبيوس الكبير: هو أحد القادة العسكريين و السياسيين الرومان البارزين، عاش فيما بين(106-48 ق م)، برز أثناء الصراع الدائر بين ماريوس و سيلا ، ناصر في بداية مشواره القائد ماريوس، و تراجع لصالح سيلا بعد عودة هذا الأخير إلى روما قادما من إفريقيا سنة 83 ق م، عين قنصلا سنة 70 ق م ، بعد سيطرته على صقلية وانتزاعها من أنصار ماريوس. لكنه دخل في صراع مع يوليوس قيصر و كان النصر حليف هذا الأخير بعد مقتل بومبيوس سنة48 ق م ... لمزيد من المعلومات حول بومبيوس أنظر :

- Plutarque, Vie de Pompée, IX-XX ;

- مصطفى العيادي، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري و مصر الرومانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ ،ص ص. 47-50.

فعبر إلى إفريقيا وكلفه بمهمة القضاء على ماريوس ومناصـــريه هيربـــاس ودوميتيـــوس (N.Domitius Aenobarbus) [1].

وقد تمكن أتباع سيلا من الانتصار في إفريقيا حيث قتل دوميتيوس وخلع هيربـــاس من العرش النوميدي الذي أعيد إليه هيمبصال الثاني، وأضيفت له مملكة هيربـــاس مـــع بعض من أراضي القبائل الجيتولية[*] كما أعيد ماستينيسا إلى الحكم أيضا[2].

لقد استقرت الأوضاع السياسية في المملكة النوميدية بعد إعادة هيمبصـــال الثـــاني للحكم والذي يصفه بعض المؤرخين بكونه لا يميل إلى الحـــرب إذ كـــان يتـــذوق الآداب والفنون مثل حفيده يوبا الثاني فيما بعد وذلك ما يفسر استمرار الارتباط الوثيق بالرومـــان وعلاقته الحسنة معهم طيلة العشرين سنة (20 سنة) التي قضاها في الحكم[3].

---

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص . 163.

[*] رغم أن ساليستيوس لم يقدم لنا معلومات وافية حول بلاد الجيتول ، إذ لم يتعد ذكره بأنها تقع وراء جبال الأطلـــس وأن القبائل الجيتولية تنقسم إلى قسمين: فمنهم المستقرون والمرتحلون .إلا أن الباحث "العربـــي عقـــون" فـــي كتابـــه المؤرخون القدامى يحدد موقع القبائل الجيتولية وذلك اعتمادا على قائمة بوتنجر (Peutinger) في الجنوب النوميـــدي الذي يظم مناطق وادي ميزاب، وادي ريغ، وادي سوف، الأوراس، الجريد والحظنة.أنظر :

- Salluste, La guerre de Jugurtha ,XVIII, XIX;

– العربي عقون ، المؤرخون القدامى ...، ص ص.44–45 .

[2] - Mommsen (Th.) , op.cit., T.5, p . 342 ; Gsell (S.), H.A.A.N., T.7, p .281.

[3] - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, pp . 292.

2. قيصر والكيان السياسي النوميدي:

1. الحرب الأهلية الرومانية وانعكاساتها على نوميديا:

حتى نفهم الأحداث التي جرت في الدولة النوميدية لابد أن ندرس الأحداث في روما لأن الأوضاع في الشمال الإفريقي كانت دوما مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يجري في روما من تجاذبات سياسية وصراعات عسكرية، وذلك منذ أن وضع الرومان قدما لهم في إفريقيا، مع نهاية الحرب الرومانية القرطاجية الثانية 218-201ق.م، وعلى ذلك الأساس فقد ناصرت فئة من النوميديين الرومان معتقدة أن مناصرة الطرف الروماني يضمن القوة والاستقرار للدولة النوميدية، في حين ارتأت فئة أخرى من النوميديين أن الحكم في نوميديا يجب أن يكون في يد النوميديين أنفسهم، وأن القوى الأجنبية كالرومان أو حتى القرطاجيين من قبلهم لم يكونوا إلا مظهرا من مظاهر الاستغلال والسيطرة الأجنبية التي كان لزاما على أبناء إفريقيا التخلص منها، وهو الذي كان يعمل على تطبيق شعار إفريقيا للأفارقة إن ثبت وجود هذا الشعار في ذلك الوقت على حد قول أ.غانم محمد الصغير في معرض حديثه حول علاقة نوميديا بروما أثناء مرحلة الضعف الذي مرت به المملكة[1].

وعلى هذا الأساس فإننا نجد النوميديين الذين حكموا الدولة النوميدية في غالب الأحيان كانوا يتأرجحون بين مناصرة أحد الأطراف التي كانت تحكم روما، بل كان الحكام النوميديين مرتبطين حتى بالصراعات المسلحة بين تلك الأطراف التي تحكم روما، أو تتصارع من أجل حكمها، رغم أن ذلك الارتباط الأعمى كان يكلف الدولة النوميدية التنازل عن سيادتها الإقليمية واستغلال ثرواتها وخيراتها الاقتصادية2.

---

(1)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص.118.

(2)- Warmington (B.H.), op.cit.,p.239.

إذن كان النوميديون مرتبطون بالتركيبة السياسية للمجتمع الروماني، الذي كان مقسما إلى طبقتين بارزتين ومتنافستين على حكم روما باستمرار وكان الحكم متداولا بينهما على الدوام وهما طبقتين الأشراف والعوام (Les Siniores) و(Les Plebes).

نجد أن الأشراف ينحدرون من الأجناس البشرية التي كانت بمدينة روما منذ تأسيسها(*) وغالبا ما كانوا يستأثرون بالسلطة والمناصب السياسية والإدارية والعسكرية في المدينة، ويتمتعون بكامل الحقوق الرومانية بقسميها العام والخاص وإذا تحصل الشخص في روما على القسمين من الحقوق فقد تحصل على حقوق المواطنة، الرومانية، بينما كان العوام يتشكلون من سكان القرى المجاورة لمدينة روما والتي شملتها بعد توسعاتها وضمها لتلك القرى، ولم تكن لديهم الحقوق التي تمتع بها الأشراف إلا بعد كفاح وصراع طويل مع الطبقة الأخرى وظل ذلك الصراع قائما طوال عصري الملكية والجمهورية[1].

(*)- عن تأسيس مدينة روما، ليس هناك من الدراسات الحديثة التي تعطينا تاريخا يقينيا سواء تعلق الأمر بالدراسات الآثارية الحديثة أو الأساطير شديدة القدم، لكن ما هو متوفر حاليا واعتمادا على بعض المؤرخين القدامى الذين تناولوا تأسيس مدينة روما كحدث هام أمثال المؤرخ اللاتيني (ماركوس تيرينتيوس فارفو (Marcus Terentius Reatinus Verro) الذي يعتقد أن تاريخ تأسيس مدينة روما هو 21 أفريل سنة 753 ق.م ويذكر أنه استند في ذلك على أحد المنجمين الرومان الذين عاصروه وهو لوكيوس تاروتيوس فرمانوس (Lucuis Tarutius Firanus) ثم تشير بعض الدراسات إلى أن اسم روما مشتق من اسم مؤسسها روميلوس (Romulus) إلا أن الباحثين المحدثين يخالفون الطرح الأسطوري لتأسيس المدينة معتمدين على الأبحاث الآثارية...لمزيد من المعلومات أنظر:

-Barrow(R.H.),les Romains,Trad.Matigon(M),Petite Bibliothèque,Payot,Paris,1962, p.20.

(1)- نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج1، مطبعة الكمال، دمشق، 1965، ص.513.

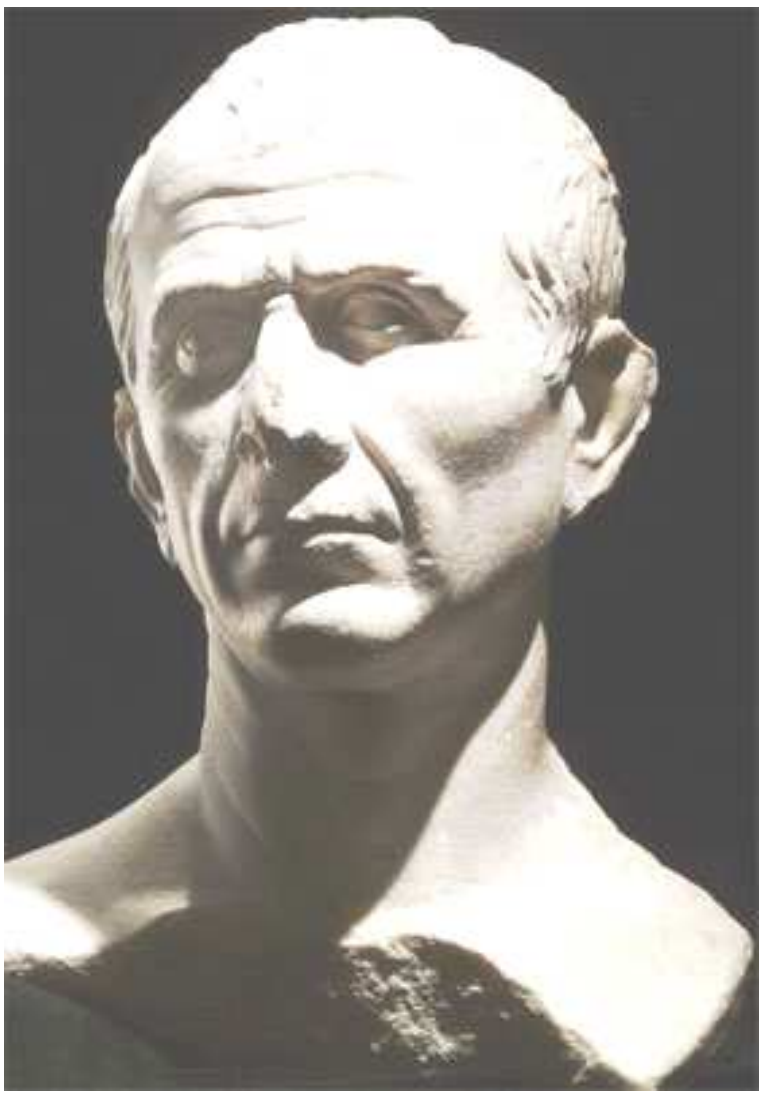

شكل رقم(03): تمثال نصفي لقيصر

عن: عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص.222

ومع تنامي قوة روما العسكرية وتزايد هيمنتها في الحوض الغربي للبحر المتوسط ومناطق كثيرة من أوروبا وصولا إلى إنجلترا، اشتد الصراع بين الطبقات السياسية والاجتماعية المشار إليها آنفا من أجل التوافق في الحقوق الأساسية كمواطنين رومان، فانعكس ذلك الصراع بشكل بارز على سكان المقاطعات الخاضعة للسلطة الرومانية، وحدد ذلك وفقا للمنظور الروماني إلى موالين لطبقة الأشراف وموالين لطبقة العامة، أو بتعبير آخر: صنف سكان الولايات بين مؤيدين لطبقة الأشراف ومعارضين لها على حد تفسير أ. غانم محمد الصغير[1].

وطبقا للأسلوب التأثير في الولايات والذي مس بصورة أساسية منطقة شمال إفريقيا، كانت المنطقة معرضة لآثار التحولات السياسية التي كانت تتأرجح عليها روما وبالضرورة **ستتحمل** تبعات ذلك الصراع بين أشراف وعوام مدينة روما، لاسيما السلبية منها[2].

وفي نفس السياق عملت روما على التحكم الوثيق في الاقتصاد النوميدي منذ أن وضع الرومان قدما لهم في المنطقة المغاربية وذلك بربط الاقتصاد النوميدي بالروماني لكي تتم تبعية الشمال الإفريقي بروما، وكان ذلك يتم عبر مراحل متعددة وذلك بدأ بتشجيع إقامة جاليات إيطالية في المدن النوميدية الداخلية والموانئ الساحلية، وصولا إلى إعطاءها صفة وكالات تجارية أو فلاحية، في ظاهر نشاطها، غير أنه كان لتلك الجاليات دورا هاما في توجيه السياسة الداخلية لملوك وحكام نوميديا وفقا لمصالح روما[3].

---

(1)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص.121.

(2)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص.122.

(3)- نفسه.

ولعل ما ساهم في رسم معالم الشرق النوميدي أثناء فترة قيصر هو الوضعية الصعبة التي مرت بها الدولة النوميدية منذ مؤامرة بوكوس-سيلا (Bocchus-Sylla) سنة 105ق.م والتي مكنت الرومان من إلقاء القبض على الملك يوغرطة، ومن ثمة تقسيم المملكة النوميدية إلى ثلاث أجزاء، أهمها الجزء الموالى لموريطانيا وقد منح للملك الموريطاني بوكوس كمكافئة له على تعاونه المثمر مع الرومان والذي أفضى إلى إلقاء القبض على الملك يوغرطة، ونال من خلاله الملك بوكوس لقب حليف الشعب الروماني على ما يذكر ساليستيوس[1].

ويذكر المؤرخ الألماني ت-مومسن (TH.Mommsen) أن الثلث الأوسط والمحاذي للثلث الذي منح لبوكوس قد عين على رأسه ملك مجهول؛ وأن تلك المملكة كان يطلق عليها اسم المستانيزوزوس (Mastanisosus)، ويعتقد ذات المؤرخ أن هذه المملكة جعل منها الرومان منطقة محايدة تفصل بين مملكة بوكوس ومملكة غودا شقيق يوغرطة الذي نصب في المثلث المتنقي من مملكة يوغرطة وتمتد من مدينة صالداي (Saldae) بجاية إلى المقاطعة الرومانية الذي أنشأها الرومان بقرطاجة[2].

من المتعارف عليه أن روما قبل أن تعيش أحداث الصراع بين بومبيوس (Pompius) وقيصر (Cesar) كانت قد شهدت صراعا شرسا بين القادة العسكريين وقد وصل المؤرخون الكثير من أخبار ذلك الصراع بين أنصار سيلا وماريوس الذي توفي سنة 86 ق.م وكان مسرح ذلك الصراع بلاد المغرب القديم[3].

(1) -Salluste,cx.

(2) -Mommsen (th.), op-cit, t.v, p.11

(3)- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية...، ص.223.

وفي معرض حديثه عن صراع سيلا وماريوس وتداعياته على الشمال الإفريقي ساق لنا المؤرخ الروماني ساليستيوس أخبار أحد الأحرار النوميد يدعى هيرباس (Hirbas)، استغل ذلك الصراع وانشغال الأطراف المتصارعة بفصول الأزمة بين القائدين المشار إليهما سابقا فقام بالتمرد على السلطة الرومانية وانتزع الحكم من الملكين النوميديين هيمبسال الثاني وماسنيسان الثاني وأعلن توحيد المملكة النوميدية من جديد تحت حكمه، بعد أن استمال إلى صفه أنصار ماريوس في المملكة النوميدية(1).

تم ذلك والقائد سيلا كان منشغلا بحربه ضد خصومه في المشرق، غير أنه بعد الانتهاء من تلك الحرب تم إعلانه ديكتاتورا في روما سنة 82 ق.م ولاستعادة الأمن في أنحاء الجمهورية الرومانية أرسل قائده: ك.ن. بومبيوس (C.N.Pompeius) إلى الشمال الإفريقي لغرض القضاء على فلول أتباع ماريوس هناك وانتزاع الحكم من الملك النوميدي هيرباس وإعادته للموالين له(2).

ويشير في السياق ذاته المؤرخ الروماني ساليستيوس إلى أن الملك النوميدي هيمبسال الثاني قد ترك مؤلفا مكتوبا باللغة البونية (قد تكون البونية الجديدة) وصف فيه المؤلف سكان المنطقة اللوبية والنوميدية تحديدا، وهو الكتاب الذي اعتمد عليه سالستيوس ذاته في صياغة كتابه المعروف حرب يوغرطة (La Guerre De Jugurtha)(3).

ومعروف أن السيطرة الرومانية في الولايات الإفريقية تعاظمت، أثناء الفترة الإمبراطورية على ما كانت عليه أثناء فترة الجمهورية، حيث سعى الأباطرة الرومان إلى توسيع رقعة الإمبراطورية مع ضمان وحدتها فقسموا الولايات إلى ولايات سيناتورية

(1) –Salluste, jugurtha, XVIII.

(2)– غانم محمد الصفير، المملكة النوميدية...، ص.224.

(3) – Salluste, jugurtha, XVIII.

خاضعة إداريا لمجلس الشيوخ وأخرى إمبراطورية تتبع رأسا الإمبراطورية يحكمها بروبريطور (Propraetor) الذي يعينه الإمبراطور شخصيا، ومن ثمة فالصراع بين الإمبراطور ومجلس الشيوخ كان سيد الموقف بسبب الرغبة في الاستحواذ على ما تدره الولاية النوميدية من عوائد مادية ومدى استفادة الاقتصاد الروماني مع مواردها المختلفة(1).

هذا ما ميز الساحة الرومانية قبيل الحرب التي ستعرفها إفريقيا عموما والمملكة النوميدية على وجه الخصوص، إلا أنه لم تشر الكتابات اللاتينية الرومانية إلى الظروف التي تولى فيها يوبا الأول العرش النوميدي بعد وفاة والده هيمبسال الثاني كما لم تشر ذات الكتابات إلى خلفيات انحياز الملك النوميدي إلى بومبيوس على حساب قيصر وأنصاره(2).

2. الملك يوبا الأول يتحالف مع بومبيوس (تبعية أم بحث عن السيادة ؟):

1. شخصية يوبا الأول:

لم يصلنا الكثير من المعلومات حول حياة الملك يوبا الأول(3) قبل حربه ضد يوليوس قيصر، ولا الظروف التي تولى فيها السلطة في نوميديا.

---

(1) - Albertini (E.), L'Afrique Romane..., pp.36-38.

(2) -Albertini (E.) et Autres, L'Afrique Du Nord Française Dans L'histoire, Alger, 1953,pp.57-58.

(3) - أورد المؤرخ إرنست ميرسيي بعض الصفات التي ميزت يوبا الأول عن غيره من الأمراء النوميد، فيذكر بأنه كان متسما بالشجاعة ، والإقدام والنشاط والحيوية وحب البروز بالزي العسكري... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Mercier (E.) , Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, 1830,(03vol),T.1, éd. Ernest Leroux, Paris,1888, p.74.

غير أنه يعتبر الابن البكر لهيمبصال الثاني، نشأ في القصر الملكي في أحضان والده. كان الأمير يوبا الأول منذ صغره ميالا إلى الظهور بالمظهر الفاخر في شخصيته وفي هندامه، محاولا الحفاظ على عادات وتقاليد وطنه. وكثيرا ما كان ينبذ تقليد الرومان والإغريق، كما كان شغوفا إلى العمل العسكري خلافا لوالده هيمبصال الثاني[1] .

شارك يوبا الأول في الحياة السياسية للمملكة النوميدية بصفته أميرا، حيث كلفه والده بمهمات دبلوماسية عديدة، فلفت انتباه الخطيب الروماني الشهير شيشرون[*] وهو يقوم بإحدى مهماته الدبلوماسية في روما فيما بين سنتي 64 إلى 36 ق.م[2] . وعندما تولى الأمير يوبا الأول العرش سنة 50 ق.م كان قد تمرس وتدرب على العمل السياسي، بل أصبح يتطلع لأن يكون ملكا حقيقيا، على غرار الملوك الإغريق، فجعل حرسه من الفرسان الأجانب[3] خاصة الإسبان والغاليين[4].

(1) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.7, pp. 292- 293.

[*] ماركوس توليوس شيشرون (Marcus Tullius Ciceron) : كاتب وسياسي روماني، يعتبر خطيب روما المميز، ولد سنة 106ق.م بمدينة أربينوم (Arpinum)، حوالي 10 كم جنوب شرق روما. صاحب إنتاج فكري ضخم ويعتبر نموذجا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي.

لقد أثارت شخصيته الكثير من الجدل و التقويم المتضارب وخاصة في الجانب السياسي من حياته . فهو تارة مثقف في وسط سيء ،وتارة أخرى ثري إيطالي يبحث عن مكانة ضمن أثرياء روما، و تارة أخرى انتهازي متقلب وأداة طيعة في يد الملكية، فهو متملق لبومبيي ثم لقيصر. توفي شيشرون حوالي سنة 43 ق م. حول الموضوع أنظر:

- Fredouille (J.C.),op.cit., pp.32-33.

[2]– حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص...، ص. 255.

[3]– قداش محفوظ، المرجع السابق، ص.108.

[4]–الغاليون (les gaulois) هم سكان منطقة غالة (Gallia) التي تضم المناطق الواقعة إلى الغرب من ايطاليا (فرنسا وبلجيكا)، وقد صنف الرومان هذه المنطقة إلى إقليمين: إقليم غالية ما وراء جبال الألب (Gallia transalpine)، و تقطنها مجموعات سكانية متعددة، أهمها الكلت (les celtes)، وكان غاليو هذا الإقليم قد ساندوا حنبعل أثناء حملته الثانية ضد روما خلال الحرب البونية الثانية. حول الرومان هذا الإقليم رسميا إلى مقاطعة رومانية بعد الحرب التي قادها يوليوس قيصر ضده سنة 51ق. م، وأنشأ به العديد من المدن أهمها ليون (Lyon).=

2. يوبا الأول يخوض الحرب إلى جانب البومبيين:

منذ توليه العرش حاول يوبا الأول فرض سيطرته المطلقة على مملكته، حيث قام بالعديد من الحملات العسكرية ضد القبائل التي كانت ترفض سلطته وأخضعها بالقوة كما كان على خلاف مستمر مع جيرانه الموريطانيين[1]. لم يكتف يوبا الأول بتزيين عاصمة مملكته زاما بالقصور الفاخرة، بل حصنها بأسوار ثلاثية للدفاع عندما يقتضي الأمر ذلك[2].

وفي أثناء الصراع بين قيصر (Cesar) وبومبيوس انحاز يوبا الأول إلى الثاني، ففي 11 جانفي 49 ق.م أخذ صراع قيصر مع خصومه أبعادا أخرى حيث خرجوا من إيطاليا لتنظيم صفوفهم في البلقان وأسبانيا وإفريقيا.

قاد قيصر بنفسه الحملة ضد أسبانيا في حين كلف قائده كوريون (Curion)[3] بالذهاب

=أما الإقليم الثاني فيشمل غالة القريبة (Gallia cisalpine) والواقعة ما بين الألب و الأبينين (Les Apenins)، أخضعها الرومان إلى سلطتهم بداية من القرن الثالث قبل الميلاد، وكان اندماجها في ايطاليا سريعا، تحولت إلى مقاطعة رومانية سنة 81 ق. م لتدمج في ايطاليا بشكل نهائي بداية من سنة 42 ق. م حول الموضوع أنظر:

-Fredouille (J.C.),op.cit., pp.69-70.

(1)- يبدو أن السياسة الإفريقية التي انتهجها الملك يوبا الأول كانت وراء اختلافه مع الحكام الموريطانيين الذين لم يكن لديهم نفس الطموح الذي راود يوبا الأول لبناء مملكة قوية مستقلة عن الهيمنة الرومانية ، أنظر: قداش محفوظ، المرجع السابق، ص. 108.

(2) - Gsell (S.) ,H.A.A.N.,T.VII,293.

(3)- يعتبر كوريون(curion)أحد القادة الأوفياء ليوليوس قيصر ، حيث كان إلى جانبه في حرب غاليا واسبانيا، عرف كوريون على غرار كل الرومان بحقده الدفين على نوميديا، فقد اقترح على مجلس الشيوخ مشروع قانون يتضمن إلحاق نوميديا إلى الأراضي الرومانية ، قبل الصراع بين قيصر وبومبيوس. و يبدو و أن ذلك ما جعل قيصر يكلف بقيادة العمليات العسكرية باسمه في افريقيا، قبل انتقاله إليها شخصيا. رغم أن كوريون لم يكن ذو كفاءة عسكرية فائقة مثل كفاءته السياسية. أنظر:

- Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VII,295;

- إبراهيم نصحي تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى 133 ق.م، ج2 ، مكتبة الأنجلو- مصرية، القاهرة، 1983، ص.629.

إلى إفريقيا لمحاربة حاكم أوتيكا آتيوس فاروس (P.Attius Varus) [1] الموالي لبومبيوس الذي تحالف مع يوبا الأول بعد انتصاره على كاتو[2] بصيقلية نزل كوريون برأس بون (شمال شرق تونس) وحاصر أوتيكا، وحينها تنقل يوبا الأول بنفسه لنجدة فاريوس حاكم أوتيكا والانتقام من كوريون الذي طالب في إحدى جلسات مجلس الشيوخ ضم نوميديا إلى الأراضي الرومانية[3].

وفي أثناء المعركة حقق جيش كوريون انتصارا جزئيا استدرجه يوبا وجيشه حيث الموقع الملائم له، وكاد أن يبيده عن آخره، وحينها طلب يوبا الأول برأس كوريون نفسه، وعند مقتله جيء برأسه إلى الملك يوبا الأول الذي دخل أوتيكا منتصرا[4] وعندما بلغت أخبار تلك المعركة بومبيوس منح مجلس الشيوخ الموالي له لقب حليف الشعب الروماني للملك النوميدي، في حين قرر مجلس الشيوخ الموالي لقيصر أن يوبا الأول وبومبيوس ألد أعداء الشعب الروماني[5].

---

(1)- أتيوس فاروس (Attius Varus) :أحد القادة العسكريين الرومان ، تحالف مع بمبيوس ضد قيصر أثناء الحرب الأهلية الإيطالية ، فر فاروس إلى المقاطعة الإفريقية واستطاع الإطاحة بحاكمها توبيرون (Tubéron) المقيم في أوتيكا والذي كان مواليا لقيصر. باستلائه على أوتيكا جعل فاروس من إفريقيا مقاطعة مستقلة عن سلطة مجلس الشيوخ الروماني، فانظم إليه يوبا الأول كحليف إلى جانب بومبيوس ضد قيصر أنظر:

- Lacroix (M.L.), op.cit.,p.47- 48.

(2)-كاتو حفيد كاتو الأكبر الذي ارتبط اسمه بتدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، عين حاكما على صقلية وساند بومبيوس ضد قيصر وقد أسندت له مهمة الدفاع عن مدينة أوتيكا، ضد قيصر. ومات منتحرا بعد هزيمته اتباع بومبيوس أمام قيصر ولقب بكاتو الأوتيكي تمييزا له عن جده كاتو الأكبر أو الرقيب. انظر: عبد اللطيف احمد علي، التاريخ الروماني، عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 278.

(3) - Gsell (S.) ,H.A.A.N.,T.VII,P.29.

(4)- شارل آندري جوليان، المرجع السابق، ص. 164.

(5)-Berthier (A.), La Numidie,Rome et le Maghreb,…, p. 83

بعد مقتل كوريون وهزيمة أنصار قيصر في إفريقيا تعاظم شأن الملك النوميدي في أعين النوميديين والرومان على حد سواء، والظاهر أن الرومان (البومبيين) عندما شاهدوا كفاءة الجيش النوميدي أصبحوا يراهنون عليه لقهر أنصار قيصر فأطلقوا وعودا لتحفيز الملك النوميدي على الوقوف إلى جانبهم في المعارك المقبلة من ذلك :

1- فتح المقاطعة الرومانية بإفريقيا للنوميديين في حال انتصارهم على عدوهم اللدود قيصر.

2- تقديم يد العون للملك يوبا الأول لأجل أن يصك عملة خاصة به سنة 49 ق.م[1].

لعل هزيمة القائد الروماني كوريون على يد الملك النوميدي يوبا الاول غيرت من نظرة قيصر و اتباعه للحرب الدائرة رحاها في افريقيا، فكان لزاما عليهم قراءة الاوضاع بأكثر جدية ومن ثمة كان لزاما عليهم تدعيم صفوفهم بامدادات عسكريه اضافة الى تغيير خططهم الحربية، كما فتحت الشهية على ما يبدو أمام الملك النوميدي لكي يبرز أمام أنصاره في ثوب المنتصر أو على الاقل الحليف الذي يوثق فيه، كما فتح المجال واسعا أمام البومبيين من أجل الاعتماد عليه.

ومما حفز الملك يوبا الأول للاستمرار في مناصرة حزب البومبيين كون قيصر يتزعم حزب العامة ذو التوجهات التوسعية، من ثمة مناصرة النوميديين لأنصار بومبيوس يكونون قد اختاروا أهون الشرين[2].

(1)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص. 192.

(2)- شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص . 62.

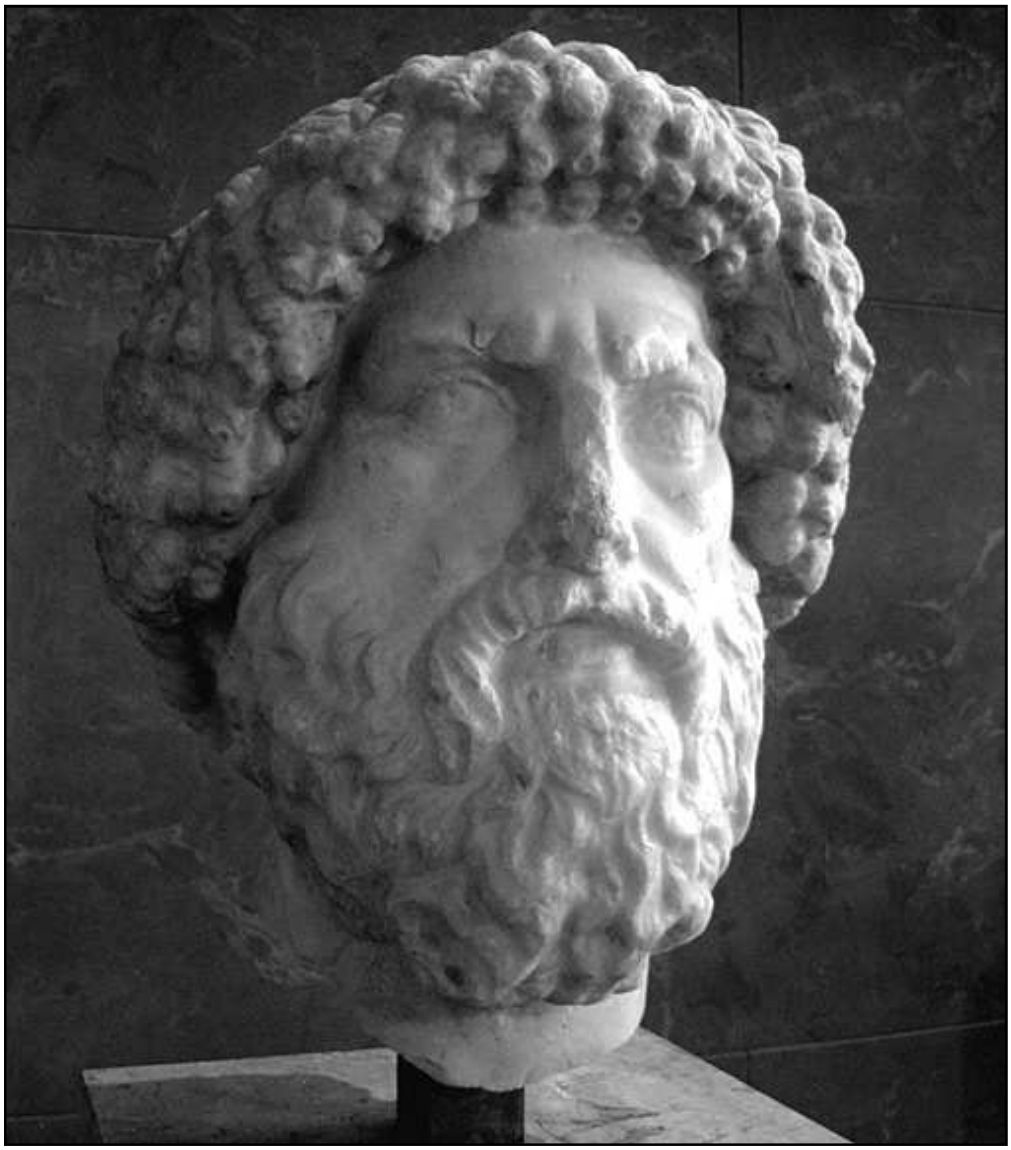

شكل رقم(04): تمثال نصفي للملك يوبا الأول

عن: أحمد السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائـــر القديمـــة، دار القصـــبة للنشـــر، الجزائر،2007 ، ص.176

لقد انتقل معظم أنصار بومبيوس إلى شمال إفريقيا بعد مقتل زعيمهم في معركة فارسالوس في جوان 48 ق.م[1]، وبدأوا يحضرون أنفسهم لخوض معارك أخرى أكثر ضراوة، فتمكنوا في فترة قصيرة من جمع 40.000 جندي من المشاة و 15.000 فارس إضافة إلى قوات يوبا الأول المعتبرة وتمركزوا جميعا حول أوتيكا[2].

وأمام التطورات الخطيرة في الجبهة الإفريقية قرر قيصر الذهاب بنفسه إلى إفريقيا لإخماد الحرب هناك والقضاء على معارضيه البومبيين، فبعد إقامته في مصر مدة 09 أشهر انتقل إلى روما لإخماد نار الاضطرابات الاجتماعية ثم أبحر باتجاه إفريقيا حيث نزل بالقرب من حادرومات (Hadrumète)(*) يوم 28 ديسمبر 47 ق.م بجيش قوامه 10 كتائب تظم 60.000 جندي و 15.000 فارس[3].

بعد وصوله إلى السواحل الإفريقية حاول قيصر السيطرة على حادرومات (سوسة) لكنه لم يتمكن من دخولها نظرا لمناعة حصونها، فتراجع إلى بروسبينا (Pruspina)[4].

---

(1)- حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص . 76.

(2) - Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VII, pp.39-40

(*)- حادرومات أو حادروماتوم (Hadrumatum): هي مدينة سوسة الحالية، و التي تقع على الساحل الشرقي التونسي ، تعتبر من أهم و أقدم المستوطنات الفينقية في غربي المتوسط وازدهرت بفعل التجارة بعد القرن السادس قبل الميلاد ، ورغم الصلات التجارية و لاقتصادية التي كانت تربطها بقرطاجة، إلا أنها كانت تتمتع باستقلالية كيانها ولو بصورة غير تامة ...أنظر : محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق، ص. 68.

(3) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p .151.

(4)- بروسبينا : هي حسب اعتقاد ش.أ.جوليان هنشير تنير قرب مدينة المونيستير بتونس الحالية... أنظر : شارل آندري جوليان،المرجع السابق، ص.166.

أين تعرض لهجمات عديدة من قبل البومبيين خاصة من قبل لابينوس (Labienus)(*) الذي كان يقود 10 آلاف جندي معظمهم من النوميديين[1] وقد حوصر قيصر في موقعه بعد وصول ميتيلوس سيبيون بثمانية كتائب و 3.000 فارس ويوبا الأول مع جيشه النوميدي[2] إلا أن تحالف سيتيوس (Sittius)[3] مع بوكوس الثاني واستيلائه على سيرتا جعل يوبا الأول يتراجع لحماية مملكته من بطش المغامر الإيطالي سيتيوس الذي كان يقود عصابة من المرتزقة القراصنة في البحر المتوسط[4] وكان قيصر قد أغراه (المغامر الإيطالي سيتيوس) مع بوكوس الثاني بأن يكون لهما نصيب من الأراضي النوميدية التي كانت بحوزة الملك يوبا الأول وذلك بعد أن يتم القضاء على خصومه البونبيين،غير أن موقف بوكوس الثاني من يوبا الأول جاء مخيبا لأمل الطامحين إلى التحرر من النوميديين، بل ساهم بشكل كبير في إنهاء الكيان النوميدي، وبذلك سار بوكوس الثاني على نهج بوكوس الأول مفضلا استمرار العلاقة الحسنة مع الرومان على مناصرة بني جلدته النوميديين[5].

(*)- لابينوس تيتوس(Labienus Tittus): أحد القادة العسكريين الرومان، شارك بصورة فعالة إلى جانب قيصر أثناء حربه على غالة قبل أن يتخلى عنه و يساند بومبيوس عندما قدم قيصر إلى إفريقيا... أنظر : حارش محمد الهادي، التطور السياسي...، ص.89 .

(1)- Cesar (J.), La guerre d'Afrique, trad.A.Bouvet, éd.les belles-lettres, coll.P.U.F, Paris,1949.LIV.VII.

(2)- Cesar (J.), La guerre d'Afrique, XX.

(3)- سيتيوس (P.Sittius) مغامر إيطالي وزعيم عصابة من المرتزقة كانت تمارس القرصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، بعد تراجع مكانته رأى أنه من الأجدر به أن يذهب إلى أفريقيا محاولة منه لانقاذ نفسه من فضيحة الافلاس . وهناك خاض الحرب مناصر ليوليوس قيصر الذي وعده بأن يكون نصيبه وافر بعد تحقيق النصر على بومبيوس و يوبا الأول... حول الموضوع أنظر:

- Decret (F.) et Fantar (M.) ,op.cit.,p.157.

(4)-

- Decret (F.) et Fantar (M.) ,op.cit.,p.157.

(5)- شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة...، ص ص . 62- 63.

لقد انتهج قيصر سياسة محكمة مكنته من تحقيق أهدافه فسعى إلى تشتيت صفوف خصومه، كما أوجد لنفسه حلفاء يستخدمهم عند الحاجة، فعندما حوصر في روسبينا انتظر وصول الإمدادات لينتقل إلى موقع يشرف على أوزيتة (Uzitta) التي كانت تعسكر فيها فرقة من مناصري بومبيوس يقودها سيبيون[1]. وكان قيصر يأمل في خروج قوات سيبيون من موقعها المحصن ومواجهته، إلا أنه فشل في الإيقاع بسبيون الذي تدعمه قوات لابينوس فاضطر قيصر إلى الانسحاب إلى منطقة آغار (Aggar)[*] في فيفري 46 ق.م[2].

لم يستطع قيصر أن يستدرج سيبيون خلال 04 أشهر التي قضاها في ضواحي آغار فرحل فجأة في بداية أفريل 46 ق.م إلى رأس ديماس (Ras Dimas) قرب تابسوس (Thapsus)[3].

وفي 06 أفريل 46 ق.م قام قيصر بهجوميين كاسحين، حيث هزم في الأول جيش سيبيون وشتته، أما الثاني فكان على البرزخ الشمالي الذي كان يعسكر فيه العاهل

---

(1)- سيبيون ميتيلوس حفيد سيبون نازيكا جاء إلى إفريقيا مناصرا لبومبيوس، و ساهم في جمع الجند والذخيرة لحليفه رغم كثرة أخطائه و تقديراته لجيش خصمه ...أنظر:

- Lacroix (M.L.), op.cit.,p.50.

(*)- آغار تقع قرب قصور الساف على بعد 10 كم جنوب غرب المهدية (تونس)، أنظر : شارل آندري جوليان، نفسه.

(2)- Carthy (M.), Etudes critiques sur la géographie comparée et la géographie positive de la guerre d'Afrique de Jules César, R. Afr., T.9, 1865, pp . 430-458.

(3)- تابسوس (THAPSUS) مدينة محصنة طبيعيا تقع حسب ف. دوكري و م. فنطر في شمال شرق الساحل التونسي ، تتصل ببرزخين (Deux Ishmes) يؤديان إليها وتتوسطها سبخة يطلق عليها اسم مكنين (Moknine) . وتتمثل حصانتها الطبيعية في كونها لا يمكن الوصول إليها برا إلا عبر البرزخين المشار إليهما. إذ يقع أحدهما شرق سبخة مكنين والثاني شمالها، و يبدو أن قيصر تمكن من التسلل أثناء الليل إلى البرزخ الشرقي و أقام التحصينات التي رآها كفيلة بإعاقة هجمات خصمه...لمزيد من المعلومات انظر : ابراهيم ،نصحي المرجع السابق ، ص. 660؛

- Decret (F.) et Fantar (M.) ,op.cit., p.154.

النوميدي والقنصل الروماني أفرانيوس (L.Afranius) قاده قيصر بنفسه وسحق خلال هذا الهجوم خصومه حيث تجاوز عدد قتلاهم 10 آلاف[1].

استطاع في نفس الوقت سيتيوس أن يهزم الجيش النوميدي المكلف بحماية سيرتا وكاد أن يبيده[2].

بانتصار قيصر في تابسوس تشتت من بقي من خصومه البومبيين أما العاهل النوميدي يوبا الأول فقد استطاع الفرار والوصول إلى عاصمته زاما حيث كان يسير ليلا ويتخفى نهارًا، لكن الفاجعة كانت كبيرة والمصاب جلل عندما رفضت المدينة أن تفتح أبوابها للملك المنهزم[3]. في حين استقبل سكان زاما الإمبراطور المنتصر استقبالا باهرا[4] وما كان على يوبا الأول الذي فقد مملكته ورفضت عاصمته أن تفتح أبوابها له، كما رفضت أن تسلمه أفراد عائلته وهو الذي كان يحلم بأن يجعل من نوميديا مملكة مستقلة تمتد من خليج سرت إلى نهر الملوية، اختار أن يموت على أن يكون أسيرا لدى قيصر. فانتحر مسموما رفقة رفيقه بيتريوس (M.Petreius) وهو أحد البومبيين[5].

(1) - César (J.), La guerre d'Afrique, LXXXV.
(2) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p.156.
(3) - César (J.), La guerre d'Afrique, XLVI
(4) - Berthier (A.), La Numidie…, pp . 87- 88.
(5) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p .156.

3. انتصار قيصر ونهاية الكيان السياسي النوميدي:

بعد انتصاره في حرب إفريقيا سنة 46 ق.م قام يوليوس قيصر بإجراءات عديدة كانت لها انعكاسات خطيرة ليس على نوميديا فحسب بل على كامل التراب المغاربي القديم، ويمكن تحديد تلك الانعكاسات في التغييرات التالية :

1- قام الإمبراطور يوليوس قيصر بإزالة المملكة النوميدية وجعل منها مقاطعة رومانية باسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova) للتمييز بينها وبين ولاية إفريقيا الرومانية التي أصبحت تدعى إفريقيا القديمة (Africa vetus)، وقد عين على رأس الولاية الجديدة سالوستيوس ليكون أول حاكم لإفريقيا الجديدة برتبة بروقنصل (Proconsul) ويفصل بين الإفريقيتين الخندق الذي وضعه سيبيون الإميلي غداة تدمير قرطاج سنة 146 ق.م والمعروف باسم الحفر الملكية (fossa regia)[1]. أما من جهة الغرب فنجد حدود الولاية الجديدة تمتد عبر الخط المار بين هيبوريجيوس (عنابة) وروسيكادا (سكيكدة) وينحدر نحو الجنوب غربي كالاما (قالمة) ثم باتجاه الجنوب الشرقي ليصل إلى كابسا (قفصة) [2].

2- منح قيصر الإقليم الشمالي الغربي من المملكة النوميدية إلى سيتيوس ومرتزقته، يمتد شمالا من مصب وادي لمساقة (L'Ampsaga) الوادي الكبير حاليا إلى الحدود الغربية للولاية الرومانية (إفريقيا الجديدة)، ويمتد في الأراضي الداخلية التي تشمل سيرتا، سكيكدة

---

(1) - الحفر الملكية (Fossa Regia) : قام القائد الروماني سيبيون الإيميلي رفقة الموظفين العشرة الذين أوفدهم مجلس الشيوخ الروماني إلى إفريقيا بوضع الحدود الخاصة بالولاية الرومانية المنشأة في الأراضي الإفريقية بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م وذلك بحفر خندق يمتد من طبرقة على الساحل المتوسطي إلى خليج قابس وذلك لعزل الولاية الرومانية عن باقي إفريقيا ... ولمزيد من المعلومات أنظر :

- Chaligne (C.), «Occupation romaine de l'Afrique », R.S.A.C., (1921-1922), pp.13-19.

(2)- شارل آندري جوليان، المرجع السابق، ص .168.

(Russikade)، القل(Chullu)، وميلة (Milev). إلا أن هذه المدن التي شكل فيها سيتيوس ما يعرف بالإتحادالسيرتي ألحقت بإفريقيا الجديدة بعد مقتله سنة 44 ق.م[1].

3- بالإضافة إلى ما انتزعه قيصر لصالح سيتيوس، منح بوكوس الثاني هو الآخر حقه جراء مساندته لقيصر ووقوفه ضد يوبا الأول حيث منحه قيصر الجزء الغربي من نوميديا، فأصبحت مملكته تمتد إلى غاية مصب وادي لمساقة شرقا وبالتالي يكون بوكوس الثاني وسيتيوس قد اقتسما ما تبقى من نوميديا[2].

4- استغلال الجالية الرومانية لثروات البلاد لاسيما المرتزقة الذين استقدمهم سيتيوس في المدن التي منحها له قيصر وتوطينهم هناك، مما مهد لمرحلة الاستيطان الواسعة التي ستشهدها فترة حكم كل الإمبراطور أوكتافيوس (أغسطس)[3].

5- بعد انتصار يوليوس قيصر في حرب إفريقيا (Bellum Africum)، قضى على الدولة الإقليمية في المملكة النوميدية التي كان آخر ملوكها يوبا الأول، حيث ضم قيصر مملكة نوميديا إلى الممتلكات الرومانية ومنح سيتيوس وأتباعه الإقليم المشار إليه آنفا، أما الباقي فكون منه الولاية الرومانية الجديدة التي أطلق عليها اسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova) وكانت عاصمتها سيكا فينيريا (Sicca Veneria)(الكاف) حاليا[4].

4- الأمير أرابيون ابن ماسينيسان الثاني يجدد المقاومه:

ورغم النتائج الوخيمة التي حملتها حرب قيصر الإفريقية والتي أدت إلى مزيد من التفكك في المغرب القديم، إلا أن روح المقاومة لم تمت، فقد استغل السكان أول فرصة

(1) - Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., p .157.

(2) - Ibid, p .158.

(3)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ص . 195.

(4) - Chaligne (C.),op.cit., p. 19.

متاحة للثورة ضد الواقع الذي فرضته ترتيبات قيصر، فاستغلوا الأحداث التي تلت اغتيال قيصر سنة 44 ق.م لتدعيم العمل الثوري الذي قاده أرابيون (Arabion)[1] ابن ماسينيسان الثاني ضد الاحتلال الروماني، حيث استغل هذا الأخير الصراع القائم بين حاكمي الولايتين الإفريقيتين القديمة والجديدة كل من ك.كورنيفيسيوس (Q.Cornificuis) حاكم إفريقيا القديمة و ت. سيكتيوس (T.Cextius) الذي خلف سالوستيوس على رأس إفريقيا الجديدة ليلبي طلب سيكتيوس بتقديم المساعدة لاستعادة منصبه الذي جرده منه مجلس الشيوخ بعد إعلانه الاعتراف بالحكم الثلاثي (Triumvirat) [*] الثاني، المعادي لمجلس الشيوخ حيث حاول حاكم إفريقيا القديمة توحيد الولايتين بطلب من مجلس الشيوخ، وانتهز أرابيون تلك الفرصة لبدأ الحرب مدعما بفرسان نوميديا، حيث قام بقتل سيتيوس سنة 44 ق.م وإبعاد المستوطنين من سيرتا كما استطاع أرابيون طرد جيش بوكوس الثاني من نوميديا الغربية[2].

إن السرعة التي تحرك بها أرابيون والكفاءة العالية التي أظهرها مع أعدائه جعلت سيتيوس يتخوف من أن ينقلب عليه بعد توطيد دعائم دولته بدوافع إقليمية. مما جعل

---

[1]- يبدو أن الأمير أرابيون الذي انتقل إلى اسبانيا مع البومبيين بعد انهزامهم أمام قيصر، قد استفاد من خبرته العسكرية والسياسية حيث تفطن إلى أهداف السياسية الرومانية في المنطقة المغاربية، فأصبح يترقب الأحداث الجارية ويتحين الفرصة الموالية للانقضاض على الرومان، واسترجاع مملكة آبائه، فحاول بعد الصراع الذي نشب في صفوف الرومان الاستفادة منه. ذلك أنه رجح الكفة لصالح حاكم إفريقيا الجديدة بعد أن أوشك هذا الأخير على الهزيمة سيما أن مجلس الشيوخ قد جرده من مهامه .على اثر مساندته للحكم الثلاثي ... حول الموضوع أنظر:

- Gsell (S.),H.A.A.N.,T.VIII,P.185.

[*]- تشكل الحكم الثلاثي (Triumvirat) الأول سنة 60 ق.م وضم كل من بومبيوس، قيصر، وكراسوس، أما الثاني فقد تشكل سنة 43 ق.م وضم كل من : أوكتافيوس (Octave) وأنطونيوس (Antoine) ولبيديوس (Lépide) وكلفوا بمهمة الحكم لمدة خمسة سنوات، ولكنهم دخلوا في صراع انتهى بسيطرة أكتافيوس على الحكم وتنصيبه إمبراطورا سنة 29 ق.م باسم أغسطس (Auguste)، أنظر :

- Fredouille (J.C.), op.cit., pp .161, 162.

[2]- Gsell (S.), H.A.A.N., T.VIII, p.185.

الحاكم الروماني حليف أرابيون يقرر وضع حد لحياة الأمير النوميدي من خلال تدبير مكيدة مفادها تعاون أرابيون مع حاكم إفريقيا الجديدة المعين من قبل مجلس الشيوخ[1]. ذلك ما دفع ببعض المؤرخين ألا يبرِؤوا يد بوكوس الثاني من دم أرابيون ، ثم إن ولائه لقيصر استمر مع زعيم القيصريين الجديد أوكتافيوس[2] الذي انتقل إليه الحكم سنة 36 ق.م، ومنحه مجلس الشيوخ الروماني لقب أغسطس سنة 27 ق.م، فوحد المقاطعتين الإفريقيتين في ولاية واحدة أطلق عليها اسم إفريقيا البروقنصلية (Africa Proconsularia). [3]

5- نوميديا مقاطعة رومانية:

أ- النظام الاداري الروماني في نوميديا:

بعد انفراده بالحكم كما أسلفنا الذكر سنة 29 ق.م أصبح أكتافيوس سيد الإمبراطورية الرومانية. وفيما يتعلق بسياسته الإفريقية فقد ضم أراضي إفريقيا الجديدة (Africa Nova) سنة 27 ق.م إلى أراضي إفريقيا القديمة (Africa vetus) ليشكل منهما مقاطعة واحدة والتي ستحمل فيما بعد اسم المقاطعة البروقنصلية (Provincia proconsulairis)[4].

---

(1) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.VIII, p . 196.

(2) شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة...، ص ص . 70– 71.

(3) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.VIII, p . 196

(4) – يأتي إنشاء مقاطعة إفريقيا البروقنصلية في إطار عملية إعادة تقسيم وهيكلة المقاطعات الرومانية، التي باشرها الإمبراطور أكتافيوس، غداة بسط سلطته على كامل الإمبراطورية، وقد أسند أمر الإشراف عليها إلى مجلس الشيوخ، نظرا للطابع المدني الذي ميز نظام حكمها. وشملت هذه المقاطعة مساحة معتبرة من الأراضي، حيث امتدت من خليج السرت شرقا إلى الحدود الغربية لإفريقيا الجديدة (Africa Nova) ، التي اقتطعها يوليوس قيصر من مملكة يوبا الأول، ومنحها للمغامر الإيطالي سيتيوس ومرتزقته، وبذلك تكون قد ضمت شمال غربي ليبيا الحالية، وكل الأراضي التونسية، زيادة على المناطق الشرقية للجزائر... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Decret (F.) et Fantar (M.), op.cit., pp. 188-189; Arthur Pellegrin, op.cit., p. 73.

لقد أسند الحكم في تلك المقاطعة إلى أحد القناصل السابقين، الذي كان برتبة بروقنصل (Proconsule) وقد خول له الإمبراطور المهام المدنية والعسكرية في المقاطعة التي يتواجد بها جيش الفيلق الأغسطي الثالث (La legion III Augusta)[1].

واستمر البروقنصل مضطلعا بالمهام المدنية والعسكرية خلال فترة حكم الإمبراطورين أغسطس وتيبيريوس (Tebirius)[*]. وبتولى كايوس قيصر (المعروف بكاليجولا)[*] الحكم سنة 37 م حول السلطة العسكرية لحاكم عسكري برتبة لقاتوس (Legatus) استحدث منصبه الإمبراطور نفسه وقد أشار إلى ذلك تاكيتوس (Tacite) من خلال النص التالي: " **كانت الكتيبة المرابطة ومعها الفرق المساعدة من الجيش مكلفة بمهمة**

---

[1]- يبدو من خلال اسناد الرومان الحكم في المقاطعة البروقنصلية إلى القناصل السابقين، الطابع المدني لنظام الحكم في المقاطعة رغم تولي البروقنصل المهام العسكرية، إلى جانب المهام المدنية، وذلك يعود إلى خضوع المقاطعة لإشراف مجلس الشيوخ، بدلا عن الإمبراطور، إلى جانب إنضواء بعض المدن التابعة لها تحت لواء الرومان، مما أتاح فرصة استقرار الأوضاع السياسية والأمنية بها، وبالتالي توجيه نشاط المؤسسة العسكرية إلى مناطق الجنوب الغربي في المملكة النوميدية... حول الموضوع أنظر:

- Lacroix (M.L.), op.cit., p. 74.

[*]–تيبيريوس كلوديوس نيرو (Tib. Claudius Niro) ، عاش في الفترة ما بين 42 ق.م إلى 37 بعد الميلاد، بدأ تبيريوس حياته السياسية والعسكرية وهو صغيرا حيث أسند له حكم مقاطعة إسبانيا سنة 26 ق.م، وأسند له الإمبراطور أغسطس مهام سياسية وعسكرية في مختلف مناطق الإمبراطورية، كالألب (Les Alpes)، غالة (La Gaule)، آرمينيا (Arménie)، وهناك لمعت قدراته في إدارة تلك المهام ، فنال ثقة الإمبراطور الذي زوجه في سنة 12 ق.م ابنته جوليا (Julie)، أرملة أجريبا (Agrippa)، وهو أحد القادة العسكريين الأوفياء لأغسطس، وفي سنة 7 ق.م أنتخب قنصلا للمرة الثانية، غير أنه اختار المنفى الإرادي في رودس (Rhodes) بسبب خلافاته العائلية. وعند عودته من المنفى تبناه أغسطس وذلك سنة 4 بعد الميلاد. وبعد وفاة هذا الأخير سنة 14 للميلاد خول مجلس الشيوخ تيبريوس الصلاحيات التي استجمعها الإمبراطور أغسطس، وبذلك يخلفه على عرش الإمبراطورية الرومانية... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Piganiol (A.), Histoire de Rome, presses universitaires de France, Paris, 1962,pp.243-247.

[*]- كاليجولا: هو كايوس قيصر، أحد أشهر الأباطرة الرومان، ولد في مدينة أنتوم(Antum) ، وتربى في بيت ملكي باعتباره نجل الإمبراطور نيرو كلوديوس جيرمانيكوس (Nero. C. Germanicus)، إبن الإمبراطور تيبريوس بالتبني، تربى كاليجولا بين افراد الجيش إعدادا له لتولي الحكم. وأطلق عليه الجنود هذا الإسم منذ صباه ومعناه " الحذاء" سخرية منه، وظل يحمل هذا الإسم إلى غاية إغتياله من قبل أحد حراسه سنة 41 للميلاد. وكان كاليجولا قد تولى عرش الإمبراطورية الرومانية سنة 37 للميلاد، وتميز حكمه بالقسوة والإستبداد، فتصور نفسه إله، متأثرا على ما يذكر بعض المؤرخين بملوك مصر الفرعونية... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Guey (J.), Les bains d’or de Caligula, M.E.F.R.A., N°2,Vol.89, (1977), pp.443-446.

حراسة الحدود، هناك ووضعت في عهد الإمبراطور أغسطس والإمبراطور تيبيريوس تحت سلطة البروقنصل. وبوصول كايوس قيصر (Caius Cesar) المعروف بكاليجولا، أعفى البروقنصل من قيادة الكتيبة وأخضعها لسلطة الحاكم (Legatus) الذي استحدث منصبه لهذا الغرض، وقد قام الإمبراطور بهذا الإجراء تخوفا من البروقنصل المعين لإدارة شؤون البروقنصلية وهو ماركوس سيلانوس (Marcus Silanus) كما قسم المهام بين البروقنصل والحاكم (Legatus) بالتساوي ولكن تلك المهام لم تحدد بدقة فهي متداخلة في بعض الأحيان، وذلك ما كان سببا لخلافات متكررة بين الحاكمين..."[1].

أوضح المؤرخ تاكيتوس من خلال النص السابق التغييرات التي استحدثها الامبراطور الجديد كاليجولا الذي تولى مهامه سنة 37 للميلاد، بعد الامبراطور تيبيريوس، وقد بين تاكيتوس أن الاجراء الجديد يشمل استحداث الامبراطور لمنصب ليقاتوس (Legatus) ، ولعل ذلك يوضح بما لا يدع مجالا للشك أن ذلك الاجراء كان لدواع أمنية محضة نتجت من جراء الاضطرابات التي عرفتها المنطقة الافريقية عموما والشرق النوميدي على وجه الخصوص. بدأ من ثورات الجيتول و سكان الجنوب الاوراسي في بداية القرن الاول الميلادي مثلما أشرنا إليه آنفا ثم تمرد القائد الموزيلامي تاكفاريناس بالاوراس ثم إعلانه الحرب ضد السلطة الرومانية القائمة بافريقيا لذات الغرض طبعا . بعد ذلك يبرز تاكيتوس ما قام به الامبراطور من اجراءات متعلقة باعادة ترتيب المهام المسندة الى للكتيبة العسكرية المتواجدة على الحدود و الفرق المساعده لها ، فبين أن الامبراطور، زيادة على ما قام به في المجال العسكري، أعاد تنظيم صلاحيات ممثيله في المنطقة الافريقية تفاديا للصراع الذي كثيرا ما كان ينشب بين الحكام في حد ذاتهم بسبب الرغبة في الاستحواذ على السلطة، ناهيك عن المزايا المادية التي كان يحصل عليها هؤلاء الحكام من الضرائب التي كانت تجبى من الفلاحين الاهالي أو الاراضي بعد مصادرتها من السكان الاصليين، وانطلاقا من ذلك فقد أسند الامبراطور كاليجولا تسيير المقاطعة الرومانية إلى حاكم عسكري منتزعا ادارتها ولو بصورة مؤقتة من البروقنصل الذي كان يضطلع بمهام تسيير المقاطعة بعد انشائها .

(1) - Tacite, Histoires, T.2, Trad. Henri Goelzer, Paris, 1956, LIV.IV, 48, 3-6.

شكل رقم(05): تمثال نصفي للملك يوبا الثاني

عن: أحمد السليماني، المرجع السابق، ص.

نستنتج من خلال نص تاكيتيوس(*) أن البروقنصل انفرد بالسلطتين المدنية والعسكرية قبل مجيء الإمبراطور كاليجولا إلى الحكم سنة 37 م. وبعد ذلك انتزعت المهام العسكرية منه ويمكن أن نتفهم الأسباب التي جعلت كاليجولا يقدم على قراره ذاك بالنظر إلى سلطة البروقنصل التي تبدو مطلقة وإشرافه على الجيش قد يولد تخوف الإمبراطور من أن ينفرد البروقنصل بحكم إفريقيا ثائرا ضد سلطة الإمبراطورية فيستقل بولاية غنية اقتصاديا ويحرم بذلك روما من أهم مصدر للقمح[1].

وبذلك، لا نستبعد أن يكون من أسباب الخلافات التي تحدث عنها تاكيتوس بين الحاكمين : التنافس حول السلطة في المقاطعة بينهما لا سيما أن هناك صلاحيات متداخلة لم تحدد بدقة، كما لا نستبعد دور الإمبراطور في إذكاء الصراع والخلاف بين الحاكمين حتى يكون أحدهما مراقب للآخر ويضمن بذلك عدم الاستقرار الذي يهيئ ظروف التفكير في الانفصال لأحد الحاكمين.

(*) تاكيتوس: ب. كورنيليوس تاكيتوس (P. Cornelius Tacitus) كاتب ومؤرخ لا تيني، ولد ما بين سنتي 55و 57 بعد الميلاد في غالة، ويظهر أنه ينتمي إلى عائلة رومانية مهاجرة إلى مقاطعة غالة، أبوه ينتمي إلى طبقة الفرسان. درس تاكيتوس القانون، فاشتغل في القضاء والمحماة، ومكنه زواجه من ابنة أجريكولا (Agricola)، حاكم بريطانيا من تولي مختلف المناصب السياسية والإدارية. انتخب سنة 97 م قنصلا، فاتجه نحو الكتابة والتأليف حيث ألف في بداية الأمر بيوغرافيا عن صهره: حياة أجريكولا (La vie d'Agricola) ، ثم ألف كتابا حول شعوب وجغرافية منطقة الراين تحت عنوان جيرمانيا (Germanie) ، أما أشهر مؤلفاته فهي كتاباه: الحوليات والتاريخ. ففي كتاب الحوليات (Les Annales) الذي ألفه سنة 110 يروي فيه تاكيتوس الأحداث التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية من وفاة أغسطس إلى اعتلاء نيرون عرش الإمبراطورية الرومانية، أما كتاب التاريخ (Histoires) فتناول فيه أحداث الفترة من وفاة نيرون إلى وصول دوميسيان (Domitien) إلى الحكم. وتوفي تاكيتوس حوالي سنة 120 للميلاد... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Chevallier (R.) ,Dictionnaire de la littérature latine, éd. Larousse, France, 1968, pp.231-233

(1) بوعيزم عبد القادر، المرجع السابق، ص ص . 86– 76.

هذا إلى جانب استعداد الإمبراطور لمرحلة تعد هامة في السياسة الرومانية، حيث سيحاول بسط نفوذه على كامل الشمال الإفريقي بعد اغتياله بطليموس (Ptolémée)[*] ملك موريطانيا القيصرية سنة 40 م وإلحاق مملكته بالإمبراطورية الرومانية. بذلك يضع حدا للحماية المفروضة على مملكة موريطانيا[1].

لذلك كان لا بد على الإمبراطور اختيار قائد عسكري خبير بالشؤون الحربية وله قدرة على التحكم في الجيش على رأس القوات الرومانية المتواجدة في إفريقيا سنة 39 م.

وفيما يتعلق بإدارة المناطق الداخلية بالولاية البروقنصلية بما فيها نوميديا السابقة (إفريقيا الجديدة) فيبدو أن الإدارة الرومانية حاولت تطوير المدن والبلدات الداخلية بشكل موجه نحو توطين العناصر الرومانية من أجل تكريس رومنة المدن الإفريقية بحيث تساير تطور المدن مع وضعية الاندماج التدريجي لمجموع السكان القاطنين في البلدات الخاضعة

---

[*]–ولد بطليموس ابن الملك الموريطاني يوبا الثاني سنة 5 ق.م بعاصمة موريطانيا القيصرية شرشال (قيصرية)، وهو الابن الوحيد ليوبا الثاني وكليوباترا سيليني، شارك أباه في الحكم منذ صغره، فحمل لقب "ملك"، وتولى عرش موريطانيا القيصرية في نهاية سنة 23 م إثر وفاة والده، وحكم ما يربو عن 17 سنة، غير أنه لم يرث صفات والده، حيث كان ميالا للكسل، والخمول، واللهو، والتفاخر، فترك شؤون المملكة لحاشيته وعبيده، ورغم ذلك بقي وفيا للرومان، ذلك على ما يبدو ما جعل الرعية تثور ضده ، وتلتف حول الزعيم الموزيلامي تاكفاريناس. قتل الملك بطليموس سنة 40 م أثناء حضوره لحفل بمقاطعة غالة الرومانية، بأمر من الإمبراطور كاليجولا، الذي كان يحقد ويغار منه، حسب بعض المؤرخين، غير أن ذلك لا يمكن أن يخفي عزم الرومان إنهاء الكيان المغاربي، وذلك بضم موريطانيا وأملاك بطليموس إلى الأراضي الخاضعة للسلطة الرومانية المباشرة، وإيجاد الظروف الملائمة لإقامة استيطان دائم للعنصر الروماني ببلاد المغرب القديم، لحماية المصالح الرومانية في المنطقة، خاصة بعد اعتلاء كاليجولا عرش الإمبراطورية الرومانية... حول الموضوع أنظر:

- Rachet (M.), Rome et les Berbères…, pp. 126-127;

– شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج 1، ص. 61؛ محفوظ قداش، المرجع السابق، ص. 188.

(1) - Cagnat (R.), op.cit., p .25

للسلطة الرومانية عبر مراحل ثلاث تمر بها. بدءًا بالبلدة الأجنبية (Piregeini) وصـــولا إلى البلدة الرومانية (Romani) مرورا بالبلدة اللاتينية (Latine)[1].

ونلاحظ هذه السياسة في إدارة مختلـــف المـــدن النوميديـــة الخاصـــة بـــالاحتلال الروماني، فمدينة تيفست (Theveste) الرومانية تبسة الحالية عرفت تطورهـــا الكبيـــر تماشيا مع استغلال إمكانيات المدينة الزراعية بالخصوص.

حيث كانت تزود روما ومختلف المدن الرومانية بإفريقيا بمحاصيل القمح والشعير والكروم المستخدمة في صناعة الخمور، إضافة إلى الزيتون وزيت الزيتون، ومـــن ثمـــة شجعت السلطات الرومانية حركة تعمير المدينة فأنجزت مختلف المرافق المعروفـــة فـــي المدن الرومانية[2].

هذا ما يعني أن تيفست وصلت إلى المرحلة الأخيرة التي يجبر فيها السكان علـــى التخلي عن تشريعاتهم الخاصة والإندماج بالتالي في القانون الروماني[3].

---

(1)- يحافظ السكان في البلدة الأجنبية على نمط حياتهم، وقوانينهم وتشريعاتهم المحلية، رغم خضوعهم لسلطة الرومان، ولا يتمتعون بحق المواطنة الرومانية إلا بعد الإندماج التدريجي لهم في الثقافة الرومانية، وذلك ماكنت المدن المستعمرة تصل إليه بعد توافد العناصر الرومانية، من فلاحين وتجار وعساكر وغيرهم إلى تلك المدن، ويعملـــون علـــى دمـــج العناصر المحلية في ثقافتهم، فتتحول تلك المدن الأجنبية إلى مدن لاتينية، ثم رومانية، إي تتم رومنتها بشـــكل كلـــى... لمزيد من المعلومات انظر:

- Lepelley (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-empire, T.2, Paris, 1978, p. 122.

(2) - De Roch (S.) , Tebessa antique Theveste, Les presses de l'imprimerie officielle, Alger, 1952, p. 12.

(3) - Lepelley (C.), op.cit., p . 123.

خاصة بعد إصدار الإمبراطور كاركلا[*] (212–217 م) لمرسوم يمنح حق المواطنة لجميع أحرار الإمبراطورية سنة 212 م، أي أن جميع السكان الأحرار لهم نفس الواجبات والحقوق التي يتمتع بها المواطن الروماني[1].

وقد ضمت المدن المرومنة هيئات تشرف على تسيير المدينة، أهمها مجلس البلدية والشيوخ. فالمجلس البلدي كان يشرف على مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية في المجال الجغرافي الذي تشرف عليه المدينة. كما يعد ميزانية المصاريف الخارجية بتلك النشاطات، في حين يتشكل مجلس الشيوخ من ممثلي الشعب، وقراراته نافذة. وتتفرع عن الهيئتين المشار إليهما عدة لجان فرعية مثلما هو معمول به في روما التي تحاول كل مدينة أن تكون صورة من روما[2].

---

[*]–كاركلا: ولد كاركلا ابن سيبتيموس سيفيروس يوم 4 أفريل سنة 186 للميلاد بمدينة لوج دونوم (Lugdunum) ليون الحالية، عندما كان والده حاكما في غالة، اسمه الحقيقي سيبتيموس باسانيوس (SEPTIMIUS BASSANIUS)، وفي صغره عمد باسم لوكيوس سيبتيموس باسينيوس (Lucuis. Sept. Bassanuis). لقب بكركلا نسبة إلى نوع من اللباس الغالي (Gaulois) ، كان يلبسه منذ صباه. تولى عرش الإمبراطورية الرومانية سنة 212 للميلاد واشتهر بتشريعاته وقوانينه التي جاءت استكمالا لتشريعات والده، في إطار ما يعرف بالإصلاحات السيفيرية، وقد أصدر كركلا في سياق تلك الإصلاحات قرارا يمنح بموجبه حق المواطنة الرومانية لكل الأحرار في الإمبراطورية الرومانية، وذلك لتدعيم تحصيلاته في الجباية والضرائب، خاصة وأن جزءا هاما منها كان يخص المتمتعين بحق المواطنة ، إضافة إلى رغبته من خلال ذلك القرار، كسر شوكة كبار الأرستوقراطيين والأثرياء، وإضعاف سلطة الشيوخ في روما. ورغم انتمائه العرقي إلى إفريقيا إلا أن ثقافته وفكره لم يحد عن النطاق العام للسياسة الاستعمارية الرومانية. توفي كركلا مقتولا من قبل أحد القناصل ويدعى مارسياليس يوم 8 أفريل سنة 217 للميلاد... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Albertini (E.), L'Afrique Romaine, Notes prises aux conférences, imprimerie orientale, Alger, 1922, pp. 56-58;

– مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ص. 149–151؛ غانم محمد الصغير، الإصلاحات السيفيرية " مدلولاتها وأهدافها"، (مجلة التراث)، ع.6، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، الجزائر، سبتمبر 1993، ص ص. 8–17.

(1) - De Roch (S.) , op.cit., p. 12.

(2) - Lepelley (C.) , op.cit., pp. 129-199.

ب. النظام العسكري الروماني في نوميديا:

لقد قسم الرومان جيشهم في شمال إفريقيا إلى ثلاثة أقسام رئيسية[1] :

1- جيش إفريقيا ونوميديا Exercitus Africae

2- جيش موريطانيا القيصرية Exercitus Mauritanicus

3- جيش موريطانيا الطنجية Exercitus Tangis

تشرف على كل جيش قيادة عسكرية مستقلة في قراراتها التي تتخذها تبعا لوضعية الأمن في مقاطعتها، ما عدا الحالات الاستثنائية، حيث تدمج أكثر من قيادة واحدة تحت إشراف قائد واحد، إذا دعت الضرورة العسكرية لضمان وحدة الجيش وتفعيل أدائه العسكري في الميدان[2].

يشكل الفيلق الثالث الأغسطي عصب جيش إفريقيا ونوميديا[3]. وهو جيش نظامي على عكس جيوش المقاطعتين الموريطانيتين المكونة أساسا من الفرق المساعدة (Auxilia). حيث ضم هذا الفيلق إضافة إلى الجيش النظامي المتكون أساسا من الجنود

(1) - Cagnat (R.) , op.cit., p. 93.

(2) - Albertini (E.) , L' Afrique Romaine…, p. 15.

(3) -استقر الفيلق الثالث الأغسطي كما هو معلوم في حيدرة (Ammaedara) شمال شرقي تبسة. عند تشكيله، وذلك للتصدي للهجمات التي كانت تطال المدن الداخلية والمستوطنات الرومانية من قبل القبائل الموزيلامية، المستقرة في الأوراس. واستغل الأباطرة السيفيريون إلى أبعد الحدود تواجد هذا الفيلق لإخضاع القبائل التي استعصت رومنتها، حيث عملوا على الإكثار من العناصر الإفريقية في الفيلق، وذلك لزرع التفرقة، وإذكاء الأحقاد والبغضاء، بين أبناء الوطن الواحد لتسهيل إخضاعهم ورومنتهم، وقد نجح الأباطرة السيفيريون في أفرقة الفيلق الأغسطي الثالث، إذ أصبح مجموع الأفارقة المجندون فيه خلال العهد السيفيري حوالي 93% من إجمالي الجيش، إلا أن السيفيريين لم ينجحوا في رومنة الأفارقة، حتى في مناطق التواجد الروماني... حول الموضوع أنظر:

- Boissiere (G.) , Esquisse d'une histoire et de l'administration Romaine dans le nord de l'Afrique, librairie Hachette,Paris,1878,pp.270-271;Decret(F.)et Fantar(M.),op.cit.,pp.189-190;

- البحيصي أحمد ، المرجع السابق، ص ص. 45-62.

الرومان أوالإيطاليين ذوي المواطنة الرومانية كتائب وفرق من المساعدين وقد أورد رونيه كانيا (R.Cagnat)[1] 3 كتائب و 10 فرق زيادة على كتيبتا نوميري (Numerus) وهي غير نظامية :

أ. الكتائب (Alas) :

1. كتيبة فلافيا Ala Flavia
2. كتيبة نوميديا Ala Numidarum
3. كتيبة بانوني Ala Pannoniorum

ب. الفرق (Cohors) :

1. الفرقة II أميوروم Cohors II Amiorum
2. الفرقة I شالكيدونيا Cohors I Chalcidenorum
3. الفرقة VI كومبانيا للفرسان Cohors VI Compagnorum Equitata
4. الفرقة III الفلافية للفرسان Cohors III Flavia Equitata
5. الفرقة II الأسبانية للفرسان Cohors II Hispanorum Equitata
6. الفرقة IV الأسبانية Cohors IV Hispanorum
7. الفرقة VII لوزيتانيا للفرسان Cohors VII Lusitanorum Equitata ؟
8. الفرقة النوريطانية ؟ Cohors Nuritanorum

(1) - Cagnat (R.) , op.cit., pp. 97- 98 .

9. الفرقة II المورية Cohors II Maurorum

10. الفرقة X جميلي تراكوم للفرسان Cohors Gemellae Thracum Equitata

جـ. كتيبتا نوميري (Numerus) :

1. كتيبة تدمر (سوريا) Numerus Palmyrenorum

2. الكتيبة الموريـة القيصـرية Vexillatio militum Maurorum Caesariensium

أما فيما يتعلق بقيادة جيش إفريقيا ونوميديا فقد أسندت في البداية إلى البروقنصل، أي حاكم المقاطعة ثم انتزعها منه الإمبراطور كاليجولا سنة 37 م وأسندها إلى قائد عسكري (Legat) يتم تعيينه من قبل الإمبراطور نفسه[1].

ولم تسند بعد ذلك قيادة الجيش إلى البروقنصل إلا في حالات نادرة استثنائية[2]، وقد قدر المؤرخون عدد أفراد جيش إفريقيا ونوميديا بما يقارب 12 ألف جندي نظامي إضافة إلى جند القبائل الحليفة الذين كانوا يستدعون عند الحاجة لدعم جيش الفيلق الثالث الأغسطي عندما تقتضي الضرورة الأمنية، كما كان جيش القبائل الحليفة للرومان يشرفون على فرض الأمن في أقاليمهم بصورة دائمة. وقد شبههم الأستاذ شنيتي.م.ب. بـ "القوم" أثناء فترة الاحتلال الفرنسي حيث كانوا تحت قيادة "القياد"[3].

وفي ما يتعلق بتاريخ إنشاء الفيلق الثالث الأغسطي فهو غير معروف بالتحديد. إلا أن هناك من المؤرخين من يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة 25 ق.م أثناء فترة حكم

(1) - Tacite, Histoires, T.2, IV, 48, 3-6.

(2) - Cagnat (R.), op.cit., p .115.

(3) شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. ا، ص. 97.

الإمبراطور أوكتافيوس (الملقب بأغسطس) من أجل استكمال السيطرة على كامل إفريقيا، وكذا حماية ظهر البروقنصلية من الجهة الغربية. ومنحه الإمبراطور لقب الأغسطي تشريفا له لانتصاراته الباهرة على النوميديين في إفريقيا[1].

أما مصادر الجند فقد اتفق المؤرخون على أن أغلبية وحدات الجيش المساعد متشكلة من ذوي أصول غير إيطالية (رومانية) بسبب تناقص الذكور في إيطاليا بعد الحروب المدنية التي شهدتها إيطاليا (91–88 ق.م)، مما أجبر القناصل المتناحرين على البحث عن مصادر بديلة تجلب المقاتلين[2]. إذ أنه قبل طرح فكرة جلب المحاربين من خارج إيطاليا وإنشاء فرق غير نظامية (مساعدة)، كان الجيش الروماني متكون أساسا من الجنود الرومان وفقا لإجبارية الخدمة العسكرية على جميع الرجال والتجنيد في صفوف الجيش غير مسموح به لغير المواطنين الرومان، والجيش المساعد كان بمثابة مدرسة للتدريب تمهيدا للدمج في المجتمع الروماني أي الفوز بالمواطنة الرومانية[3].

ومن ثمة فقد جند آلاف المقاتلين من مقاطعات مختلفة ومن أعراق وبلدان متعددة، وذلك ما أثبتته الوثائق المرتبطة بالموضوع، حيث تم إحصاء أسماء عدد من جند

---

(1)– يرى بعض المؤرخين أن إنشاء الفيلق الأغسطي الثالث يعود إلى الوضعية الاستثنائية التي كانت عليها المقاطعة الإفريقية، خاصة بعد التقسيم الجديد الذي أقره مجلس الشيوخ الروماني، في المقاطعات الخاضعة للإمبراطورية الروماني سنة 27 ق.م، حيث تم بموجب ذلك التقسيم إنشاء مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، بضم إفريقيا القديمة إلى الجديدة وتوحيدهما في مقاطعة واحدة. ورغم الهدوء النسبي الذي ميز إفريقيا القديمة بعد هزيمة يوبا الأول إلا أن إفريقيا الجديدة لم تكن كذلك، حيث عرفت اضطرابات وتمردات عرقلت التوسع الروماني نحو المناطق الداخلية، مما استوجب إيجاد جيش نظامي ثابت يعمل على قمع أي حركة مناوئة للتوسع الروماني، وتدعيم ذلك الجيش بفرق مساعدة مشكلة من السكان المحليين العارفين بطبيعة مناطقهم الجغرافية وأهاليهم، حيث يصبحون تدريجيا أداة للاندماج في الحضارة الرومانية...لمزيد من المعلومات انظر:

- Boissière (G.), op.cit., pp.228-231 ; De Roch (S.), op.cit., pp. 09-11.

(2) - Leglay (M.) et autres, Histoire romaine, presses universitaires de France, France, 119.–1991, pp. 117

(3) - Albertini (E.) , L'Afrique Rpmaine…, p. 20.

الوحدات المساعدة في جيش المقاطعات الإفريقية، وأظهر الإحصاء أن هناك في الجند من جلب من فرنسا، بريطانيا، بلجيكا، البلقان، ألمانيا، فلسطين وسوريا[1].

وقد حدد النظام العسكري الروماني لجيش إفريقيا المُشَكل أساسا من الفيلق الثالث الأغسطي رتبا وفقا للوظائف التي يقوم بها المجند[2]: وقد تشكلت قيادة جيش الفيلق الثالث الأغسطي (جيش إفريقيا ونوميديا) من هيئتين للأركان (Deux états-majors) . القيادة الأولى تشرف على تسيير كل الفرق العسكرية النظامية وغير النظامية التي يضمها الفيلق.

أما القيادة الثانية مهمتها تنظيم إدارة الفيلق الثالث الأغسطي فقط دون الإشراف على العمليات العسكرية، ويطلق على قائد الفيلق اسم: بنيفيسياريوس كونسولاريوس (Beneficiarius Consularis) إذ كان تحت قيادة القنصل النوميدي وهو ما حدث في الغالب ، أما إذا كان تحت قيادة البريطور (Pritore) فيطلق عليه اسم بنيفيسياريوس ليجاتيس (Beneficiarius Legatis)، وهذا ما كان معمول به بداية من نهاية القرن الثاني الميلادي[3].

أما قادة الفرق النظامية فهم من صف الضباط، ويطلق عليهم اسم برايفيكتي (Praefictii) وتريبوني (Tribuni)، وهم ممن ينحدرون اجتماعيا من طبقة الفرسان، أما وحدات الجيش المساعد (Numiri) فيعين على رأسها ضباطا أقل شأنا من الفئة السابقة برتبة بريبوزيتي (Praepositi) أو كوراطور (Curator)[4].

(1) - Benseddik (N.) , Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauritanie césarienne sous le haut empire, S.N.E.D., Alger, 1978, p.11.

(2) - Cagnat (R.), op.cit., p. 125.

(3) - Ibid.

(4)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني... ، ج.1، ص. 104.

أما سلم ضباط الصف فيحتوي على رتب الفيكسيلاريوم (Vexilarium) والكنتوريو (Centurio) والديكوريو (Decurio)، وتجدر الإشارة إلى أن هذا السلم خاص بفرقة الجيش النظامي دون النوميري[1].

(1) - Benseddik (N.) , op.cit., p. 209.

الفصل الثالث: التوسع الروماني في أوائل العهد الإمبراطوري وردود الفعل المحلية

1- مقاومة قبائل الجيتول 03- 06 م

2- مقاومة تاكفاريناس 17-24م

أ- إستراتيجية تاكفاريناس

ب- أسباب المقاومة

ج- مراحل المقاومة

1- مرحلة جس النبض

2- مرحلة التوازن (الند للند)

3- مرحلة التراجع ونهاية المقاومة

د- نتائج المقاومة

1. مقاومة قبائل الجيتول(*): 03-06 م:

رغم الهدوء النسبي الذي شهدته الساحة الإفريقية إلا أن الأوضاع لم تستقر كلية، فكلما أخمد الرومان انتفاضة في منطقة ما في الشمال الإفريقي إلا واندلعت انتفاضة أخرى في مناطق التواجد الروماني، وقد تجددت المقاومة من خلال انتفاضة الجيتول ضد الرومان والملك يوبا الثاني الذي لم يكن سوى ممثلا عن السلطة الرومانية، ودامت هذه الانتفاضة ثلاث سنوات كاملة أي من سنة 03 م إلى سنة 06 م[1].

يشير الباحث إيرنست ميرسي (Ernest Mercier) إلى أن الجيتول كانوا على الدوام ثوارا متمردين ضد أية سلطة، وبلغ تمردهم أشده، أثناء حكم الملك يوبا الثاني لعرش موريطانيا القيصرية، بصفته ممثلا للاحتلال الروماني، فزاد غضبهم وسخطهم على سياسته وولائه، ولم يروا فيه إلا عميلا للمحتلين، لذلك نراهم يهاجمون المستوطنات الرومانية، التي عمل يوبا الثاني على إقامتها وحمايتها، وامتدت هجمات القبائل الجيتولية خلال فترة التمرد تلك على كل من يحمل صفة الروماني، بسلب وإحراق مزارع المستوطنين، والإغارة على مراكز إقامتهم، والاشتباك مع وحدات جيشهم، وبلغت تلك الانتفاضة أراضي القبائل الموزيلامية في الأوراس[2].

(*)-تنتشر القبائل الجيتولية بشكل واسع في جنوب المغرب القديم، من إقليم فزان شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وتوغلت أراضيها جنوبا إلى حدود الإثيوبيين، أما شمالا فيصعب تحديد حدودها بدقة رغم محاولة بعض المؤرخين المحدثين، اعتمادا على ما أورده سترابون وبلين القديم، وضع تلك الحدود في موريطانيا الطنجية، عند ضواحي وادي بورقراق، ومدينة سلا. أما في نوميديا وإفريقيا البروقنصلية، فبلغت مناطق تواجد القبائل الجيتولية إلى جنوب سيرتا عند مدينة مداوروش (Madaure)، والتخوم الشرقية للأوراس، وما بين سهل مجردة وجبال تبسة، مما يوحي بتداخل أراضيها مع أراضي القبائل الموزيلامية في الجنوب النوميدي، ومع أراضي قبائل الغرامنت في جنوب البروقنصلية. وقد عرف الجيتوليون بممارسة مهنة الرعي وذلك تماشيا مع طبيعة أراضيهم، التي أكسبتهم كذلك من القوة والشدة والبأس ما جعل سترابون يصفهم بأنهم أقوى الشعوب الليبية قاطبة... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Strabon, XVII, 3, 2; Salluste, La Guerre de Jugurtha, XVIII; Pline l'ancien, V, 5; Gsell (S.), H.A.A.N., T.VIII, pp. 109-112; Camps (G.), Massinissa…, pp. 153-156.

(1) - Benabou (M.) , La résistance Africaine à la romanisation,éd. Maspéro, Paris, 1975, p.48.

(2) - Mercier (E.) , op.cit., p. 91.

وقد أورد ديون كاسيوس (Dion Cassius) هذا النص المقتضب حول أحداث تلك الانتفاضة "**الجيتول الساخطون على سياسة الملك يوبا والرافضون للانصياع للسلطة الرومانية التي يكن لها الملك يوبا الطاعة والولاء، ثاروا ضده وفتكوا بالأراضي المجاورة لموطنهم وقتلوا الكثير من قادة الجيش الروماني الذين حاولوا إعاقتهم واعتراضهم ولكن قوتهم الواهية لم تدم طويلا حيث استطاع القائد كورنيليوس كوسوس (Cornelius Cossus)[*] أن ينال شرف إلحاق الهزيمة بهم (الجيتول)**"[1].

من خلال هذا النص المقتضب نستطيع أن نلاحظ رفض القبائل الجيتولية للوجود الروماني الذي جسده الملك يوبا الثاني، حيث عمل كل ما في وسعه من أجل توفير الظروف الملائمة لإنجاح حركة الاستيطان الروماني وإقامة المستوطنات للجاليات الرومانية[2] وللجنود المسرحين من الخدمة العسكرية على أراضي موريطانيا، ناهيك عن الدعم العسكري الذي وفره للجيوش الرومانية العاملة على إخضاع القبائل المحلية لسلطته[3].

---

[*]- كورنيليوس كوسوس(Cornelius Cossus) أحد القادة العسكريين الرومان، نال ثقة الإمبراطور أغسطس فأرسله إلى إفريقيا على رأس فرقة عسكرية لتدعيم الوحدات العسكرية الرومانية المرابطة في موريطانيا والتي عجزت عن التصدي لهجمات الجيتول، رغم المساندة المقدمة لها من قبل الملك يوبا الثاني، وتمكن القائد الروماني كورنيليوس كوسوس من زحزحة الثوار الجيتوليين نحو الجنوب الشرقي للمقاطعة البروقنصلية، وحقق انتصارات أرغمت الثوار على التراجع وإيقاف الهجمات. فتلقى الأوسمة من قبل الإمبراطور. ولقب بالجيتولي تشريفا له وتخليدا لانتصاراته على الثوار الجيتوليين... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Mercier (E.) , op.cit., p. 91.

(1) - Dion Cassius, Histoire romaine, trad. E.Gros, Paris, 1863, LIV, 28, 3-4.

(2) - Pline l'ancien, V, 20.

(3)- جرت العادة أن يقدم ملوك موريطانيا الدعم العسكري للرومان، كلما اقتضت الضرورة الأمنية، وعجز الجيش الروماني عن مواجهة التهديدات، والأخطار الناجمة عن التمردات التي كانت تحدث من حين لآخر في إفريقيا، وكان الملك يوبا الثاني وابنه بطليموس أحسن مثال للملوك الحلفاء والأوفياء للرومان... حول الموضوع أنظر:

- Hamdoune (Ch.), Les Auxilia. Externa. Africains des Armées Romaines, III^{e} siècle Av. j.c- IV^{e} siècle Ap. J.c, (Collection études militaires), université Paul- Valery, Montpellier III, France, 1999, pp. 110-111.

كما أن النص السالف الذكر يدل حسب ر.كانيا(R.Cagnat)على أن تلك الانتفاضة شملت إطارا جغرافيا واسعا، على اعتبار أنها قامت في مناطق متداخلة بين أراضي الجيتول والمناطق المحتلة من قبل الرومان، أو تتواجد بها السلطة الرومانية وتلك الخاضعة للملك يوبا الثاني أي جنوب غرب نوميديا في منطقة الحضنة وجنوب موريطانيا[1].

أعطت هذه الانتفاضة رغم قصر مدتها الكثير من الدلالات وذلك ما يبرر الرد العنيف من قبل الجيش الروماني وجيش يوبا الثاني الذي توغل حتى في عمق أملاك القبائل الموزيلامية لإنهاء الثورة من جهة وتفكيك التحالف الموزيلامي–الجيتولي من جهة أخرى[2].

تنفيذا على ما يبدو لرغبة الرومان في ذلك لأنهم رأوا في التحالف خطرا على تواجدهم في الشمال النوميدي، لاسيما وأن هذه المقاومة بإطارها الجغرافي شكلت امتدادا للمقاومة النوميدية التي ظلت تقف في وجه التوسع الروماني وتواجه تواجده على أراضيها منذ سقوط المملكة النوميدية، ثم أن الجيتول كانوا يمثلون عمقا استراتيجيا وسياسيا بالنسبة للمملكة النوميدية. ومن ثمة كانوا على وعي بما يجري من أحداث في الشمال، وأن التواجد الروماني هناك سيجلب لهم نفس المصير الذي لقيه بنو جلدتهم في الشمال[3].

من هنا اكتسبت هذه الثورة خطورتها ليس فقط على الملك يوبا الثاني الذي اعتبرته تلك القبائل (الموزيلامية والجيتولية) ملكا تابعا لأسياده الرومان الذين شعروا بخطورة الوضع فأرسلوا بأحسن قادتهم العسكريين[4].

زيادة على اتخاذ إجراءات لإعاقة ومراقبة حركة القبائل الموزيلامية جنوب الأوراس، بتعزيز المراقبة العسكرية من خلال إقامة الفيلق الثالث الأغسطي في أمايدارا

---

(1) - Cagnat (R.) , op.cit., p.03.

(2) - Benabou (M.) , op.cit., pp . 64-65.

(3)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني... ج ا، ص . 48.

(4) -تغيير الرومان للقادة العسكريين وإرسالهم للتعزيزات العسكرية إلى الجنوب النوميدي يندرج ضمن إطار التهديدات والخطورة التي شكلتها ثورات القبائل الجيتولية على التواجد الروماني في المنطقة من جهة ، ومن جهة أخرى زعزعتها للحدود الجنوبية لموريطانيا القيصرية وملكها يوبا الثاني لمدة طويلة قاربت الثلاثين سنة .حول الموضوع انظر: العيد بشي إبراهيم، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة ، دراسة حضارية في قبل التاريخ وعبر التاريخ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007، ص.187.

(Ammaedarae) (حيدرة) جنوب شرق أراضي القبائل الموزيلامية، ومن جهة أخـــرى ففي بداية عهد القنصل ل.نوينيوس أسبريناس (L.Nonius Asprenas) أي في ســـنة 14 م، تم إنجاز طريق استراتيجي يربط بين مقر معسكر الفيلق الثالث الأغسطي بأمايدار إلى تاكابي (Taccape) (قابس) مرورا بكابسا (Capsa) (قفصة). هذا الطريق الذي من شأنه أن يقطع الاتصال بين قبائل الموزيلامي والقبائل المجاورة لها من الجنوب الشرقي، مثـــل السينيتي (Cinithii)، ويبسط مراقبة الرومان للهضاب العليا الواقعة في منطقة الشـــطوط غرب سرت الصغرى[1].

زيادة على ذلك فقد حاول الرومان التخلص من خطر الجيتوليين على مؤسســـاتهم الاقتصادية والعسكرية، بانتهاج طرق وأساليب أخـــرى، كتشـــتيتهم وتوجيـــه تحركـــاتهم وتنقلاتهم الجماعية تارة، وجلب شبابهم كعمال في المؤسسات الاقتصادية الرومانية، بهدف دمجهم في سياق الرومنة تارة أخرى.

إضافة إلى العمل على استغلال شجاعة رجالهم واتسامهم بالروح العسكرية، فـــي تزويد الفرق المساعدة للجيش الروماني، على غرار ما فعل حنبعل من قبل، حيـــث جنـــد الكثير منهم في الجيش القرطاجي خلال الحرب البونية الثانية، وذلك فـــي نهايـــة القـــرن الثالث قبل الميلاد، على ما يذكر تيتيوس ليفيوس [2].

كذلك، تبين الشواهد الأثرية اللاتينية تواجـــد الجيتـــوليين فـــي وحـــدات الجـــيش الروماني، في مواقع عديدة، كما أظهرت تلك الشواهد أسماء لأفراد ينتمون إلـــى القبائـــل الجيتولية كانت لهم صلة بالسلطة والإدارة الرومانية، لم تعرف على وجه التحديد طبيعـــة

(1) - Benabou (M.), La résistance…, p .65.

(2) -" أرسل حنبعل في طليعة جيشه فرقة من الجيتوليين تحت قيادة ضابط اسمه إزالسا (Isalca) ..." أنظر:
- TITE-LIVE, XXIII, 18, 1.

تلك الصلة، وقد عثر على نقوش وشواهد قبور تحمل أسماء جيتولية في مناطق مختلفة من المغرب القديم، كان معظمها في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا [1].

إن الملاحظة التي يمكن أن نبرزها مهما كانت نتيجة تلك الانتفاضة التي قادها الجيتوليون في بداية القرن الأول الميلادي هي أن هناك علاقة طردية بين توغل الرومان في المناطق الداخلية وبين شتى أنواع المقاومة، عكس ما ترسمه الصورة التقليدية المعتمدة في الكتابات الرومانية القديمة أو حتى الفرنسية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث تصف ردود فعل القبائل الجيتولية أو الموزيلامية بالإغارة والنهب لكن في نظرنا تلك الإغارات وما يوصف بالنهب ما هو إلا شكل من أشكال الرفض للأجنبي ومقاومة وجوده، وأن تنقل القبائل خاصة الجيتولية وترحالها كانت تفرضه ضرورات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والظروف المناخية، وأن التحالف أثناء فترات الحرب إنما يعبر عن وحدة تلك الأقوام واستعدادها الدائم حضاريا لتشكيل كيان سياسي كلما توفرت الشروط الأساسية لقيامه، مثلما حدث عند قبائل الماسيل في نهاية ق 04 وبداية ق 03 ق.م، ثم أن تنقل تلك القبائل كان يحدث باستمرار وبصورة اعتيادية قبل الاحتلال الروماني والتصادم، إنما حدث بعد توغل الرومان في المناطق الداخلية والجنوبية المتاخمة للصحراء لا سيما جنوب الأوراس، وإنشائهم للتحصينات التي سدت المنافذ نحو الشمال أو نحو السهول، كما أعاقت شبكة الطرق المقامة حركة القبائل المنتجعة في الهضاب خاصة بوجود قلاع وأبراج حراسة كانت دوما هدفا أساسيا للغارات التي تأتي كردود أفعال عن سياسة اغتصاب الأرض ونهب خيراتها، واتخذت أشكال مقاومات عنيفة للاحتلال الأجنبي في مختلف الفترات.

---

[1] - تم إحصاء حوالي خمسون إسما لأفراد جيتوليين حفلت بهم النقوش التي عثر عليها في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا، نذكر من بين المدن التي تواجدت بها تلك النقوش: خنشلة (Mascula)، وادي ملاق، تالة (Thala)، حيدرة (Ammaedara) وضواحيها، قالمة (Calama)، خميسة (Tubursicum Numidarum)، مداوروش(Madauros)، تبسة (Theveste)، سيرتا (Cirta)، تيديس (Tiddis)، جميلة (Cuicul)، تازولت (Lambasis)...، لمزيد من المعلومات أنظر:

- Gascou (J.) , "'Le Cognomen Gaetulus en Afrique Romaine", M. A. H., N°.2,Vol. 82,(1970), pp. 723-736.

2. مقاومة تاكفاريناس(*) : 17–24 م :

أ- استراتيجية تاكفاريناس:

لقد أشار المؤرخ الروماني تاكيتوس في حولياته إلى الحرب التي خاضها الرومان في شمال إفريقيا لمدة تزيد عن سبع سنوات (17–24 م) ضد القبائل النوميدية والموريـــة وغيرها من قبائل الشمال الإفريقي، ويتضح لنا من خلال الفقرات التي أوردهـــا اتســـاع المجال الجغرافي لهذه الحرب. زيادة على اتساع مجالها الزمني الذي قارب سبع سنوات، فقد شملت مجالا جغرافيا واسعا امتد عند مختلف مراحل الثورة من السرت الكبرى إلـــى موريطانيا القيصرية، مركزة نشاطها وحركيتها على القبائل المحلية في الشرق النوميدي، فقد اعتمد قائد الثورة على القبائل الموزيلامية[1] القاطنة في المناطق الواقعة من الأوراس

(*) تاكفاريناس: يعتبر تاكفاريناس أحد القادة العسكريين البارزين في تاريخ المغرب القديم، رغـــم ســـكوت المصـــادر التاريخية القديمة عنه، ولد حوالي سنة 8 ق.م، ينتمي إلى قبيلة المزالمة، التي تستقر في الأوراس وضواحيه، انخـــرط في صفوف الجيش الروماني ضمن فرق المساعدين، وهو في ريعان شبابه، وتدرب خلال السنوات التي قضـــاها فـــي الجيش الروماني على فنون القتال، وأساليب الحرب لدى الرومان. فاكتسب خلالها خبرة عسكرية، وظفها فـــي قيـــادة جيشه، والتخطيط لمعاركه ضد الغزاة. ذلك أنه انسحب من الجيش الروماني في ظروف غامضـــة، لـــم يصـــلنا مـــن المؤرخين القدامى عن أسباب وظروف انسحابه من الجيش الروماني إلا النزر القليل، فكل ما هنالك أنه لدى انســـحابه من الجندية جمع حوله الكثير من أبناء قبيلته في الأوراس، ودربهم على استعمال الســـلاح، وعلمهـــم أســـاليب القتـــال استعدادا للمقاومة، التي أعلنها سنة 17 للميلاد ضد وحدات الجيش والمؤسسات والمراكز الرومانية، وانضـــمت إليـــه القبائل النوميدية. فأصبح قائدا وزعيما لثورة حقيقية وراسل الإمبراطور تيبيريوس عارضا عليه شروط الســـلم، وقـــد تدعمت حركته بشباب المور بقيادة أحد فرسانهم يدعى "مازيبا". فأصبحت تلك الحركة التي قادها تاكفاريناس انتفاضـــة شعبية، عمت معظم الأراضي النوميدية والمورية، وكأنها أحيت من جديد روح المقاومة التي قادها الملك يوغرطه قبل قرن من حركة تاكفاريناس... حول الموضوع أنظر:

- Benabou (M.), Tacfarinas: Insurgé Berbère contre la colonisation romaine, (Les Africains), T. IV,éd. Jeune-Afrique, Paris,1977, pp. 293-313;Hamdoune(Ch.), op.cit.,p. 112;Chehrit (K.), Tacfarinas, éd. Grand-Alger livres, Alger, 2006, pp.85-86.

[1] - تعتبر القبائل الموزيلامية من أشهر القبائل في المغرب القديم وأشدها مقاومة للاحتلال الأجنبي، ورد ذكرها بكثـــرة في النصوص والوثائق القديمة، حيث وردت على أشـــكال مختلفـــة مثـــل: مـــوزولامي (Musulami) و مـــوزولاني (Musulani)، اقترن اسمها بمقاومة الاحتلال الروماني، فكانت سندا وعونا لسيفاكس، وبعده يوغرطة، ثم تحالفت مـــع الجيتوليين بين سنتي 3 و6 للميلاد لصد التوغل الروماني المدعوم من قبل ملك موريطانيا القيصـــرية يوبـــا الثـــاني،=

إلى قفصة شرقا شاملة السفوح المحيطة بالكتلة الأوراسية، واتسعت رقعة الحرب المعلنة ضد الرومان وحليفهم الملك يوبا الثاني بانضمام مازيبا (Mazippa) إلى تاكفاريناس وتشكيل تحالف موزيلامي– موري[1].

تدعم ذلك التحالف بانضمام معظم القبائل القاطنة في مناطق الهضاب والسهوب وجنوبهما أي قبائل الجيتول وقبائل الغرامنت (Garamantes) إلى الحركة التي قادها تاكفاريناس[2].

وبذلك تشمل الحرب التي أعلنها القائد الموزيلامي تاكفاريناس المناطق الداخلية في نوميديا وموريطانيا القيصرية زيادة على جنوبي المقاطعة البروقنصلية وصولا إلى مناطق الكنيتين (Les Cinithiens) في ضواحي سرت الصغرى، وقد أشار رونيه كانيا (R.Cagnat) إلى أن الكينتيين شكلوا وعاءا ديموغرافيا ضخما [3].أنظر خريطة رقم02: صفحة150.

=وكانت زادا لزعيمها تاكفاريناس في ثورته، ويشير معظم المؤرخين إلى أن هذه القبائل كانت خلال القرن الأول للميلاد تستقر في الكتلة الأوراسية ومحيطها، أي يحدها شمالا مدينة سيرتا وجنوبا أراضي الجيتول والغرمنت في التخوم الجنوبية للأوراس (شمال الصحراء)، وتمتد نحو الشرق إلى تبسة، أما غربا فتنتهي حدودها عند منطقة الحضنة، ويصنف المؤرخون العناصر الموزيلامية إلى: مستقرين في حواضر المدن كتيفيست، ومادوروش. وبدو رحل أو نصف مرتحلين... حول قبائل الموزيلامي أنظر:

- Gsell (S.), inscriptions Latines de l'Algérie, T. 1, inscriptions de la proconsulaire, Paris, 1922, p. 267; Desanges (J.),Catalogues des tribues…, pp. 117-121;Camps(G.),Massinissa…,pp.155-156; Gascou (J.), op.cit.,pp.734-736.

(1) - Servier (J.), Les bérbères ,(que sais-je ?),2eme édition,DAHLAB,Alger,1994,p.50.

(2) - Mercier (E.),op.cit.,p.91.

(3) - Tadeusz (K.) et Michlak (M.) , Les africains et la domination de Rome , D.H.A., N°.1, vol.2,1976,pp.337-358.

ذلك ما حمل على ما يبدو الباحث ج.ديزونج (J.Desanges) على حصر قوة الثوار النوميديين في كثرة عددهم مقارنة بالجيش الروماني، رغم اعتماده على الفيلق الثالث الأغسطي والفرق المساعدة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن اتساع جبهات القتال في تلك الثورة التي انطلقت من الأوراس أعطاها طابعا شموليا من الناحية الجغرافية وعمقا شعبيا من ناحية الأهداف الاستراتيجية، وبذلك وصفت بأنها لم تكن مثل سابقاتها من المقاومات، سيما في عهد أغسطس إذ لم تقتصر على منطقة واحدة أو إقليم واحد، فهي مقاومة امتدت في جنوب المقاطعات الرومانية، إضافة إلى عمق هذه المقاطعات في المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة الرومانية المباشرة أو ذات التواجد الروماني من خلال حلفائهم ومستوطنيهم[2].

لقد استفاد تاكفاريناس على ما يبدو من خبرته العسكرية باعتباره كان جنديا في إحدى الفرق المساعدة في الجيش الروماني من خلال توظيف تلك الخبرة في الاستعداد العسكري بتدريب الثوار على أساليب القتال الحديثة (على غرار ما يستخدمه الجيش الروماني)[3] .

(1) - Desanges (J.) , Le triomphe de Cornelius Balbus, R.Afr., N°. 98, 1957, pp .3-43.

(2) - Bounabou (M.), La résistance…, pp . 75-76.

(3) -معروف عن الجيش الروماني أنه جيش نظامي ، تطورت تركيبته وتنظيماته عبر الفترات التي مرت بها الدولة الرومانية ففي العهد الملكي كان التجنيد محصورا في المتمتعين بحق المواطنة ، ويؤدي المجند الخدمة في الجيش من سن 17 سنة إلى أن يبلغ 60 سنة ، ويقسم المجندون إلى فئتين حسب أعمارهم: الفئة الأولى وتشمل من هم في سن 17 سنة إلى 46 سنة وتمثل هذه الشريحة الفئة الفاعلة في الجيش الروماني ، وهي التي تخوض المعارك والحروب خارج إيطاليا ، أما الفئة الثانية فتشمل من هم في سن 46 سنة إلى 60سنة ولم تكن مهامها تتعدى السهر على حفظ الأمن الداخلي في روما. يخوض الجيش الروماني المعارك بأسلوب خاص حيث يشكل الجنود المشاة ثلاث صفوف متوازية، بحيث يتكون الصف الأول (المقابل للخصم) من الجنود الأصغر سنا والأقل خبرة، ويضم الصف الثاني الجنود الكهول (متوسطي الخبرة)، في حين يتشكل الصف الثالث من الجنود الأكبر سنا، والأكثر خبرة ، وتوكل مهمة حماية ظهر الجيش وأطرافه إلى 10فرق من الفرسان السريعة الحركة والتي تضم كل فرقة منها 30 فارسا. وقد عرف الجيش=

دون الاستغناء عن الأساليب المألوفة في الحرب لدى النوميديين، وهي حرب العصابات الملائمة للطبيعة الجغرافية للمنطقة(1). بالإضافة إلى العمل العسكري الذي قام به تاكفاريناس قبل إعلان الحرب من خلال إشرافه على تدريب الثوار الذين جمعهم حوله، قام أيضا بعمل دبلوماسي كبير (بتعبير وقتنا الحاضر) وذلك بسعيه إلى كسب حلفاء من القبائل المجاورة للمزالمة حتى لا يتم تطويقهم من قبل الأعداء، فضمن دعم مازيبا والقبائل المورية من جهة الغرب وقبائل الكينتين (Les Cinithi) من جهة الشرق بالإضافة إلى قبائل التخوم الصحراوية جنوب المقاطعة الإفريقية وموريطانيا(2)، وبذلك وجد الرومان أنفسهم مجبرين على خوض حرب على جبهات متعددة وفي مجال جغرافي واسع يمتد من جنوب موريطانيا القيصرية غربا إلى السرت الصغرى شرقا.

يبدو أن تاكفاريناس قد لا حظ تركيبة الجيش الروماني المقسمة إلى قسمين : قسم نظامي يقوده البروقنصل نفسه وهو جيش الفيلق الثالث الأغسطي. وقسم ثان مؤلف من الفرق غير النظامية المشكلة من الأجانب والأهالي. هذه الأخيرة كانت تعتمد على الإغارة والكمائن، كما أن سلاحها وعتادها الحربي لم يكن متطورا مثل عتاد الجيش النظامي(3) لذلك عمد تاكفاريناس إلى ذات الأسلوب، فعهد إلى زميله مازيبا قيادة الفرق الخفيفة

=الروماني عدة إصلاحات منها إصلاحات ماريوس الذي حاول رفع عدد الجند من خلال فتح مجال التجنيد أمام شباب الأسر الفقيرة ، وخفض من سن التجنيد إلى 16 سنة، بالإضافة إلى إنشاء الفرق المساعدة في المقاطعات، كما عرف الجيش الروماني إصلاحات أخرى في عهد أغسطس الذي ركز على دعم الفرق المساعدة، كما حدد فترة التجنيد ب20سنة للجند الروماني و25 سنة للمجندين في الفرق المساعدة ...لمزيد من المعلومات أنظر:

Fredouille (J.C.), op.cit.,pp.8-9.–

(1) - Desanges (J.) , Le triomphe de Cornelius…, pp . 3- 43 ; Hamdoune (Ch.), op.cit., p.110.

(2) - Benabou (M.) , La resistance…,p . 78.

(3)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. ا، ص . 55.

وأوكل لها مهمة إشعال الحرائق في مزارع المستوطنين وزرع الهلع والرعب في صفوفهم، في حين تولى هو قيادة الثوار المدربين على الطريقة الرومانية[1].

كما أنه استخلص العبر من بعض المواجهات الأولى مع الجيش الروماني، حيث عمد إلى تقسيم بعض فرقه التي رآها غير قادرة على مواجهة الجيش الروماني إلى وحدات

صغيرة العدد مهمتها الإغارة على العدو وإلحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر والانسحاب بعد ذلك من دون الاشتباك المباشر مع الجيش الروماني[2].

ب- أسباب المقاومة:

رغم الحقد الكبير والتحامل الذي أبداه المؤرخ الروماني تاكيتوس على الثورة التي أعلنتها قبائل الموزيلامي بقيادة تاكفاريناس بين سنتي 17 و 24 م بوصف الثوار بأقبح الصفات مثل العصابات، قطاع الطرق والمتشردين[3].

إلا أنه لم يذكر الأسباب التي دفعت تاكفاريناس إلى الفرار من الجيش الروماني، ولا الدوافع التي جعلت عددا كبيرا من القبائل الإفريقية تتحالف مع قبائل الموزيلامي بزعامة تاكفاريناس وتثور ضد الاحتلال الروماني. لكن من خلال تحليلنا للظروف التي ألمت بالمنطقة المغاربية والجنوب النوميدي تحديدا، في بداية القرن الأول الميلادي يمكن أن نستنتج أن هناك مجموعة من الأسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية كانت وراء هذه الثورة.

(1) - Tacite, Annales, II, LII ; Berthier (A.) ,La Numidie…, p .95.

(2) - Cagnat (R.), op.cit., p . 17.

(3) - Tacite,Annales, II, LII.

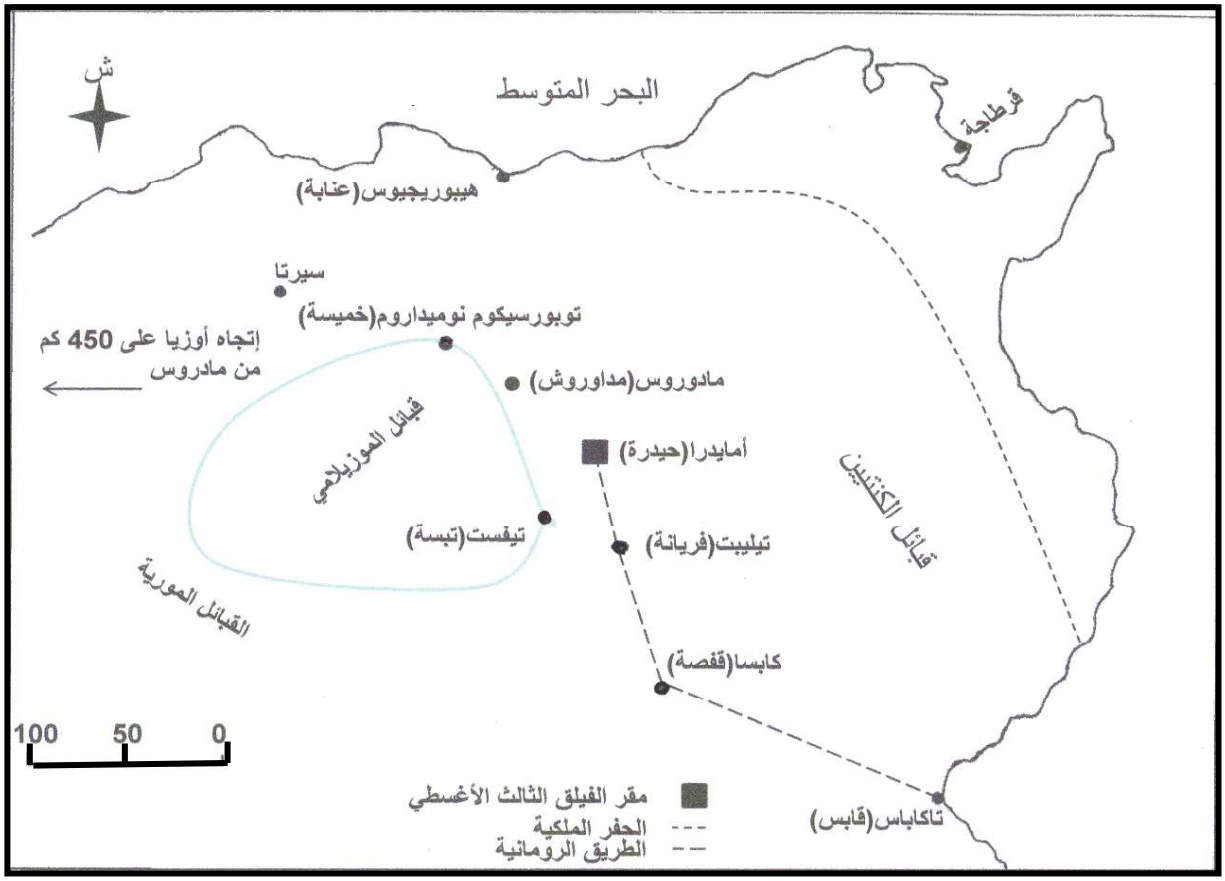

خريطة رقم 02 حرب تاكفاريناس. 17–24 للميلاد.

إعتمادا على: Messikh (M.S.), op.cit., p.18.

ففي الجانب السياسي، يشير مارسال بن أبو إلى الظروف السياسية التي مـــر بهـــا المغرب القديم، كدمج المقاطعتين الإفريقيتين، وإنشاء المقاطعة البروقنصلية، وما تلى ذلك من محاولات للاستيطان وتكـــريس الهيمنـــة الرومانيـــة، لاســـيما أثنـــاء فترتـــي حكـــم الإمبراطورين أوكتافيوس وتيبيريوس من بعده. على أنه أحد العوامل التي جـــاءت ثـــورة تاكفاريناس في سياقها[1].

ومن دون شك احتكاك قائد الثورة بالرومان من خلال منصبه كجندي في الجـــيش الروماني أمكن له التعرف عن قرب على تلك الذهنية المتغطرسة التي تميز بها العنصـــر الروماني، والتي انعكست على تعاملهم مع سكان المغرب القديم عموما. مما أوجـــد لـــدى تاكفاريناس فكرة مجابهة هذه السياسة وإنقاذ قومه منها، وهذا ما يبرر سياســـة التحـــالف التي أقامها مع القبائل المجاورة شرقا وغربا، مما مكن مقاومته من أن تمتد عبـــر وســـط وشرق الجزائر وصولا إلى خليج السرت شرقا.

وقد اعتمدت سياسة الهيمنة والتوسع التي انتهجها الرومان في بلاد المغرب القديم أساسا على الجانب العسكري ذلك ما أدى إلى ردود أفعال عنيفة من قبل الأهالي.

وفي هذا السياق يشير الباحثان أ.بيجـــانيول و ر.لـــورون فيبـــار الـــى أن ثـــورة ناكفاريناس قامت على إثر شق الطريق الاستراتيجي الرابط بين كاسترا ابيرنـــا (Castra Hiberna) الواقعة بين مدينتي تبسة (Theveste) وقابس (Tacape)مـــرورا بحيـــدرة (Amaedara) وقفصة (Capsa) وذلك سنة 14 للميلاد . أي بعد اســـتقرار الفيلـــق الثالث الأغسطي في حيدرة قبل نقله فيما بعد إلى مدينة تبسة ، مما أدى إلى إعاقة تنقـــل

(1) - Benabou (M.) , La résistance…,p . 76.

القبائل الموزيلامية والجيتولية المرتحلة وشبه المستقرة عن ممارسة حرفتها (رعي الماشية) والتي تقتات منها [1].

هذا إلى جانب ما نستشفه من دوافع اقتصادية جعلت تاكفاريناس يعلن الحرب ضد الرومان لمواجهة مشاريع الاستيطان القائمة على انتزاع الأراضي من ملاكها الأصليين وتوزيعها على الجاليات الإيطالية والجنود المسرحين، لاسيما في أثناء حكم الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس والإمبراطور تيبيريوس الذي حذا حذو سابقه في علميات كبرى لمصادرة أراضي النوميديين وتوزيعها على الرومان[2].

تتجلى علاقة ذلك بالثورة من خلال دعوة تاكفاريناس الجريئة للإمبراطور تيبيريوس لإعادة الأراضي التي سلبها الرومان من أصحابها عندما أرسل له وفدا لتبليغه ذلك بل مهددا إياه بحرب لا نهاية لها إن لم تعد روما ما سلبت من أراضي، وذلك ما أثار حفيظة المؤرخ تاسيت وتحامل كثيرا على تاكفاريناس لتجرأه على مخاطبة الإمبراطور بهذا الأسلوب[3].

ومن ثمة يمكن أن نستنتج العلاقة الوطيدة بين تلك المشاريع الاستيطانية القائمة على اغتصاب الأرض من أصحابها، وتوزيعها على الرومان وبين فرار تاكفاريناس من الجيش الروماني وإعلانه الثورة ضد الاحتلال تجسيدا لرفضه تلك السياسة الاستعمارية.

(1) - Piganiol (A.) et Laurent-Vibert (R.), Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), M.A.H.,N°.1,Vol.32,1912 ,pp.69-229.

(2) - Gsell (S.) ,H.A.A.N,T.VIII,pp.229-230.

(3) - Tacite, Annales, III, LXXIII ; Cagnat (R.), op.cit., p. 15.

ج- مراحل المقاومة:

1. مرحلة جس النبض:

لقد حاول تاكفاريناس على ما يبدو من خلال التحالفات التي ربط بها قبائل المزالمة تهيئة الظروف الملائمة لإعلان ثورته، فقد تحالف مع قبائل المور غربا والكنتيين والجيتول شرقا وجنوبا، كما قسم جيشه إلى فرق خفيفة من المشاة وأخرى من الفرسان، واستعد كما أسلفنا الذكر للحرب بإسناد قيادة الفرق الخفيفة لقائد المور مازيبيا (Mazippa)، واحتفظ هو من جهته بقيادة فرق الفرسان المدربة وفقا لأساليب الحرب المنتهجة لدى الرومان[1].

ورغم قلة مصادرنا حول هذه الثورة إلا أنه أمكننا الاعتماد على ما أورده المؤرخ الروماني تاكيتوس من إبراز بعض معالم هذه الحركة، وبخصوص اندلاع الثورة يورد ذات المؤرخ ما يلي : "**في هذه السنة (17 م) بدأت الحرب في إفريقيا وكان العدو تحت قيادة تاكفاريناس الذي انخرط في الجيش الروماني بصفته مساعدا (Auxiliaire) في المعسكرات الرومانية ثم فر منها.**

لقد جمع في أول الأمر حوله عددا من عصابات المتشردين وقطاع الطرق المتعودين على السطو والإغارة، وقادهم إلى النهب والسلب ثم دربهم على أساليب القتال، فجعل منهم مشاة وفرسانا منظمين، وما لبث أن تحول من زعيم عصابة إلى قائد عسكري للمزالمة الذين كانوا أشداء ويقطنون تخوم الصحراء في إفريقيا الخالية من المدن. وحمل المزالمة السلاح وجرُّوا معهم الموريين الذين تزعمهم مازيبيا (Mazippa). واقتسم القائدان الجيش حيث استأثر تاكفاريناس بخيرة العناصر المدربة من الفرسان والمشاة وأخذ يعودهم على النظام والطاعة والانضباط رغبة منه في تكوين نخبة من الجيش تضاهي في تكوينها العسكري ما

(1) - De La Malle (D.) , L'Algérie …, p . 182.

كان لدى الجيش الروماني، في حين تكفل مازيبا بالعناصر الأخرى المشكلة من عصابات مكلفة بزرع الرعب وإشعال النيران والقيام بالمجازر والإغارة على مواقع الرومان..."[1].

بعد استكمال التحضيرات الدبلوماسية والعسكرية يخوض الثوار النوميديون بقيادة تاكفاريناس أول معركة ضد العدو سنة 17 م قرب وادي الميثول (Muthules) دون أدنى تردد أو خوف من الجيش الروماني الذي كان تحت قيادة البروقنصل فوريوس كاميلوس (Furius Camillus) مدعوما بفرق مساعدة[2].

لم نعثر على تفاصيل وافية عن هذه المعركة الاختبارية التي خاضها تاكفاريناس ببسالة، إلا أن المصادر تشير إلى انهزام الجيش النوميدي وتراجع تاكفاريناس إلى المناطق الداخلية. في حين توج البروقنصل فوريوس كاميلوس بوسام النصر غير المقنع للرومان أنفسهم على ما يذكر تاسيت[3].

رغم التحضير المتعدد الجوانب الذي قام به تاكفاريناس قبل بدء الحرب، إلا أن جيشه لم يستطع إحراز النصر وذلك يعزى إلى عدم أخذ القيادة لوقت كاف لإعداد الجيش وتطوير أدائه التحكم في تقنيات القتال الرومانية وتأهيل الجند وتدريبهم بقدر يتيح لهم تحكما أفضل يمكن من خلاله الصمود في المعركة وإحراز النصر على عدو ذاع صيته في ساحات القتال[4]. زيادة على الدعم المباشر وغير المباشر الذي جاد به الملك يوبا الثاني على الجيش الروماني[5]. ولم يتوان ملك موريطانيا القيصرية يوبا الثاني في الاعتزاز بذلك النصر الذي ساهم في تحقيقه حليفا للرومان ضد أبناء بلده، فنراه يخلد ذلك

(1) - Tacite, Annales, II, LII.
(2) - Lacroix (L.), op.cit., p .75.
(3) - Tacite, Annales, II, LII.
(4)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج.I ، ص . 55.
(5) - Cagnat (R.), op.cit., p . 09 ; Benabou (M.), La Resistance…, p .79.

الانتصار بسك عملة سنة 18 م تحمل ذكرى انتصار الجيش الروماني على تاكفاريناس[1].

يبدو أن تاكفاريناس قد تراجع إلى المناطق الداخلية بعد هزيمته في معركة الميثول لإعادة تنظيم صفوف قواته وتغيير أسلوب قتالها، لكن الفترة الموالية للمعركة عموما سكتت عنها المصادر التاريخية الكتابية، فطيلة الفترة من 18–20 م لم تحمل لنا المصادر الكتابية أعمالا عسكرية واضحة، مما يدفعنا إلى التساؤل عن حقيقة ما جرى خلال تلك الفترة ؟

هل فعلا لم تشهد أعمالا عسكرية ؟ بسبب توقف تاكفاريناس عن القتال ؟ أم أن هناك مساعي للتفاوض بين الطرفين طوال هذه المدة الشبيهة بالهدنة غير المعلنة ؟.

إن الانتصار الذي أحرزه الرومان في معركة سنة 17 م أمام تاكفاريناس لم يكن مثلما توقعوه ساحقا يستأصلون من خلاله شأفة الثورة الموزيلامية، بل أحرزوه بشق الأنفس ذلك ما خول للبروقنصل فوريوس كوريلوس الذي قاد الفيلق الثالث الأغسطي والفرق المساعدة أثناء المعركة شرف الانتصار الذي لم يقتنع به حتى المؤرخ تاكيتوس[2].

هذا ما يعني أن جيش تاكفاريناس رغم انهزامه في هذه المعركة إلا أنه أرهق الجيش الروماني وفاجأ بأسلوب قتاله حتى البروقنصل نفسه[3]، مما جعله يتردد في

(1) - Mazard (J.) , Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Paris, 1955, p . 89, N°. 202-203 ; p . 104, N°. 284.

ويشير تاريخ إصدار هذه العملة إلى السنة 43 من عمر المملكة.

(2) - Tacite, Annales, II, LII.

(3)- حارش محمد الهادي، ثورة تاكفاريناس 17–24 م،(مجلة الدراسات التاريخية)،ع. 9 ، سنة 1995، ص ص . 129–133.

ملاحقة تاكفاريناس، بل في مواجهته وإعلان الحرب من جديد قبل الاستعداد اللازم، ثم أن هزيمة تاكفاريناس تلك جعلته ينسحب إلى المناطق الداخلية لا سيما جنوب الأوراس، ليس إنهاءً للقتال بل للاستعداد وإعادة تنظيم الجيش وكسب المزيد من الدعم[1].

2- مرحلة التوازن (الند للند):

اتسمت هذه المرحلة باتساع نطاق الثورة وشموليتها حتى وصفت بأنها امتدت من خليج السرت شرقا إلى أعمدة هرقل غربا[2]، كما تميزت بانتهاج تاكفاريناس لأسلوب جديد في الحرب، حيث زيادة على مهاجمة الفرق الرومانية بالغارات السريعة وعدم الاشتباك المباشر معها، عمد إلى الهجمات المتكررة على الحصون والقلاع الرومانية.

ففي سنة 20 م أي بعد انتهاء ما يمكن أن نسميه بالهدنة غير المعلنة تمكن تاكفاريناس بعد تقدمه بجيشه شمالا من إلحاق الهزيمة بإحدى الفرق الرومانية التي كانت مرابطة في قلعة قرب نهر باجيدا (Pagyda)[3].

حيث قتل أثناء المعركة قائد تلك الفرقة ديكريوس (Dicrius)، ولم يسلم من الموت إلا من فر من المعركة[4].

---

(1) - Tacite, Annales, III, LXXIII ; Cagnat(R.),op.cit.,p.15 ;Benabou(M.),La resistance…,p.80.

(2) - Cagnat (R.) , op.cit., p .21 ;

وكذلك : حارش محمد الهادي، ثورة تاكفاريناس...، ص ص.129-133.

(3)- حدثت هذه المعركة قرب وادي يسمى باجيدا الذي يعتقد الباحث ش.تيسو أنه وادي تازولت التي عسكر فيها الفيلق الثالث الأغسطي وأطلق على ذلك المعسكر إسم لمبازيس (Lambases)، لمزيد من المعلومات حول هذا الوادي أنظر :

- Tissot (Ch.) , Géographie comparée de la province d'Afrique, T.I, imp.nationale, Paris, 1884-1888, p.54.

(4) - Tacite, Annales, III, XX ; Rachet (M.), Rome et les berbères (Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien), coll.latmus, Bruxelles, 1970, p.98.

ولما علم البروقنصل ل.أبرونيوس (L.Apronius) الذي تم تعيينه في منصبه سنة 18 م بهزيمة جيشه في موقع باجيدا قرر الدخول في المواجهة مع تاكفارياس بنفسه لمسح آثار الهزيمة التي مني بها الجيش الروماني أمام تاكفارياس في الأوراس[1].ورفع عدد جنده إلى خمسة آلاف جندي، أغلبهم من قدماء كتائبه المدربة [2].

يبدو أن القائد الجديد للجيش الروماني حاول توظيف خبرة قدماء كتائبه والاستعانة بقدراتهم العسكرية في المناطق شبه الصحراوية، المستعصية على الجيوش القادمة من روما.

في تلك الأثناء كانت الفرقة التاسعة الأسبانية (IX Hispana) قد وصلت إلى إفريقيا بعد استدعائها لتدعيم الجيش الروماني، مما يدل على خطورة الوضع وصعوبة تصدي الجيش الروماني لهجمات الثوار النوميديين[3].

وبدأ البروقنصل بنفسه الإعداد للمعارك القادمة حيث قام بإجراءات عقابية قاسية ضد الجنود الفارين من المعركة الأخيرة مع تاكفارياس ليكونوا عبرة لبقية الجنود ولا يفكروا في أن يولوا الأدبار أثناء القتال مهما كان الأمر[4].

(1) - Cagnat (R.) , op.cit., p.10

(2)- غانم محمد الصغير، بعض ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول الميلادي (ثورة تاكفارياس نموذجا)، (حولية المؤرخ) ، ع.1، إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002، ص.20.

(3)– أشار مؤرخ الحوليات تاكيتوس إلى الدعم الذي تلقاه الجيش الروماني في إفريقيا لعدم قدرته على مواجهة جيش تاكفارياس، فبالإضافة إلى الفرقة الإسبانية التاسعة ، قد تكون الفرقة العاشرة فريتينيس (X. FRETENIS) أو جزء منها قد أرسل به إلى الأوراس لمواجهة تاكفارياس، وذلك ما حاول أن يستخلصه الباحثان بيجانيول و لوريون فيبار من خلال دراستهما لنقيشة تحمل اسم الفرقة (X. FRETENIS) عثر عليها في حيدرة (Ammaedara)، وكان الإمبراطور أغسطس قد أرسل ذات الفرقة إلى سوريا، ما يعني أنها اكتسبت الخبرة العسكرية و مهارة المواجهة في المناطق شبه الصحراوية. ومن ثمة لا يستبعد أن يكون إرسالها إلى إفريقيا خلال ثورة تاكفارياس... أنظر :

- Piganiol (A.)et Laurent–Vibert(R.),op.cit., pp.69-229;Benabou (M.), La résistance…, p. 79.

(4) - Boissiere (G.), op.cit., p.233.

كان تاكفاريناس وفرقه المقاتلة قد بسطوا سيطرتهم على مناطق ومراكز عسكرية عديدة في شمالي وشرقي الأوراس[1].

وفي نفس السنة أي 20 م تمكن تاكفاريناس كما ذكرنا سابقا من السيطرة على مناطق واسعة من شرقي وشمالي الأوراس ومنها حصن تالة (Thala) الواقعة شرق الأوراس[2].

ليس بعيدا عن مركز الفيلق الثالث الأغسطي وبخصوص ذلك يشير تاسيت إلى أن الثوار قد هزموا أمام حصن تالة. وأن البروقنصل ل.أبرونيوس أعطى مثالا نادرًا في زمانه وقد برز في المعركة جندي بسيط اسمه إليفيوس روفوس (Helivius Rufus)، فتلقى التهاني الشرفية من قبل الإمبراطور.

ويضيف تاسيت في نفس الفقرة أن تاكفاريناس بعد هزيمته هذه قام بتغيير أسلوب قتاله، إذ تحول إلى نهجه والمألوف لدى النوميديين وهو حرب العصابات بعد أن هزمته فرقة من الجيش الروماني قوامها خمسمائة محارب[3].

بعد تلك الهزيمة، انسحب تاكفاريناس إلى السهول المحاذية للسواحل الجنوبية التونسية، غير أن ابن البروقنصل ل.أبرونيوس كايزانيوس (L.Apronius Caesanius) لحق به وفاجأه على رأس فرقة من الفرسان التابعين للفرق المساعدة المشكلة من قدماء

(1) - Gsell (S.),H.A.A.N. ,T.VIII, p.230.

(2) - تالة (Thala): إحدى الحصون المنيعة التي أقامها الجيش الروماني لمراقبة تنقلات القبائل الموزيلامية المنتجعة في المناطق الشرقية في الأوراس، تقع قرب حيدرة (Ammaedara)، و يشرف على حراستها قدماء المحاريين في الجيش الروماني... أنظر:

-Piganiol (A.) et Laurent – Vibert (R.) ,op.cit.,pp.69-229.

(3) - Tacite,Annales , III, XXI.

الجيش، فألحق به هزيمة أخرى، فاضطر تاكفاريناس إلى التراجع مرة أخرى والتسلل غربا والعودة إلى الصحراء المتاخمة لجنوب الأوراس[1].

ورغم انهزامه في معركتين متتاليتين، إلا أن تاكفاريناس لم ييأس واستمر في الإغارة من حين إلى آخر، كلما توفرت له الظروف الملائمة على مراكز العدو في جنوب نوميديا[2].

في حين واصل مازيبا بدوره هجماته على مراكز العدو في موريطانيا، وكان لحرب العصابات تلك أثر بالغ الخطورة على الجانب الروماني، سواء تعلق الأمر بالخسائر العسكرية في صفوف جنوده، أو الخسائر الاقتصادية المترتبة عن الإغارات على مزارع المعمرين وانعدام الأمن مما أدى إلى تعطيل العمل[3].

كما أن توزيع فرق المقاتلين النوميديين عبر مجال جغرافي واسع، فرض على الرومان تقسيم قواتهم لمواجهة الأعمال العسكرية للفرق النوميدية والموريطانية، مما سهل مهمة الثوار لإلحاق أكبر الخسائر في صفوف العدو، ذلك خلق جدلا سياسيا كبيرا في روما حول الشخصية التي يمكنها أن تنهي الحرب في إفريقيا، وتستأصل شأفة تاكفاريناس الذي شجعته نجاحاته في تشتيت الجيش الروماني، وإضعاف موقفه ودفعته إلى المزيد من الطموح، فقام بإيفاد مبعوثين إلى الإمبراطور تيبيريوس ويطالبه بإرجاع الأراضي التي اغتصبها الرومان من أصحابها ويهددوه بإعلان حرب لا نهاية لها إن لم يتم ذلك[4].

(1) - Gaid (M.) , op.cit.,p.124 .

(2) - Benabou (M.), La resistance…, p.80.

(3)- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. ا، ص . 57.

(4) - Tacite, Annales, III, LXXIII .

نلاحظ أن هذه المبادرة التي قام بها تاكفاريناس ساعيا إلى التفاوض وإبرام اتفاق مع أعلى هيئة في نظام الحكم الروماني تدل بوضوح على الشعور بالقوة والثقة الكبيرة التي وضعها في جيشه وفي القبائل المساندة له، كما تبرز بوضوح الأهداف التي قامت من أجلها الثورة بربط إنهاء القتال بإعادة الأراضي والتهديد بالحرب المفتوحة إن لم يكن ذلك.

ولكن رد الإمبراطور لم يكن متماشيا مع دعوة السلام الموجهة إليه من قبل تاكفاريناس، بل جاء متطابقا مع الفكر الروماني المحتقر لما هو أجنبي عن العرق الروماني[1].

الإمبراطور ومجلس الشيوخ على ما يبدو كانوا يأملون أن يعتذر تاكفاريناس عما بدر منه في حق الشعب الروماني، ويطلب منه الغفران لا أن يخاطب الإمبراطور بأسلوب التهديد.[2] ذلك الأسلوب الذي رأى فيه تيبريوس وقاحة من شخص وضيع لا يستحق عدم الإصغاء إليه فقط بل وجبت معاقبته على فعلته هذه حسب ما أورده تاكيتوس[3].

يبدو أن الإمبراطور بقدر ما استصغر تاكفاريناس استعلاءً منه بقدر ما أدرك خطورة الوضع في إفريقيا، ورأى في ذلك التهديد دلالة لا غبار عليها عن قوة ذلك الموزيلامي الإفريقي، وأن مكانة جيشه تراجعت كثيرا أمامه، لذلك تدخّل وحسم الجدال

(1) - Chehrit (K.),op.cit.,p.77.

(2) -تهديد تاكفاريناس للإمبراطور تيبيريوس نفسه بقدر ما يعبر عن إيمان الأفارقة بقضيتهم المتمثلة في مقاومة الاحتلال الروماني ويبث فيهم العزيمة والإرادة لدحر المعتدي، بقدر ما يحط من معنويات الجيش الروماني ويزعزع مكانته وقوته. إلا أننا نجد المؤرخ الفرنسي رونيه كانيا (R.Cagnat) يستقرأ موقف الإمبراطور تيبيريوس بعدم التأثر بالسب والإهانة التي لحقت به وبالشعب الروماني من جراء سلوك تاكفاريناس، وإنما غضبه مرده أن يصدر ذلك السلوك من شخص وضيع، وقاطع طريق مثل تاكفاريناس... أنظر:

- Cagnat (R.) , op.cit., pp. 19-20.

(3) - Tacite, Annales, III, LXXIII

الدائر في مجلس الشيوخ حول تعيين البروقنصل الكفء الذي يستطيع إنقاذ هيبة روما. فاختار ك.يونيوس بليزوس (Q.Junius Blaesus)[1].

انتهج البروقنصل الجديد أسلوبا مغايرا لسابقيه، حيث مارس ما يشبه سياسة الترغيب والترهيب، حيث موازاة مع إعادة ترتيب فرقه العسكرية واختياره لها المواقع الإستراتيجية، طرح فكرة العفو عن العناصر التي تتخلى عن السلاح وتساعد الرومان في مهمتهم ووعدهم بمكافئات مغرية [2].

كما اتبع بلايزوس ذات الأسلوب الذي طبقه ميتيلوس وماريوس في حربهما ضد يوغرطة، حيث قسم جيشه إلى ثلاث وحدات أساسية سريعة الحركة، الأولى تحت قيادة كورنيليوس سيبيون (Cornelius Scipion) قائد الفرقة التاسعة الإسبانية (IX^{e} Hispana) من شأنها أن تمنع الدعم والاتصال القادم من لدن قبائل الغرامنت وحماية لبدة وخليج السرت، والثانية أوكلت لها مهمة الدفاع عن سيرتا وضواحيها، أما الثالثة فمركزها الوسط أي الدفاع عن مدينتي تبسة (Theveste) وأمايدارا (Ammaedara)، ثم عمد القائد الجديد إلى تطبيق تكتيك فريد يقوم على تجزئة الفرق الثلاث إلى وحدات صغيرة يشرف عليها قائد مائة (Centurions)[3].

---

(1)- أشرف البروقنصل بليزوس بنفسه على ملاحقة وحدات تاكفاريناس الخفيفة، وكان يأمر بإقامة القلاع والحصون، ومد الخطوط الدفاعية، ولم يتوقف عند ذلك بل نجده ينشأ وحدة مدربة على حرب العصابات ويتولى قيادتها بنفسه، وحصر مهمتها في العمل على إلقاء القبض عبى تاكفاريناس شخصيا، أو قادته المقربين منه. وقد نجح بليزوس في إلقاء القبض على أحد إخوة القائد النوميدي تاكفارياناس و لفظ أنفاسه الأخيرة تحت التعذيب الذي مورس عليه من قبل أفراد الجيش الروماني ...حول الموضوع أنظر:

– غانم محمد الصغير، بعض ملامح ثورات التحرير...،ص ص. 21–22.

(2) - Rachet (M.), op.cit., pp. 106-108.

(3) - Tacite, Annales, III, LXXIV.

ذلك ما مكنه من تحقيق بعض الانتصارات الجزئية خلال سنتي 22 و23 م[1].

ورغم ذلك لم يستطع الرومان الوصول إلى هدفهم الأساسي المتمثل في القضاء على تاكفاريناس حيث كان من حين إلى آخر يباغت العدو بغارات مفاجئة على الحصون والقلاع التي أمر بلايزوس بإقامتها على المناطق الاستراتيجية. ويذكر تاسيت مشيدا كعادته بانتصارات الرومان بأن تاكفاريناس فقد أحد إخوته في إحدى تلك الغارات[2].

كما حملت سنة 23 م تطورات هامة كانت في صالح المقاومة، حيث صعب الموت المفاجئ للملك يوبا الثاني (حليف الرومان) مهمة مواصلة الحرب على الجيش الروماني، ذلك أن خليفته على عرش موريطانيا القيصرية ابنه بطليموس (Ptolemée) لم يرض الرومان بسبب ضعف شخصيته وعدم كفاءته في إدارة شؤون المملكة زيادة على سخط مواطنيه على سياسته وسياسة أبيه الموالية للرومان، إذ كانت مشاعر الدعم والمساندة لدى الشعب الموريطاني متجهة نحو ثورة تاكفاريناس وزعيم الثوار المور مازيبا[3].

وفي نفس السنة أيضا تم سحب الفرقة الأسبانية التاسعة (IX^{eme} Hispana) بأمر من الإمبراطور تيبيريوس وعودتها إلى أسبانيا. فاستغل تاكفاريناس ذلك الحدث ليوجه نداءً سياسيا لرفع معنويات جيشه وكل النوميديين، وفي هذا الصدد يورد تاسيت ما يلي : **"لقد أشاع تاكفاريناس بين أفراد جيشه بأن القوة الرومانية بدأت تندحر بفعل حروبها مع أمم أخرى، وبالتالي فهي مجبرة على الرحيل عن إفريقيا شيئا فشيئا، ونستطيع أن ندحر ما تبقى من جنودها عندنا إذا بذل الذين يفضلون الحرية عن العبودية جهودا أكثر ضدها..."**[4].

(1) - Gsell (S.).H.A.A.N.,T.VIII,pp.229-230 ; Boissière (G.), op.cit.,p.243.
(2) - Tacite, Annales, III, LXXIV.
(3) - Cagnat (R.), op.cit., p. 20.
(4) - Tacite, Annales, IV, XXIV.

وقد نجح تاكفاريناس إلى حد بعيد في تحفيز مقاتليه على مواصلة الحرب كما نجح في كسب دعم الغرمنت وزعيمهم كحليف استراتيجي بتزويد المقاومة بالرجال واللجوء إليهم في أقاص الصحراء إذا اقتضت الضرورة، وبذلك يشع لهيب الثورة ليشمل معظم إفريقيا الشمالية[1].

مما اضطر الرومان إلى إحداث تغيير آخر في قيادة البروقنصلية، حيث عين ب.كورنيليوس دولابيلا (P.Cornelius Dolabella) بروقنصل جديد (23–24 م)[2].

حاول البروقنصل الجديد الاستفادة من أخطاء سابقيه التكتيكية في قيادة العمليات العسكرية، بحيث لجأ إلى نفس أسلوب النوميديين وهو "**حرب العصابات**"، كما دعم تحصين المدن وإقامة أبراج وقلاع للمراقبة على طول الخطوط الدفاعية التي أقيمت في عهد بلايزوس في نوميديا، مما جعل تاكفاريناس يقدم عل حصار مستوطنة تبريسكوم نوميداروم (Thubriscum Numidarum)[3].

غير أن القنصل دولابيلا استطاع أن يفرق الجيش النوميدي ويلحق به هزيمة قاسية. وانسحب بعدها تاكفاريناس غربا لمحو آثار تلك الهزيمة في منطقة سلسلة جبال البيبان التي بدأت تشهد إنشاء مستوطنات ومزارع للإيطاليين في الأراضي المنتزعة من أصحابها الموريين. ذلك ما دفعهم إلى مناصرة تاكفاريناس[4].

(1) - Benabou (M.), Tacfarinas…, pp.293-313.

(2) - Tacite, Annales, IV, XXIII.

(3)– توبريسكوم نوميداروم هي مدينة خميسة (Khamissa) حاليا والواقعة جنوب غربي قالمة (Calama) وفقا لما ورد في بعض النقوش اللاتينية، وقد منحت هذه المدينة اسم المستعمرة الرومانية وضمت عدة هيئات للحكم ذات الطابع الروماني كالمجلس البلدي وغيره. أنظر : غانم محمد الصغير، بين آثار قالمة، (مجلة المعالم) السنة الأولى، ع.1، مطبعة ولاية قالمة، الجزائر، 1987، ص ص . 24–28.

(4) - Hamdoune (Ch.) , op.cit., pp.112-113.

ومكنه ذلك من مواصلة الحرب بحصاره لمستوطنة تكلات (TEKLET) التي عرفت باسم توبوسوكتو (Tupusuctu) الواقعة على بعد 15 كم جنوب غرب صلداي (بجاية)، وكانت مدينة محصنة لم يستطع تاكفاريناس اقتحامها مما منح الوقت الكافي للبروقنصل دولابيلا للوصول لنجدتها[1].

حينئذ تطور سير الحرب وأخذ منحى آخر،ممهدا للمرحلة الأخيرة من تلك الانتفاضة التي قادها الزعيم الموزيلامي تاكفاريناس.

3- مرحلة التراجع ونهاية المقاومة:

لقد انتهج القائد الروماني الجديد دولابيلا وأبدع في أسلوب الدسائس والمؤامرات، حيث تمكن من توظيف بعض القادة من المرتزقة الموريطانيين، ومن جنسيات مختلفة إضافة إلى الملك بطليموس ابن يوبا الثاني، في خدمة أهداف الرومان[2].

ذلك أن دولابيلا تمكن من ملاحقة تاكفاريناس خفية، حيث انسحب هذا الأخير بعد وصول النجدة الرومانية إلى الموقع المحاصر توبوسكوم واتجه نحو أوزيا (Aumale)[*] وعسكر في حصن قديم مهدم[3].

(1) - Cagnat (R.) , op.cit., p . 21.

(2) - Gaid (M.) , op.cit.,p.125.

(*)- أومال (Aumale) أو أوزيا (Auzia) هي المدينة التي تعرف الآن باسم سور الغزلان، أنشأها الرومان كإحدى المستوطنات، بدعم من الملك يوبا الثاني. جعلها موقعها الاستراتيجي في جنوب موريطانيا القيصرية لتكون إحدى النقاط المفصلية في الليمس الموريطاني حيث أنها تقسمه إلى شطرين : الشطر الشرقي يربط بين زراية و أوزيا و الشطر الغربي يربط بين أوزيا و ألبولي (عين تموشنت)...أنظر:
شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني... ، ج.1،ص.119.

(3)- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص.127.

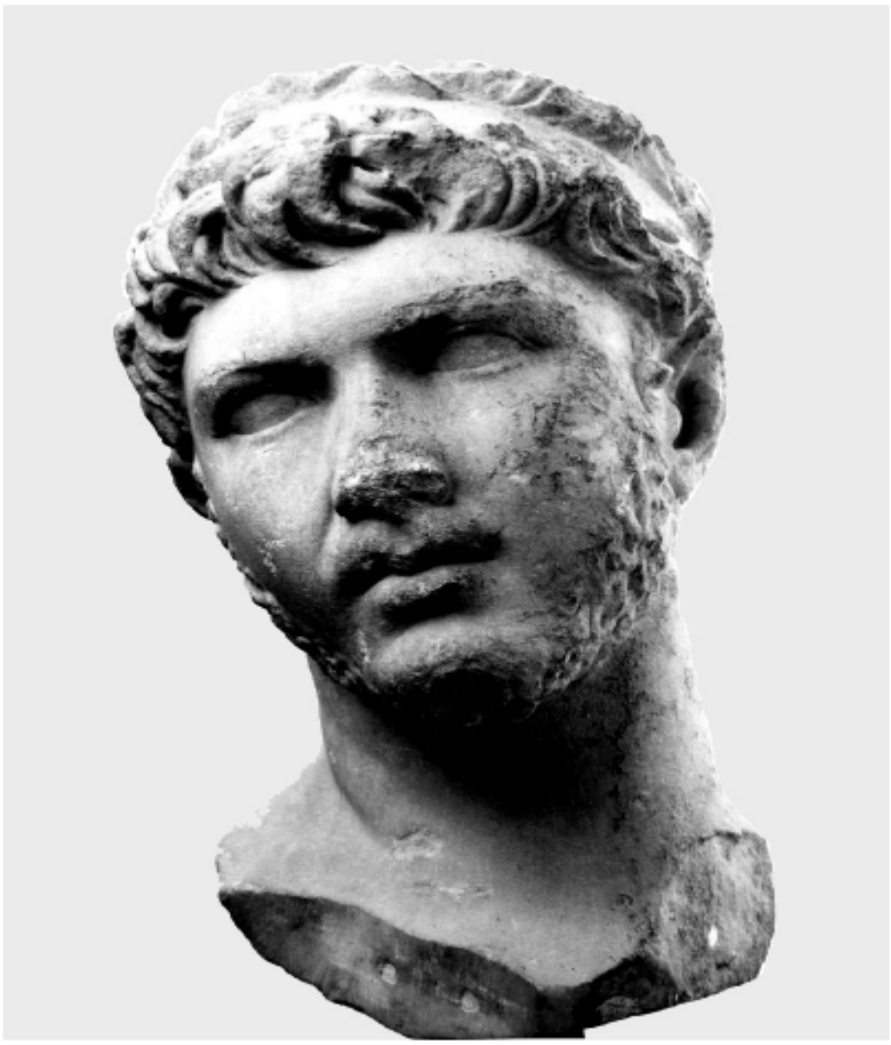

شكل رقم(06): تمثال نصفي للملك بطليموس إبن يوبا الثاني

عن: أحمد السليماني، المرجع السابق، ص.178

وقد اعتمد البروقنصل الجديد دولابيلا إلى جانب حبك المؤامرات على تكييف وحدات جيشه حسب ما تقتضيه الضرورة العسكرية بانتهاج نفس الأسلوب المنتهج من قبل النوميديين أحيانا بتقسيمها إلى وحدات قليلة العدد[1].

وفي هذا السياق، عمد دولابيلا أثناء ملاحقة تاكفاريناس إلى تقسيم جيشه إلى أربع وحدات صغيرة. منها وحدة مشكلة من العناصر المحلية الموريطانية المرتزقة، والذين أمده بهم الملك بطليموس الرومان، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء المرتزقة وراء الوشاية التي أمكنت من الوصول إلى تاكفاريناس ومباغتته[2].

زرع دولابيلا إلى جانب ذلك الرعب في صفوف القبائل المساندة لتاكفاريناس وقطع رؤوس أعيانها في أثناء سيره إلى تاكفاريناس، وحين أدركه حاصر المكان بواسطة أربعة مجموعات صغيرة، وفاجئوا تاكفاريناس ليلا، وجرت معركة بين الطرفين في أوزيا (سور الغزلان) ، وقد جرح خلالها نجل تاكفاريناس، فأسره الجنود الرومان.

فضل تاكفاريناس الموت على أن يساق أسيرا في يد قادة الجيش الروماني، فرمى بنفسه في معركة انتحارية رغم جراحه ،ولقي الموت أثنائها [3].

---

(1) - Benabou (M.), La résistance … ,p.82.

(2) - Messikh (M.S.), L'histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique Rusikade, éd. Raïs, Algérie, 1996, pp.32–33.

(3)- هنا يمكننا أن نلاحظ أنه رغم السهولة التي تمت بها عملية إبادة معظم الثوار المزالمة وقائدهم تاكفاريناس، حسب رأي المؤرخ تاكيتوس ومن نقل عنه من المؤرخين الغربيين، إلا أن تاكفاريناس أبدى شجاعة و إقدام واستماتة مثله في ذلك مثل كل من يدافع عن قضية عادلة ضد الذين استعبدوا شعبه واستغلوا أرضه، رغم تفوقهم عددا وعدة. وفضل أن ينال شرف التضحية والموت من أجل تلك القضية العادلة على العيش تحت الذل والسيطرة المفروضة من قبل الاحتلال الروماني وعملائه من أمثال الملك الموريطاني بطليموس...حول الموضوع أنظر:

– غانم محمد الصغير، بعض ملامح ثورات التحرير...، ص ص. 25–26.

وقد صور لنا تاكتيوس تلك المعركة الحاسمة من خلال النص التالي : "**لقد بلغ النوميديون حصنا مخربا يدعى أوزيا فأحرقوه ونصبوا خيامهم واستقروا به بعد أن أطمأنوا لموقعه الآمن المحاط بالغابات... في مطلع الفجر فاجأهم الجيش الروماني بأصوات الأبواق والصيحات واقتحم عليهم المكان، وكانت خيولهم مربوطة ولم يكونوا جاهزين للقتال... كأنهم كانوا قطعانا يساقون على يد الجيش الروماني الذي قتل وأسر وأشبع رغبته في الدم والثأر من عدو يتهرب من المعركة... إن موت تاكفاريناس هو وحده الكفيل بوضع حد لهذه الحرب، لكنه (تاكفاريناس) حين رأى ابنه مكبلا وحراسه موتى والرومان قادمون من كل الاتجاهات رمى بنفسه وسط الحراب، حيث قتل ونجى من الأسر المحتم، وبذلك تضع الحرب أوزارها**"[1].

وبمقتل تاكفاريناس تنتهي حرب المزالمة ضد الرومان والتي اعتبرت أطول وأصعب حرب خاضها الرومان في إفريقيا منذ حرب يوغرطة. تلك الحرب التي استمرت 07 سنوات أرهق أثناءها تاكفاريناس وجنده الجيش الروماني ومرتزقته وحلفاؤه الموريطانيين. لاسيما بطليموس بن يوبا الثاني الذي تلقى التهاني والمكافآت من أسياده الرومان، حيث منحه الإمبراطور تيبريوس عصا عاجية ومعطفا فضفاضا مطرزا وهما رمز تبعية الملوك في المقاطعات لروما ودلالة على الصداقة والتحالف مع الشعب الروماني، كما هرع ملك الغرامنت هو الآخر للسعي إلى صداقة روما والإنطواء تحت عباءتها خوفا من بطشها وردة فعلها جراء مساندته لتاكفاريناس[2].

(1) - Tacite, Annales, IV, XXV.

(2) - Hamdoune (Ch.), op.cit., p.113.

د- نتائج المقاومة:

بعد فشل تاكفاريناس في تحقيق حلم النوميديين في التخلص من الهيمنة الرومانيـــة، خمد لهيب المقاومة في المغرب القديم حيث لم تسجل المصـــادر التاريخيـــة الكتابيـــة ولا النقوش أية أحداث مرتبطة بالمقاومة طول حكم تيبريوس وبداية حكم كاليجولا[1].

في حين زادت مناطق التوسع الروماني بالاستيلاء على أراضي الثوار وإلحاقهـــا بالإدارة الرومانية وتدعيم الاستيطان، بإنشاء مراكز عسكرية لإقامة الجنود المسرحين من الفيالق وشق الطرق للوصول إلى تلك المراكز (المستوطنات) المنشأة.

لتسهيل عملية استغلال الأراضي الزراعية التي قسمت على قدماء الجنود.

وأصبح لعملية التقسيم خطـــوط رئيســـية (Decumanius maximus et cadro maximus) تتشكل من خط يمتد عرضا من موقع بين ســـكيكدة وعنابـــة وينتهـــي فـــي الجنوب الشرقي قرب قابس، ومن خط يمتد من أقصى شمال شرق تونس إلى تبسة بشرق الجزائر[2].

مكن فشل حركة تاكفاريناس من جهة أخرى الرومان من أن يضعوا لهم قدما فـــي الصحراء، حيث أصبحت السياسة الرومانية تتجه نحو الاستيلاء على الصـــحراء نظـــرا لأهميتها الاستراتيجية في ردع أية حركة تمرد من شأنها أن تهدد الاستقرار في المنطقـــة باعتبار أن المناطق الواقعة جنوب الأوراس كانت ملاذا آمنا لأتباع تاكفاريناس.

شكل التحالف الموزيلامي –الغرامنتي نموذجا للتضامن بـــين مختلـــف العناصـــر المحلية ومثالا للتآزر بين القبائل المرتحلة ونصف المستقرة في الأوراس و شماله ومـــع

(1) - Cagnat (R.) , op.cit., p . 23.

(2)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص .181.

القبائل الصحراوية في جنوبه، مما يؤكد إيمان تلك العناصر بوحدة المصير إزاء التهديدات الأجنبية أو القوى الخارجية للمنطقة .

انطلاق الثورة في الأوراس وانتشارها السريع نحو الشرق في جنوب المقاطعة البروقنصلية و نحو الغرب في جنوب المملكة الموريطانية ليصبح تهديدا حقيقيا للوجود الروماني في المنطقة المغاربية جعل إدارة الاحتلال الروماني تعيد رسم سياستها الاستعمارية في إفريقيا. تلك السياسه المعاد رسمها بالتأكيد أحذت بعين الاعتبار ذلك التلاحم المغاربي بين مختلف المكونات الاثنية من غرمنت و جيتول و نوميد وذلك بمحاولة تشتيت الصفوف لتكسير ذلك التلاحم الذي من شأنه أن يعيق عمل المؤسسة العسكرية الرومانية في المنطقة و يحد من نجاعة خطط الساسة الرومان.

رغم الامكانيات المادية و البشرية التي واجهت بها تلك الانتفاضة السلطات الرومانية وحلفائها الملوك الموريطانيين إلا أن تاكفاريناس و أتباعه استطاعوا الصمود سبع سنوات كاملة كانت قاسية على الجيش الروماني و قادته، وكان الرومان قد نصبوا كمينا اشتمت رائحة الخيانة فيه لقتل زعيم الثورة وإنهائها. والملاحظ أن المؤسسة الرومانية و ساستها العسكريين لطالما استغلوا الخلافات بين القادة المغاربيين من جهة و اغراء بعضهم البعض من جهة أخرى بتحقيق الكثير من أهدافها فيما يخص القضاء على المقاومة المحلية في فترات مختلفة من سيفاكس و استغلال طوحات ماسينيسان الى تاكفاريناس والعمل على الاستثمار في موالاة الملك يوبا الثاني و ابنه بطليموس للرومان.

حاول الرومان بعد ثورة تاكفاريناس السيطرة على تلك المناطق الثائرة و المنضوية تحت لواء القائد تاكفاريناس وذلك بالعمل على إدماج قبائل الرحل القاطنة بتلك المناطق في إطار المدنية الرومانية وتغيير نمط الحياة لديها للتخلص من خطرها.

ارتأت السلطات الرومانية أن يتم توطين تلك القبائل في المدن ليكونوا تحت مراقبة الجنود المسرحين المقيمين في المستوطنات خاصة في الأوراس، حيث أنشأت لهذا الغرض مستوطنات الجنود المسرحين مثل ديانا فيتيرانوروم (Dayana Veteranorum) ولامسبا ولامبيريدي وزانه (ZANA) في شمال غرب لمباز[1].

اعتقد الرومان أنه بذلك تم لهم ما أرادوا وتحقق الأمن والاستقرار في كامل إفريقيا، ولذلك أقدم الإمبراطور كاليجولا على إلغاء المملكة الموريطانية بتدبير مكيدة قتل بطليموس سنة 40 م، ويلحق موريطانيا القيصرية بأملاك الإمبراطورية الرومانية[2].

أقدم الموريطانيون على الانتفاضة كرد فعل على ذلك متذرعين بمقتل بطليموس. وتزعم تلك الانتفاضة إيدمون (Aedemon)[3] الذي جمع القبائل الموروية حوله، فعمت ثورته كامل التراب الموريطاني وامتدت إلى جنوب الأطلس، كما انضمت إليها بعض القبائل النوميدية خاصة المزالمة.

غير أنه وبعد القضاء على تلك الانتفاضة أقدم الرومان على تقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين : القيصرية والطنجية، يفصل بينهما نهر الملوية وذلك سنة 42 م[4].

---

(1) - Gsell (S.) et Graillot(H.),Exploration archéologique dans le département de (Algérie) –Ruines Romaines nord des monts de Batna Constantine ,M.A.H.,N.1, vol.14,(1894),pp.501-609

(2) - Rachet (M.) , op.cit., pp .126- 127 ;Cagnat (R.),op.cit.,p. 25 ;Boissière (G.),op.cit., p.279.

(3)- إيدمون (AEDEMON) كان أحد المقربين من الملك بطليموس ابن يوبا الثاني و مساعديه الأوفياء لأنه كما تصفه المصادر التاريخية القديمة أحد المعتقين ورغم ذلك استطاع أن يجمع حوله قادة القبائل التي كانت تتمرد على سلطة الملوك الموريطانيين لأنه على ما يبدو قد أدركت تلك الأقوام أن الهدف أسمى وبالتالي لم يعد يهمهم من يقود المقاومة بقدر ما كانت تهمهم المقاومة في حد ذاتها. وتمكنت حركة إيدمون من الصمود في وجه الاحتلال الروماني سنتين كاملتين حشد خلالها الإمبراطور كاليجولا الدعم من مختلف المقاطعات الرومانية ...لمزيد من المعلومات أنظر:
– شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني....،ج.1،ص ص. 61–62.

(4) - Benabou (M.), La résistance…,p .92.

الباب الثاني: التوسع الاستيطاني الروماني في الجنوب النوميدي وآثاره الاقتصادية

الفصل الأول: نوميديا تحت حكم الأباطرة الفلافيين والأنطونيين

1- الشرق النوميدي و الأباطرة الفلافيين 69-96 م

2- الكتلة الأوراسية تعيق التوسع الروماني

3- الإمبراطور تراجان والاوراس (صراع دائم ومقاومة مستمرة)

الفصل الثاني : مد خطوط الليمس النوميدي وآثارها الاقتصادية

1- الخطوط الدفاعية أثناء العصر الأول من الإمبراطورية

2- ليسم الشرق النوميدي خلال القرن الأول الميلادي

3- ليمس الشرق النوميدي أثناء فترة حكم الأباطرة الانطونيين

4- الزراعة إحدى آليات الاستيطان الروماني في الجنوب النوميدي

أ- شبكة الري

1- تجميع المياه

2- نقل المياه وتوزيعها

ب- النشاط الزراعي

5- الآثارالمترتبه عن الاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي النوميدي

الفصل الثالث: الإصلاحات السيفيريه آثارها على الشرق النوميدي

1- سبتيموس سيفيروس يتولى عرش الإمبراطورية الرومانية

2- فصل الشرق النوميدي عن المقاطعة البروقنصلية

3- إصلاحات الأباطرة السيفيريين الاقتصادية

4- إصلاحات الأباطرة السيفيريين المالية

5- أهداف الإصلاحات السيفيريه و انعكاساتها

الفصل الرابع: التدهور الروماني وانتشار المسيحية

1- الديانة في شمال إفريقيا قبل ظهور المسيحية

2- الشمال الإفريقي يعتنق المسيحية

3- الحركة الدوناتية في الشرق النوميدي

أ- مفهوم الحركة الدوناتية

ب- نشأة الحركة الدوناتية

ج- الفكر الدوناتي

4- الإمبراطور قسطنطين 306-337م الحركة الدوناتيه

5- الانشقاق الديني والصراع بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية

6-الدوناتية تتحالف مع الثوار الريفيين

7-أحداث باغاي وتحول سنة 347 م

الفصل الأول: نوميديا تحت حكم الأباطرة الفلافيين والأنطونيين

1- الشرق النوميدي و الأباطرة الفلافيين 69-96 م

2- الكتلة الأوراسية تعيق التوسع الروماني

3- الإمبراطور تراجان والاوراس (صراع دائم ومقاومة مستمرة)

الفصل الأول: نوميديا تحت حكم الأباطرة الفلافيين والأنطونيين:

1-الشرق النوميدي والأباطرة الفلافيين 69-96م:

بعد فشل مقاومة الثائر الموزيلامي تاكفاريناس في الأوراس بالجنوب الشرقي النوميدي عرفت المنطقة نوعا من الركود المحلي والاستقرار الروماني شمل طوال فترة حكم الإمبراطور تيبيريوس (42ق.م-37م) ومن جاء بعده من أباطرة، وهم: كلود (Claude)، وكاليجولا (Caligula)، ثم نيرون (Neron)، نهاية هذا الأخير كانت عهدا جديدا في سياسة التوسع الروماني وذلك بتدشين فترة حكم الأباطرة الفلافيين (Les Flaviens)[1].

ارتبط العمل العسكري الذي قام به الفلافيون أو من سبقوهم ضد قبيلة جرمة على ما يبدو بالمصالح التجارية للرومان في المنطقة لاسيما مراقبة الطرق التجارية التي تشكل عصبا حيويا بالنسبة للمؤسسة العسكرية الرومانية، ومن ثمة فكان تهديد تلك القبائل المغاربية بمحاصرة الطرق التجارية يعني تهديد الوجود الروماني نفسه، وعليه كان لزاما

---

[1]- امتد حكم الأسرة الفلافية من سنة 69م، إلى سنة 96م، وتناوب على الحكم ثلاث أباطرة هم : فاسباسيان (Vespasien) (69-79م)، وتيتوس (Titus) (79-81م)، ثم دوميسيان (Domitien) (81-96م)، وتعتبر فترة حكم هؤلاء الأباطرة من أشد فترات الاحتلال الروماني قساوة لأنها شكلت انطلاقة جديرة لعملية الاحتلال العسكري الروماني للأراضي النوميدية وتكريسه في أرض الواقع من خلال بدأ الإمبراطور الفلافي الأول فاسباسيان حكمه بإرسال حملة عسكرية بقيادة أحد قادته وهو فاليريوس فيستوس (Valerius Festus) بين سنتي 69-70م، إلى الشرق النوميدي وتحديدا إلى خليج السرت بعد أن عادت المقاومة في هذا الإقليم، على إثر فشل الإمبراطور أغسطس في إخماد النزاع الذي نشب بين قبائل قاطنة في مدينتي لبدة (Liptis Magna) وطرابلس (OEA)، ليتفاقم ذلك النزاع بانضمام قبيلة جرمة (غرامنت) إليه بتحالفها مع قبائل طرابلس، ولم يستطع أغسطس إنهاء ذلك الصراع وإعادة الاستقرار وحرصا منه على خطورة انتقال ذلك التمرد إلى الأراضي نوميدية الداخلية أمر فاسباسيان بشن تلك الحملة العسكرية التي تمكن من خلالها من احتلال عاصمة الغرميين مدينة جرمة وأسر من مقاتليها الكثير... لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر:

-Le Pelley, (c.), op.cit., pp.81-82.

على القادة الرومان إخضاع تلك القبائل بشتى الطرق بما في ذلك محاولة استمالتها إلى صفوفها.

في هذا السياق يذكر ر.كانيا (R.Cagnat) أن الإمبراطور دومسيان أرسل حملة عسكرية إلى منطقة إثيوبيا(*) لاستكشاف الطرق التجارية، منطقة تلك الحملة من مدينة لبدة (Liptis Magna) ومنها انتقلت إلى مدينة جرمة عاصمة قبائل الغرمنت، ويضيف كانيا (Cagnat) أن قائد الحملة تلك يوليوس ماتيرنوس (Julius Maternus) قد وجد كل الدعم والمساندة من قبل حاكم المدينة أو زعيم تلك القبائل إلى أن بلغ مقصده ثم أن هناك حملة أخرى تذكرها المصادر هي حملة سيبتيموس فلاكوس (Septimus Flacchus) الاستكشافية في نفس المنطقة لقي قائدها الدعم من قبل الغرمنت(1).

تمكن الرومان من بسط نفوذهم على المنطقة الشرقية من نوميديا بعد إخضاعهم لقبائل الغرمنت، بل أصبحت تلك القبائل في عهد الفلافيين حليفة وفية للرومان، ذلك ما شجع الرومان على المضي قدما في تأكيد نفوذهم وسيطرتهم، بل وفرض مراقبة دائمة عن طريق تلك القبائل، وبذلك تأتى للرومان تهدئة منطقة الجنوب الشرقي النوميدي ولو لفترة قصيرة أو بشكل نسبي(2).

وبعد ضمان الهدوء في أقصى الشرق قام الإمبراطور فاسيباسيان بالتخطيط لترتيبات جديرة تماشيا مع التهديد الذي كان يطال القوات الرومانية في الشرق النوميدي وعلى هذا

(*)– إثيوبيا: يحدد المؤرخون القدامى أراضي الإثيوبيين جنوب ممتلكات قبائل الغرمنت والجيتول أي أقصى جنوب الجزائر الحالية ولم يكن بمقدور الرومان السيطرة عليها ولكنه ربما كانت هناك رحلات استكشافية أو تجارية لهم في المنطقة حول الموضوع أنظر:

- Rachet (m.), op.cit., p.155.

(1) -Cagnat (R.), L'Armée Romane, p.43.

(2) - De Pachtère (F.), Les Camps de la, III légion Auguste au 1 siècle de l'empire, C.R.A.I., 1916, pp.273-282.

الأساس أوكل مهمة تفقد الأوضاع هناك إلى القائد: ل. دوميتيوس كورفيوس طولوس (L.Domitius Curvius Tullus) بصفة طارئة على ما يبدو، ليقوم بتحويل قصر الفيلق الأغسطي الثالث للحرة الثانية سنة 75م، وذلك من مدينة أما أمايدرا (حيدرة) إلى تيفيست (Theveste) التي تبعد بنحو 35 كم جنوب غرب أمايدرا أين كان قصر الجيش سابقا[1].

يبدو أن تقل قصر الفيلق الأغسطي الثالث من أمايدرا إلى تيفسيت لم تكن اعتباطا بل كان عن دراسة إستراتيجية حول موقع المقر الجديد، فمدينة تيفست تقع في منطقة فاصلة بين المناطق التلية والمناطق الصحراوية ومن ثمة بإمكان الجيش المرابط بها مراقبة المنطقتين معا وبالتالي فتح مجال التوسع أمام المؤسسة الرومانية إن رغبت في ذلك. وتمكن القائد المذكور أعلاه بإنجاز المهمة بنجاح بل قام أيضا بشق طريق استراتيجي هام لربط تيفست مقر الفيلق (الجيش) بميناء "هيبوريجيوس (عنابة) على سواحل البحر المتوسط"[2].

لقد عملت الإدارة الرومانية على استثمار ما حققه الجيش الروماني في أرض الواقع من مكتسبات ميدانية، وذلك باتخاذ قرارات مهمة تجعل من الوجود الاستعماري الروماني في المغرب القديم واقعا ملموسا وذلك بتحويل الأعمال العسكرية نحو الجنوب بدلا من تركزها في الشمال النوميدي لمدة طويلة.

وفي هذا السياق نجد أن الإمبراطور فاسباسيان قد أعد مخططا لمسح كل أراضي المنطقة المحلية في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا وذلك انطلاقا من رأس الطيب (Cap-Bon) شمالا إلا الجم (Thysdrus) وحيدرة أمايدرا شرقا، وكان الإمبراطور قد أوكل هذه المهمة الإستراتيجية والهادفة إلى إعادة تنظيم الأراضي المعتدة ملكا للشعب الروماني

(1) -De Roch (S.), Tébessa Antique Theveste, Alger, 1952, pp.11-12.

(2) - Salama (P.), op.cit., p.25.

إلى ثلاث قادة كبار تبوؤا مراتب عليا في الإدارة والجيش الروماني وهم: ك.روتيليوس جاليانس (C.Rutilius Galliens) وهو قنصل سابق، وساكس سنتيوس كايسيليانوس (Sex. Sentius Caecilianus) الذي اشتغل في السابق بريتور ثم القائد العسكري ت.كورتيليوس مانسيا (T.Curtilus Mancia)[1].

وقد مكنت عملية المسح التي قام بها هؤلاء القادة الثلاث من الفصل بين الممتلكات الخاصة بالإمبراطور كمؤسسة أو كهيئة وممتلكات المعمريين، وكبار ملاك الأراضي الزراعية والتجار أو أراضي ملك للمدن وفي السياق ذاته أنشأت السلطة الرومانية في تلك الفترة بالشرق النوميدي مستعمرتي مادوروس (Madorus) وحيدرة[2].

وضمن سياق عملية المسح الخاصة بالأراضي التي كان موظيفوا الإمبراطور أو مبعوثوه يقومون بها كاتب عملية مصادرة الأراضي من القبائل النوميدية تتم على قدم وساق وتدرج الأراضي المصادرة ضمن ممتلكات الشعب الروماني ويتم تحديدها بوضع معالم أو نصب لتفصل بين تلك الأراضي وغيرها.

وارتبطت تلك العملية (المصادرة) بأحد موظفي الإدارة الرومانية في نوميديا كان له لقب لغاتوس أغسطي (Legatus Augusti) تذكره النقوش التي عثر عليها بالمنطقة تحت اسم: ك. توليوس كابتو بومبونيانوس وبلتيوس فيرموس (C.Tullius Capto Pomponianus Plotius Firmus) هذا الأخير كان قد بعث به الإمبراطور فاسباسيان على ما يبدو في مهمة مستعملة إلى مدينة (Tagueste) سوق أهراس، لرسم الحدود بين قبيلتين كانت هناك خلافات مسلحة بينهما ونزاع طال أمده هما: فوفريسينساس

(1) –Leglay (M.), op.cit., p.221.

(2) –Ibid, p.222.

(Vofricenses) وسوبينساس (Suppenses)[1] وبعد فصله بين القبيلتين المذكورتين أعلاه واصل المبعوث الإمبراطوري مهمته التي أوكلها له إياها الإمبراطور فاسباسيان وذلك برسم الحدود ووضع النصب بين أراضي قبيلتي: النسيب (Nicebes) والسبربور (Suburburés) القاطنتين في منطقتي عين البرج (Tigisis) بمحاذاة مدينة سيرتا ومنطقة عين عبيد غير بعيد أيضا عن المدينة المشار إليها[2].

ورغم أن مهمة المبعوث الأخير كانت واضحة فيما تعلق بقبيلتي النسيب والسبربور إلا أن ج.كامبس يذكر انطلاقا من دراسته لنقيشة بزنطية أن قبيلة النسيب كانت تتموضع في منطقة (Nesivebus) نقاوس بينما السبربور حدد أراضيها في المنطقة الواقعة بين قسنطينة وسطيف ولعل ذلك يعود إلى كون فروع من القبيلة كانت تسكن تلك المنطقة[3].

وتعتبر تلك الإجراءات التي قام بها فاسباسيان في الشرق النوميدي والولاية البروقنصلية بمثابة اللبنة الأولى لمواصلة الاحتلال من أجل الوصول إلى الجنوب النوميدي تلك المهمة التي سيتكفل بها الإمبراطور تراجان (Trajan) بعد أن وجد الأرضية قد هيئها له أباطرة الأسرة الفلافية.

2- الكتلة الأوراسية تعيق التوسع الروماني:

منذ أوائل العصر الإمبراطوري والرومان كانوا يحاولون التوغل في الجنوب النوميدي لكن دوما كانت محاولاتهم تصطدم بصلابة الكتلة الأوراسية طبيعة وسكانا، لذلك على ما يبدو وكما أشرنا إليه سابقا كان نقل معسكر القيادة التابع للفيلق الأغسطي الثالث

(1) -Desanges (J.), catalogue des tribus..., pp.137-142.

(2) -Leschi (L.), « inscription de la Région de souk ahras », Bcth, (1941-42), pp270-72.

(3) -Camps (G.), Massinissa,.., pp.181-182.

من أمايدرا إلى تيفسيت بمثابة تدعيم للقوة العسكرية الرومانية حتى يتم تكثيف التواجد العسكري المحاذي للأوراس[1].

وقد أشار الباحث م. لوقلي (M.leglay) إلى أن الفلافيين قد أنشأوا مراكز حراسة متقدمة عن عجز الفيلق الأعسطى الثالث وذلك في شمال الكتلة الأوراسية وغرب مدينة تيفيست رغم أنه عمليا لم يعثر على ما يثبت ذلك بالشواهد الآثارية عدا معسكر لمبازيس الذي سيتم نقل مقر قياده الفيلق إليه لاحقا[2] فقد عثر على نقيشة هامة سنة 1951 م في موقع المعسكر الذي شيده الجيش الروماني بـ لمبازيس، تشير تلك النقيشة إلى وجود مقر لفرقة من الفيلق الأغسطي الثالث.

بنى ذلك المقر القائد العسكري: ل. تيتيوس إيوليانوس (L.Tittius. Iulianus) في سنة 81م، ويبدو من خلال ذلك أن الأباطرة الفلافيين قاموا بتلك الإجراءات من أجل بسط الهيمنة الرومانية وتوسيع نفوذ الرومان تحت حكم الأسرة الفلافية وذلك لتحقيق طموح أباطرتها والتمهيد لاحتلال الجنوب النوميدي[3] رغم أن شرق الأوراس لم يده الهدوء التام إلا في فترة حكم الإمبراطور دومسيان وهو آخر الأباطرة الفلافيين. والذي أرسل حملة تأديبية ضد قبيلة الناسامونس (Nassamones) القاطنة في منطقة السرت الكبير[4] وبذلك

---

(1) -Decret (F.) et fantar (M.), op.cit., p.171.

(2) -Leglay (M.), op.cit., p.219.

(3) -Leschi (L.), « Un Nouveau Camps de Titus à Lambèse, (81 ap.J.C.) » Libyca, (1953), pp.189-200.

(4)- تشير الكتابات التاريخية إلى أن قبائل النسامونس كانت قد قامت باغتيال ممثل الإدارة الرومانية هناك بعد حصار مقره والتمرد عليه ورفضوا دفع الضرائب التي كان الرومان قد أقروها على تلك القبائل من قبل، وقام شباب تلك القبائل بالاستيلاء على إحدى مراكز الجيش الروماني غير أن القائد ك.سويليوس فلاكوس (T.Suellius Flaccus) باغتهم وهم نيام في ذلك المقر الذي قاموا بالاستيلاء عليه فقتل الكثير منهم وطرد البقية إلى الجنوب من السرت الكبير وكان ذلك عام 86م...أنظر:

-Benabou (M.), La Resistance..., p.98.

أصبحت منطقة السرت هادئة ولو مرحليا مما شجع الرومان على الاستقرار بها واستمر ذلك إلى غاية بداية أشغال إنشاء الطريق الساحلي الذي سيربط بين مدينة قفصه (CAPSA) ولبدة الكبرى (Leptis-Magna) والذي انتهت الأشغال به سنة 97 للميلاد، لتعود الاضطرابات من جديد إلى المنطقة[1].

ولعل تلك الاضطرابات كانت بداية لثورات الجيتول في الجنوب الشرقي من نوميديا والتي ستشهدها المنطقة في الفترة من 3-6 م وخلالها قام الناسامونس ربما مستغلين ثورة الجيتول فاغتالوا البروقنصل الروماني: ل.كورنيليوس لا نتوليوس (L.Cornelius lenuluis) على إثر كمين نصبوه له وقد أشار إلى ذلك م. بن أبو كما أشار أيضا إلى أن تفاصيل الحادث لا تزال مجهولة[2].

والجدير بالذكر أن جل فترة حكم الأسرة الفلافية تميزت بزيادة النقود الروماني في كل الشرق النوميدي وجنوبه من منطقة الأوراس إلى خليج السرت شرقا وقد تخلل ذلك عمليات واسعة من عمليات مصادرة الأراضي التابعة للفلاحين المحليين وتنظيم عمليات المسح والكنترة وتشييد الطرق لأهداف تتوزع بين ما اقتضته الضرورة العسكرية وما فرضته الحاجة الاقتصادية، وكل ذلك كان يتم في ظل مقاومة شرسة للسكان المحليين والتي لا تكاد تخمد حتى تندلع مرة أخرى في معظم الأقاليم النوميدية خاصة الجنوبية منها والأوراس منها بصفة أخص.

3- الإمبراطور تراجان (98-117م) والأوراس (صراع دائم ومقاومة مستمرة):

تولى تراجان (Trajan) عرش الإمبراطورية سنة 98م، وكان أباطرة الأسرة الفلافية قبله قد مهدوا له طريق التوسع في إفريقيا عموما ونوميديا على وجه الخصوص،

(1) -Leplley (C.), op.cit., p.82.

(2) -Benabou (M.), la résistance..., pp.63-64.

نظرا للأعمال العسكرية الكبرى والحملات العديدة التي تم شنها والقادة العسكريين الـذين أسندت لهم مهمات عسكرية وإدارية كثيرة، وعليه كان لزاما على الإمبراطور تراجان أن يقوم بحل المشاكل العالقة كاستكمال توسيع الاحتلال في باقي الأراضـي النوميديـة ثـم إجراء عمليات المسح والكنترة النهائية لأراضي القبائل النوميديـة لاسـيما المرتحلـة أو نصف المرتحلة.

تشير العديد من الدراسات التي تناولت مرحلة حكم الإمبراطور تراجان أنها خلـت من العمليات العسكرية الكبرى إلا أن هناك بعض الاضطرابات والتمردات لدى القبائـل الجيتولية والنوميدية جنوب وشرق نوميديا، لكن في نفس الوقت تأكد الدراسـات أن تلـك الفترة شهدت أكد عمليات تكريس الاحتلال وفرض المراقبـة العسـكرية علـى القبائـل النوميدية، ذلك أن المؤسسة العسكرية الرومانية في عهد تراجان أقدمت على إنشاء وبناء المعسكرات ومراكز الحراسة ونقاط المراقبة والترصد على الطرقات المختلفة والمنـاطق الإستراتيجية التي تحمل خطر تواجد أو عبور القبائل المحلية خاصة التي تمارس حرفـة الرعي[1].

أدرك تراجان خطورة القبائل المرتحلة في شرق نوميديا لذلك نجده يقدم على تحديد أراضي تلك القبائل لاسيما التي كان نشاطها بشكل تهديدا دائما على التواجد الروماني في المنطقة وبالتالي قطع أمل التحالف بينها أو عودتها إلى الثورة والتمرد من جديد لضـمان الأمن في المنطقة.

معروف أن الشرق النوميدي على الدوام كان يشكل الواجهة الشرقية التـي كـان عليها مجابهة الخطر القادم من شرق المغرب القديم على اعتبار أن الرومان كانت قاعـدة انطلاقهم في الحملات العسكرية هي المقاطعة الرومانية التي كان مقرها قرطاجة وعلـى

(1) -Cagnat (R.), L'armée Romaine..., p.44.

هذا الأساس كانت قبيلة الموزيلامي تتحمل أعباء تلك الحملات سواء العسكرية أو حملات المسح والكنترة، وتحديد الممتلكات ووضع معالم الحدود (النصب) ومن ثمة فقبيلة الموزيلامي كانت أول قبيلة تخضع لمثل هذه العمليات حيث تعرضت بداية من سنة 104-105م، لعملية مسح لأراضيها[1].

والغريب أنه عند الانتهاء من عمليات المسح (العملية الثالثة) لم يبق للقبيلة إلا مساحة لا تتعدى 80كم، وهي مساحة لا تمثل إلا نسبة ضئيلة جدا مما كان بحوزه القبيلة في أوائل الإمبراطورية ناهيك عن أن هذه المساحة التي تركت لها ما هي إلا عبارة عن أراضي بور لا تصلح للزراعة ولا لممارسة الرعي، أما الأراضي التي صودرت من القبيلة فقد أدرجت كالعادة ضمن أملاك الإمبراطورية أو منحت لكبار ملاك الأراضي، ولكي يضمن الرومان عدم تمرد القبيلة وضعت تحت إشراف ضباط سامون أطلق عليهم اسم: برايفريكت جوكتي موسولا ميوروم. (Praefrecti Gentis Mosulamiorum)[2] وبنفس الكيفية تعامل الإمبراطور مع عدة قبائل ليس فقط في التراب النوميدي ولكن أيضا في إفريقيا البروقنصلية على غرار قبائل السبربور والكنتيين وغيرهما حيث كان

(1)- كان الإمبراطور تراجان قد أرسل في سنة 102 إلى مناطق تواجد قبيلة الموزيلامي قائد الجيش: ل. موناتيوس جالوس (L.Munatius Gallus) فبدأ عملية الجرد والكنترة في هذه المنطقة ويبدو أنه لم يتمكن من استكمال العملية بصورة دقيقة لعل السبب كان اضطرابات الجيتول في المنطقة، فواصل بعده العمليات القائد: ل.مينيسيوس ناطاليس (L.Minissius Natalis) حتى عامي 104-105م، ثم تواصلت العمليات بواسطة القائد: ل.أكيليوس سترابو كلوديوس نوموس (L.Acilius Strabo cloduis Nummus) إلى غاية سنة 116م، والملاحظ أن النصب التي كان يضعها القادة على التوالي كانت تتعرض للتلف مما يضطر إلى إعادة تلك النصب في نفس المكان الذي كانت فيه سابقا، ولعل تلك القبيلة كانت تعبر عن رفضها لتلك السياسة بإتلاف تلك النصب حول الموضوع أنظر:

-Gsell (S.) et Pflaum (H.G.), Inscriptions Latines de L'Algérie (I.L.A), paris, 1922-1966, T.1, N=°2939 ; N=°2080 , 2828, 2978, 2988.

-Benabou (M.), La Résistance..., pp.435-455. (2)

إخضاعها هو إخضاع المغلوب للغالب ومن ثمة يمكن أن نقول أن تراجان قد حقق أول أهدافه.

لقد أكمل الإمبراطور تراجان ما قام به الأباطرة الفلافيون من احتلال في جنوب نوميديا والذي كان أساسه إقامة اللبنة الأولى لمعسكر لمبازيس سنة 81م، ثم إشراف الإمبراطور تراجان على إنجاز شبكة من الطرق الإستراتيجية شمال وجنوب الأوراس، ولعل اهتمام الرومان بالكتلة الجبلية لأوراسية جاء بعد أن أدركوا من خلال تجربتهم مع هذه المنطقة أنها تمثل القلب النابض لنوميديا الداخلية، وأن إخضاعها أو السيطرة عليها يمكن من التوغل إلى الجنوب النوميدي وشمال الصحراء بسهولة ثم أن الأوراس ككتلة جغرافية ضلت على الدوام تشكل حلقة وصل واتصالي جغرافي وحضاري بين الصحراء والتل، ولكي يضمن الرومان السلم في المنطقة هذه من نوميديا كان عليهم إحكام السيطرة على هذه الكتلة الجغرافية وإخضاع سكانها أو دمجهم في سياسة الرومنة التي حاولوا نشرها في كل المنطقة المغاربية[1] لكن الأوراس بطبيعته الجغرافية تطلب من الرومان بذل جهودا إضافية فكان لزاما عليهم التحكم في منافذ الدخول والخروج والتي كانت تمثلها الأودية التي تتخلل الكتلة الجبلية الأوراسية كوادي عبدي والوادي الأبيض والوادي الحي. ووادي ملاقو ووادي قشطان، كل هذه الأودية أنشأت بها المؤسسة الرومانية نقاط مراقبة على كامل الطرق التي تسايرها من الشمال إلى الجنوب أي من منابعها إلى مصباتها وذلك لمراقبة أو منع نشاط قبائل الرحل أو نصف الرحل، ومن ثمة فنجد أعمال الإمبراطورية تراجان العسكرية في المحطة قد أحاطت بكامل الكتلة الأوراسية شمالا وجنوبا، ومحاولة جلب السكان إلى حياة الاستقرار للاستفادة من شبابهم في الجيش ومن منتوجاتهم لخدمة الاقتصاد الروماني[2].

(1) -Despois (j.), Le Hodna, Etude Géographique, Paris, 1953, pp.285-291.

(2) -Ibid.

الفصل الثاني: مد خطوط الليمس النوميدي وآثارها الاقتصادية

1- الخطوط الدفاعية أثناء العصر الأول من الإمبراطورية

2- ليمس الشرق النوميدي خلال القرن الأول الميلادي

3- ليمس الشرق النوميدي أثناء فترة حكم الأباطرة الانطونيين

4- الزراعة إحدى آليات الاستيطان الروماني في الجنوب النوميدي

أ- شبكة الري

1- تجميع المياه

2- نقل المياه وتوزيعها

ب- النشاط الزراعي

5- الآثار المترتبه عن الاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي النوميدي

1- الخطوط الدفاعية أثناء العصر الأول من الإمبراطورية:

لقد ارتبط مفهوم الليمس إلى غاية منتصف القرن 20 م بالخطوط الدفاعية المحصنة التي كان الرومان يقيمونها على حدود المناطق التي يخضعونها لنفوذهم المباشر. وتكون تلك الخطوط بمثابة الحد الفاصل بين الرومان والبرابرة (Les Barbares) الخارجة عن نطاق الحضارة الرومانية[1].

وكان الرومان قد شرعوا في إنجاز الليمس في مختلف مناطق الإمبراطورية الرومانية منذ عهد الإمبراطور أغسطس، عندما أمر هذا الأخير بحشد بعض الفرق العسكرية لاسيما الفرق المساعدة في حدود الإمبراطورية بمختلف المقاطعات الخاضعة لسلطة روما. فأقيمت لها معسكرات محصنة مرتبطة ببعضها البعض بواسطة طرق عسكرية أنشئت لهدف المراقبة المستمرة على طول الخط الدفاعي[2].

قبل أن يستفيد البحث الأثري من تقنية التصوير الجوي التي أعطت نتائج دقيقة في الاكتشافات الأثرية، بالمناطق التي تم الاعتماد عليها كمنهجية للبحث الأثري ويأتي على رأس تلك المناطق التي استخدمت فيها هذه التقنية منطقتا الليمس السوري والليمس النوميدي، ويبدو أنّ الطابع الصحراوي الذي يميز المنطقتين قد سهلا كثيرا من مهمة الباحثين والتصوير الجوي لإبراز مكونات الليمس النوميدي بشكل أكثر وضوح من ذي قبل [3].

(1) - Harmand (L.), L'occident romain, Guaule, Espagne, Bretagne, Afrique du nord (31 av.J.C à 235 ap.J.C), éd. Payot, Paris, 1970, p. 219.

(2) - Fredouille (J.C.) , op.cit., p. 92.

(3)- عقون محمد العربي، الليمس النوميدي نظرة موجزة في الخطوط والمراكز الامامية للتوسع الروماني في الجنوب النوميدي، (أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية)، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص.189.

وقد غيرت أبحاث ضابط الطيران ج.باراديز (J-Baradez) التي قام بها في الجنوب النوميدي وجهة النظر تلك التي كانت قائمة لدى الباحثين حول الليمس، حيث توصل إلى نتائج هامة خلال سنوات البحث التي قضاها في دراسة الصور الجوية وأكثر تلك النتائج أهمية هي أن الليمس هو عبارة عن جهاز معقد يتكون من شبكة من التحصينات والجدران والخنادق، زيادة على شبكة هائلة من الطرق الرئيسية والفرعية ومن ثمة فهو نظام عسكري واقتصادي في آن واحد[1].

لم يكن لليمس حدود ثابتة بل كان يزداد اتساعا حسب الإنجازات العسكرية التي يحرزها الجيش الروماني في الميدان، أو حسب ما كان الأباطرة الرومان يسعون إلى تحقيقه من أهداف[2].

كما أن أبعاد الأسوار والحصون كانت على الأرجح خاضعة للطبيعة الجغرافية والبشرية للمنطقة التي يشيد بها الليمس، فجدار هادريان (Hadrian) المقام في بريطانيا والذي يبلغ طوله حوالي 110 كم وعرضه 1,50 م وارتفاعه 05 م وعمق الخندق الذي حفر أمامه يصل إلى 04 أمتار[3] . (أنظر شكل رقم07: صفحة192)، ويختلف عن التحصينات المقامة في إفريقيا، كما اختلف الليمس بها (إفريقيا) من فترة لأخرى، فقد زادت التحصينات والخنادق وكثافة التواجد الروماني تبعا لوضعية المقاومة، وذلك ما تشير إليه التعديلات المضافة إلى الليمس النوميدي خلال القرن الثالث، بعد تنامي دور المقاومة المحلية في الإغارة على الليمس ومراكزه المختلفة، مما فرض على الرومان

(1) - Baradez (J.) , op.cit., p . 357-361.

(2) - Pareti (L.), op.cit., p. 588.

(3) - Frédouille (J.C.) , op.cit., p. 92.

ضرورة توسيعه، ليصل إلى مشارف الصحراء. في حين لم يتجاوز الليمس الموريطاني المناطق التلية[1].

يتشكل الليمس من ثلاث عناصر أساسية هي : الخندق، وهو آخر مراحل بنائه وقد أمر بحفره الإمبراطور هادريان[*] بعد الزيارة التفقدية التي قام بها إلى مجموعة من مقاطعات الإمبراطورية في أوروبا، لتفقد واقع الأمر على حدود تلك المقاطعات، حيث مر في زيارته إلى أوروبا على نهري الراين (Rhin) والدانوب (Danube) وبريطانيا سنة 121 م، وقد صادف ذلك قيام ثورات في موريطانيا ونوميديا، مما جعله يقوم بجولة مماثلة إلى إفريقيا، وذلك سنة 128 م للإطلاع بنفسه على ما يجري في الميدان، فأمر بإضافة الخندق إلى الأسوار التي أقيمت قبل فترة حكمه[2].

(1) - Winkler (A.) , Frontière méridionale ou limes de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie), R.T, (1909), pp. 37-47.

(*)- هادريان هو الإمبراطور: ب آيليوس هادريانوس (P.Aelius Hadrianus) ، تولى عرش الإمبراطورية الرومانية في الفترة مابين (117 إلى 138 للميلاد)، ولد في 24 جانفي سنة 76 للميلاد بإسبانيا من عائلة تنتمي إلى أصول إيطالية، تبناه الإمبراطور تراجان قبل وفاته، حسب ما ورد في رسالة التبني التي وجهت إلى مجلس الشيوخ الروماني، والموقعة من قبل بلوتين (Plotine) زوجة الإمبراطور، بتاريخ 09 أوت سنة 117 للميلاد أي قبل يومين من وفاة الإمبراطور تراجان، الذي أوصى بالعرش لـ: هادريان، حسب ما ورد في الرسالة الآنفة الذكر. إلا أن بعض المؤرخين القدامى يشكون في صحة ذلك، ولا يستبعدون تواطؤ زوجة الإمبراطور تراجان في رواية التبني والوصاية بالعرش الإمبراطوري.

لقد تولى هادريان قبل أن يصبح إمبراطورا عدة مناصب تشريفية، منها منصب قنصل وهو لا يتعدى سن 32 سنة أي سنة 108 للميلاد ثم أشرف على حكم أثينا سنة 112 للميلاد، كان يرافق تراجان بصورة دائمة في معظم جولاته داخل الإمبراطورية وفي حروبه خارجها. وهو ما مكنه من أن يلمع نجمه وهو على عرش الإمبراطورية في مجالات تسيير شؤون الحكم إداريا، سياسيا وعسكريا. إضافة إلى إهتمامه بالأدب والفنون... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Leglay (M.) et Autres,op.cit.,pp.301-302;Fredouille(J.C.),op.cit.,p.75;Chevallier(R.),op.cit., p.132.

(2) - Baradez (J.) , op.cit., pp . 154-156.

شكل رقم (07): حائط هادريان في بريطانيا " الليمس البريطاني".

عن: Pareti (L), op.cit., p.588.

أما العنصر الثاني الذي يتكون منه الليمس فهو الأسوار التي تمتد على مسافات مختلفة من منطقة إلى أخرى، وتضم أبراج مراقبة ومراكز محصنة للحراسة ومخازن للمواد الغذائية وغيرها، وتكون تلك الأسوار والأبراج مبنية في الغالب بالحجارة والطوب وذلك تبعا للطبيعة الجغرافية للمناطق التي تتواجد بها[1].

أما العنصر الثالث الذي يتكون منه الليمس، فهو شبكة الطرقات التي كانت في بداية الأمر ذات طابع عسكري محض، ليتحول بعضها إلى طرق مدنية بعد استبعاد خطر المقاومة، في حين حافظت الطرق الرئيسية أو المتاخمة لمناطق الخطر على طابعها العسكري والأهداف التي أنشئت من أجلها[2].

ولقد عمل الإمبراطور أغسطس على استثمار الهدوء النسبي الذي أعقب الحروب التي دامت ثلاثين سنة و التي خاضها الجيتول والغرا منت (25 ق.م 06 م) ضد التواجد الروماني ببلاد المغرب القديم. وعمد الإمبراطور إلى تدعيم حماية أمن المدن التي حازها الجيش الروماني بالاعتماد على المسرحين من الجيش في شق طريق هام لذات الغرض يربط ما بين قابس (Tacapae) وفريانة (Thelepte) مرورا بقفصة (Capsa)، وقد أنتهت الأشغال به سنة 14 م وقد كانت تلك الأشغال تحت إشراف البروقنصل ل.نونيوس أسبرينـــاس (L.Nonius Asprénas)[3].

ويعتقد المؤرخ الفرنسي بيار سلاما (P.Salama) أن تلك الطريق تربط بين ميناء قابس ومقر الجيش الروماني في آمايدارا (حيدرة)، ويعتبر فتحها ميلادا جديدا لشبكة

(1) – غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة... ، ص . 57.

(2) - Salama (P.) , Les voies romaines de l'Afrique du nord, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1951, p. 32.

(3) - Mesnage (J.) , op.cit., p . 45.

الطرق الرومانية في المغرب القديم[1]، وجاء إنجاز هذه الطريق لأهداف عسكرية مرتبطة لتوفر الأمن للمدن الواقعة خلفها (شمالها)، زيادة على تأمين المؤونة عن طريق البحـــر. لذلك كانت تضم مراكز عسكرية للحراسة، وغالبا ما يكونون من الجنود المسرحين، الذين يراقبون أيضا تحركات السكان المحليين. وإن لم تكن تمنع تنقلاتهم، إلا أنها بالتأكيد كانت تضايقهم وتحد من تلك التنقلات[2].

وفي تلك الفترة أي عند نهاية حكم أغسطس وبداية حكم (خلفه) تيبيريوس أقيمـــت تحصينات على طول المناطق الخاضعة لسلطتهم، وهو ما يمكن أن نسميه بالليمس الأولي أو البدائي، المساير للمرحلة الأولى لإنشاء الخطوط الدفاعية. حيث يبدأ هذا الخـــط مـــن سواحل جنوب حدرومات (Hadrumète) (سوسة) ليمر بسبيبة (Sbiba) (Sufés) ثـــم تالة (Thala) وبعدها أمايدارا (حيدرة) وقصر قوراي وصولا إلى تبســـة[3]. ثـــم يســـير بالاتجاه الشمالي–الغربي نحو مدينة سيرتا ومحيطها، في خط دفاعي بسيط يمـــر عبـــر قصر صبايحي (Ksar Sbehi) (Gadiaufala) الذي عثر به على آثار بعـــض القـــلاع الرومانية[4]. ليصل إلى سيغوس (Sigus) ومنها يلتف حول مـــدينتي ســـيرتا ومـــيلاف (Milev) اللتان تشكلان جزءا مهما من الأراضي التي منحها قيصر للمرتزق ســـيتيوس (Sittius) وجماعته عقب انتصاره على غريمه بومبيوس و حليفه يوبا الأول[5].

(1) - Salama (P.) , op.cit., p . 22.

(2) - Harmand (L.), op.cit., pp . 266 - 267.

(3) - Mesnage (J.) , op.cit., p . 45.

(4) - Gsell (S.) , A.A.A., F.18,N° 159.

(5) - Mesnage (J.), op.cit., p . 45.

ويتضح من خلال تتبع مسار هذا الخط الدفاعي أن السيطرة الرومانية في بداية عهد تيبيريوس لم تتعد الجزء الشمالي في الجزائر واكتفت بالسيطرة على الموانئ الهامة أو الأراضي الخصبة التي منحت للمستوطنين والمرتزقة من أمثال سيتيوس.

ورغم بدائية ليمس هذه الفترة، والذي أنجز من قبل جيش إفريقيا البروقنصلية على الحدود المتاخمة للمناطق غير المحتلة، إلا أنه كان له نفس الدور الذي لعبه ليمس القرن الثالث، كمؤسسة عسكرية واقتصادية لعبت دورا هاما في سياسة الرومنة الممارسة من قبل الاحتلال الروماني عبر مختلف فترات تواجده في شمال إفريقيا.

ففي نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول الميلادي شرع الرومان في شق شبكة كثيفة من الطرق لاستكمال الدور العسكري والاقتصادي لليمس، وكانت قرطاجة في بداية الأمر منطلقا لتلك الطرق نحو الغرب والجنوب الغربي مرورا بسهل مجردة. ولا يستبعد أن يكون الرومان قد عبدوا الطرق البسيطة التي كان يسلكها النوميديون قبل الاحتلال[1]. خاصة في ما سمي بالاتحاد السيرتي والذي يضم كما أسلفنا الذكر مدن سيرتا (Cirta)، روسيكادا (Rusicade) (سكيكدة)، ميلاف (Milev) (ميلة) وشولو (Chullu) (القل)، وكان قيصر قد منحه للمرتزقة سيتيوس (Sittius)، كما وزعت به الكثير من الأراضي على المستوطنين الإيطاليين. فمن المؤكد أن مدن هذا الاتحاد كانت مرتبطة ببعضها البعض عن طريق شبكة من الطرق شكلت سيرتا محورا لها[2]. زيادة على الطرق الأخرى التي كانت الحاجة إليها ماسة، بعد ضم المقاطعتين الإفريقيتين الجديدة مع القديمة.

(1) - Messikh (M.S.), op.cit., p . 52.

(2) - Salama (P.) , op.cit., p . 23.

من المنطلق السابق أنشأت الطريق الرومانية علـــى وادي مليـــان (O.Meliane) شاقة أوتينـــا (Uthina) (Oudna) وتوبوربومـــايوس (Majus Thuburbo) (هنشـــير قصبات) باتجاه أسوراس (Assuras) (زفور) وأمايدارا وتيفست فيما بعد [1].

وبذلك يتم الربط بين قرطاجة وتيفست عبر هذه الطريق التي ستكون لها أهمية اقتصادية كبيرة. (أنظر خريطة رقم03: صفحة 194).

وفي سنة 22 م، تم إنشاء طريق تربط بين سيرتا ولبدة، كان قـــد أمـــر بإنشـــائها القنصل بلايسوس لملاحقة تاكفاريناس[2].

حيث أشار إلى ذلك المؤرخ الروماني تاكيتوس[3]. وقد جاء إنجاز تلـــك الطريـــق على ما يبدو من أجل فصل نوميديا عن حلفائها الطبيعيين الجيتول والغرامنت.

(1) - Ibid.

(2) - Harmand (L.), op.cit., p . 267.

(3) - Tacite, Annales, III, XXIV.

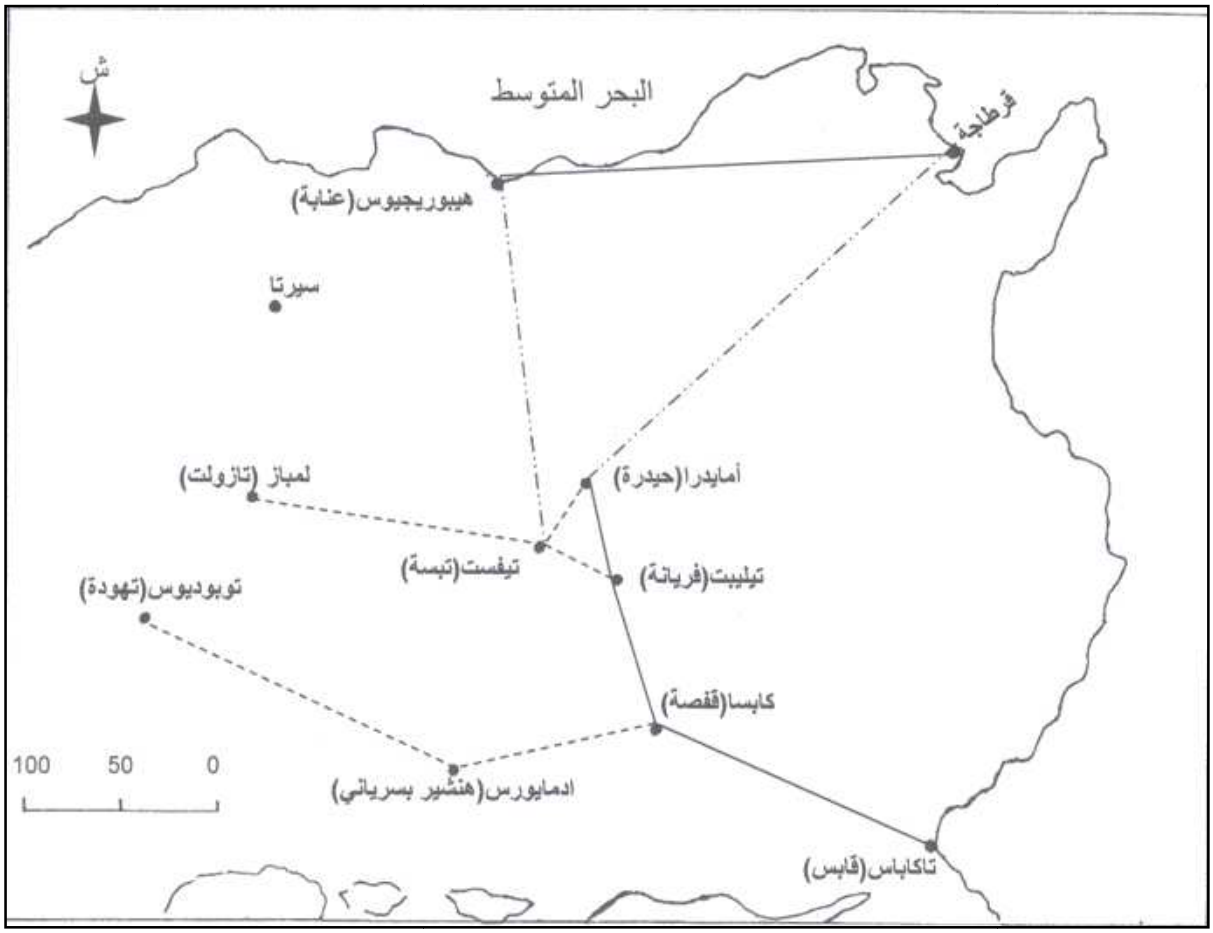

خريطة رقم03: تنظيم شبكة الطرق في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا أثناء فترتي حكم الإمبراطورين أغسطس وتراجان.

إعتمادا على: -Berthier (A.), La Numidie, Rome et le Maghreb…,p.136.

2. ليمس الشرق النوميدي أثناء القرن الأول الميلادي :

رغم الإجراءات التي قام بها الرومان في الأراضي النوميدية لقمع المعارضين والرافضين من القبائل المحلية لسياسة الرومنة المنتهجة لم يتمكنوا من إحلال ما "**يسمى بالسلم الروماني**" وإخماد الثورات التي تندلع من حين لآخر، وكان مصدر الخطر غالبا ما يأتي من الكتلة الأوراسية، لذلك نجد أن الأباطرة الفلافيين (Les flaviens)[1] ركزوا جهودهم العسكرية على السفوح الشمالية لجبال الأوراس ومنطقة الشطوط فيما بين سنتي 74 و 75 م، كما نقلوا مقر قيادة جيش الفيلق الثالث الأغسطي من أمايدارا (حيدرة) إلى تيفست (تبسة).

وقد حاول فاسباسيان (Vespasien) وهو أحد الأباطرة الفلافين إعطاء صورة مغايرة للوضع الذي كان عليه جنوب المقاطعة البروقنصلية لجر القبائل الموزيلامية، والرافضين للرومنة بصفة عامة للاندماج في الثقافة الرومانية، فعمد إلى إنشاء فرقة من الجيش المساعد من المزالمة (Cohors I Flavia Musulamiorom)[2] كنموذج من المزالمة المترومنين.

ويبدو أنه حقق نوعا من الهدوء النسبي أثناء فترة حكمه. إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث بعض ردود الفعل المحلية، إذ شهدت سنة 85 م ملاحقة حاكم نوميديا لبعض المتمردين من الغرمنت في الصحراء جنوب نوميديا لرفضهم دفع الضرائب[3]، وتكمن

---

(1) - بدأ حكم عائلة الفلافيين (Les Flaviens) سنة 68–69 م بعد الأزمة التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية إثر مقتل الإمبراطور نيرون (Néron)، وقد امتدت آثارها إلى الولايات والمقاطعات الخاضعة لسلطة روما، وامتد حكم الأباطرة الفلافيين من 68 إلى 69 م، وشهد إصلاحات اقتصادية واجتماعية مست الإمبراطورية الرومانية بأقاليمها المختلفة. لمزيد من المعلومات حول الأباطرة الفلافيين أنظر :

- Leglay (M.) et Autres, op.cit., pp . 258-289.

(2) - Mesnage (J.) , op.cit., p. 57.

(3) - Harmand (L.), op.cit., p. 269 ; Cagnat (R.), op.cit., pp . 35-36.

أهمية هذه الطريق في ربط مدينة تبسة أين يقيم الفيلق الثالث الأغسطي بالواجهة البحرية لنوميديا، وبالتالي ضمان التموين والإمدادات عن طريق المدن النوميدية بعدما بدأت القيادة العسكرية تبتعد عن الواجهة البحرية الواقعة شرق تونس. ولتدعيم سياسته في إفريقيا أمر فاسباسيان بإرسال حاميات عسكرية إلى خنشلة (Mascula) وعين زوي (Ain Zoui) (Vazaivi) جنوب شرق خنشلة[1]. كما ربط تيفست (Theveste) بهيبوريجيوس.

(Hippo Rejius) (عنابة) بطريق هام يمر بمادوروس (Madauros) (مداوروش) وتبرسيكوم نوميداروم (Numidarum Thubursicum) (خميسة) وكالما (Calama) (قالمة)[2].

ويبدو أن الأباطرة الفلافيين قد أدركوا خطورة الكتلة الأوراسية على التواجد الروماني في سفوحها الشمالية، لذلك نجدهم يحرصون على شق طريق هام يربط بين مركز الجيش الروماني المرابط في تبسة وبين لمباز (تازولت) التي سيتحول إليها مقر الجيش فيما بعد، مرورا بخنشلة، وذلك لتسهيل مهمة الحاميات العسكرية التي أرسلت إلى تلك المناطق في عهد الإمبراطور فاسباسيان، وكذا محاصرة المناطق الشمالية لجبال الأوراس مصدر الخطر المحلي الذي كان يقلق الجيش الروماني[3]. (أنظر خريطة رقم04 صفحة 198).

والجدير بالملاحظة، هو أن هذا الخط الدفاعي ارتكز إنشاؤه على أولويات عسكرية واقتصادية في آن واحد، ذلك أن هذا الليمس أنشئ لتحقيق هدف عسكري أساسي هو بسط

---

(1)- اهتم الإمبراطور فاسباسيان كثيرا بإنشاء المستوطنات وإرسال الحاميات العسكرية إلى المناطق التي عرفت اظطرابات و التي أخلت بالأمن خاصة مناطق انتجاع قبائل القرمنت و الجيتول والمزالمة التي انتفظة في بداية القرن الأول للميلاد كما منح فاسبسيان لقب المدينة الرومانية أو اللاتنية لمدن أخرى نذكر منها سبيطلة (supetula) القصرين (cilluim)، حيدرة (Ammoedara) ،فريانة (the lepte) مادور (Madauros) خنشلة (Mascula)وغيرها ... لمزيد من المعلومات أنظر:

(2) – Leglay (M.), Les flaviens et l'Afrique, M.A.H., N°.1, vol.80, 1986, pp. 201-246.

(3) - Mesnage (J.) , op.cit., p . 58.

- Magnelonne (J.) , «Les principales voies romaines de la région de Tebessa», R.S.A.C., (1917-18), pp . 10-22.

السيطرة العسكرية وإحلال السلم الذي كان غائبا بفعل العلاقة الجدلية التي كانت قائمة بين السكان المحليين والرومان، وتبعا لذلك نجد أن عناصر الليمس التي أقيمت خلال القرن الأول والمتمثلة أساسا في شبكة الطرق العسكرية والحصون المنيعة قد أنشئت في المناطق التي لم تكن مستقرة من الناحية الأمنية، أي مناطق الاحتكاك بين السكان المحليين والرومان المحتلين، كما أقيمت في مناطق العبور الطبيعية التي اقتضت الظروف الأمنية إنشاء مراكز دائمة لحراستها[1]. ومن ثمة، نجد أن الطرق الرئيسية قد شقت على السفح الشمالي لجبال الأوراس من أجل الدفاع عن المناطق الخاضعة بصورة شبه تامة للاحتلال الروماني في الشمال، كما أن مواقع الحصون المقامة على منابع ومداخل الوديان التي تخترق السلسلة الجبلية الأوراسية توحي إلى استهداف الرومان لسد تلك المنافذ الطبيعية أمام القبائل التي كانت تسلكها للتنقل من التخوم الصحراوية جنوبا إلى مناطق انتجاعها في التل أو السفوح الشمالية للأوراس. وبالتالي وضع تحركاتها تحت المراقبة الدائمة. وفي ذلك السياق أقام الرومان خلال القرن الأول الميلادي حصونا ومعسكرات ثابتة على منافذ الوديان. فتم إنشاء معسكر لمباز على منافذ ومنابع وادي عبدي والأبيض، وأنشئت تيمقاد (Thamugadi) التي تشرف على مخانق فم قسنطينة (Foum Ksantina) ووادي طاقة (Oued Taga)[2]. أما جنوبا فقد أنشأ حصن تادارت (Ad Medias) على منفذ وادي العرب وحصن تهودة (Thabodios) على منفذ وادي الأبيض[3].

(1) - Leglay (M.), Les flaviens…, pp.201-246.

(2) - Leveau (Ph.), op.cit., pp . 1097-1103.

(3) - Masqueray (E.) , « Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores) R.Afr., T.23, (1879), pp . 65-94.

خريطة رقم : 04 أهم طرق المواصلات في نوميديا الرومانية

اعتمادا على : شنيتي محمد البشير، التوسع الروماني محو الجنوب...، ص.10؛ غانم محمد الصغير مقالات حول تراث منطقة بسكرة .....، ص. 106.

يبدو أن السياسة الأمنية الرومانية المتعلقة بمراقبة المنافذ والمعابر المنتهجة في الأراضي النوميدية شمال الأوراس ما هي إلا تكملة لما قاموا به في جنوب المقاطعة البروقنصلية، حيث أنشئوا شبكة الطرق والتحصينات في مناطق الشطوط (الجريد والفجاج) لمنع قبائل البدو التي تتخذ من تلك الشطوط عند جفافها معابر ومسالك لها ولماشيتها نحو السواحل الشرقية للمقاطعة. ومن ثمة عملت تلك الطرق والتحصينات على زحزحة قبائل البدو نحو الجنوب[1]. (أنظر خريطة رقم05: صفحة200).

كما يندرج إنشاء تلك الطرق في إطار الإستراتيجية الوقائية التي أعتمد عليها الرومان في المناطق الجبلية الجنوبية التي لا تخمد فيها حركة الثوار، لذلك مدت الطرق في المناطق الجبلية على غرار منطقة الشطوط، غير أن تلك المناطق الجبلية كانت صعبة الاختراق على الجيش الروماني، كما كانت تلك الطرق المنشأة هدفا للثوار الذين عملوا على تهديمها كلما سمحت لهم الظروف الأمنية[2].

ذلك على ما يبدو ما جعل الرومان ينشؤون شبكة من أبراج المراقبة والقلاع على طول امتداد الطرق وبمسافات متقاربة تتراوح ما بين 10 و30 كم تتيح إمكانية حراسة الطريق عبر دوريات تتنقل بصفة منتظمة بين نقاط المراقبة تلك[3]. إما لغرض الحراسة أو لتأمين نقل الغلات الزراعية لتلبية احتياجات الجيش الروماني أو لتزويد المدن المرومنة في الشمال. خاصة بعد اهتمام الرومان بأعمال استصلاح الأراضي والتحكم في

(1) - Trousset (T.) , Recherches sur le Limes tripolitanus (de Chott El Djerid à la frontière tuniso-libyenne), Paris, 1974, pp . 24- 25.

(2) - Salama (P.) , op.cit., pp . 34-39.

(3) - Despois (J.) , La bordure saharienne de l'Algérie orientale, R.Afr.,1942-43, pp .197-219.

خريطة رقم :05 الليمس النوميدي خلال القرنين الأول والثاني

اعتمادا على : غانم محمد الصغير مقالات حول تراث منطقة بسكرة ....، ص. 106.

الثروة المائية في المناطق الجبلية والتخوم الصحراوية[1]. ويشهد على ذلك ما تبقى من آثار تلك المنشآت المتعلقة بالسقاية أو معاصر الزيتون عبر مختلف المناطق الأوراسية، وفي هذا السياق نشير إلى استغلال الرومان للأراضي الخصبة على ضفاف الوديان. ذلك ما تؤكده القناة التي حفرت بأسفل الصخر عند مخنق تيغانيمين في الضفة اليمنى لوادي الأبيض[2] والتي من الواضح أنها تنقل مياه الوادي عند جريانه لا سيما في فصلي الخريف و الشتاء إلى إحدى الضيع الموجودة في المكان المسمى ولجة الرمان (Ouljat Roumane) على مسافة تقارب 200 متر[3] .(أنظر شكل رقم07: صفحة 203).

كما عثر على عدد كبير من بقايا معاصر الزيتون في مناطق الأوراس مثل بني فرح (Beni-Frah) ووادي عبدي وفي تكوت (T'Kout) أين عثر على معصرة قديمة ما تزال تشتغل بنفس الطرق المستخدمة في العهد الروماني[4].أنظر(شكل رقم08: صفحة 204).

إن اهتمام الرومان باستغلال الأراضي الزراعية في المناطق الجبلية بعد أن عملوا على إحكام السيطرة عليها بفعل الحصون والقلاع والطرق وإنشاء المستوطنات لقدماء الجيش، يؤكد الدور الهام الذي لعبه الليمس بمختلف عناصره في تكريس سياسة الرومنة المنتهجة والقائمة على فرض الأمر الواقع على السكان الأصليين بتجريدهم من أراضيهم وطردهم نحو الجنوب أو إرغامهم على الاندماج التدريجي والقبول بالأمر الواقع.

(1) - شنيتي محمد البشير، التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، (مجلة الأصالة)، ع.41، مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر، 1977، ص ص. 2–24.

(2) - Gsell (S.), A.A.A., F.38, N°.55.

(3) - Ibid.

(4) - Camps (F.H.) , L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1953, pp.42-43.

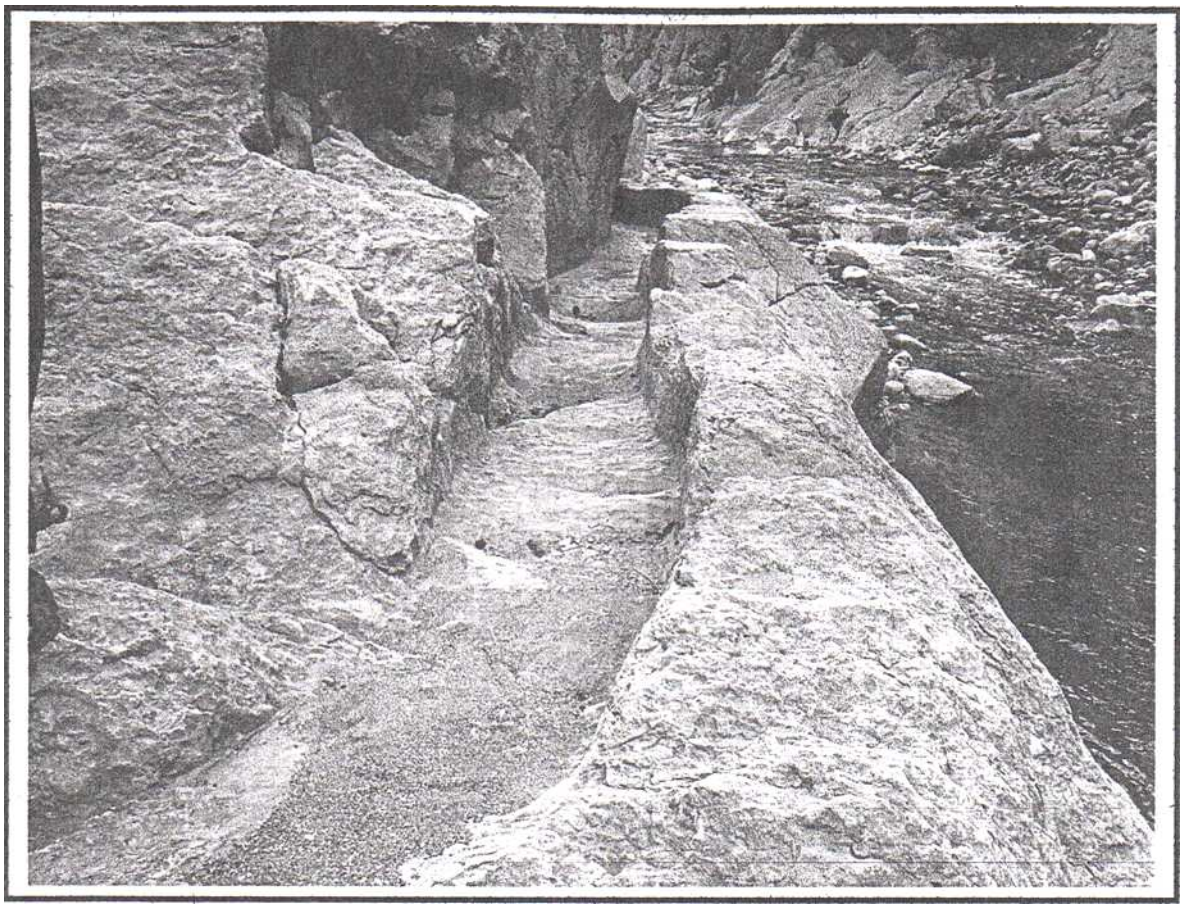

شكل رقم07: قناة رومانية لنقل المياه حفرت على الضفة اليمنى للوادي الأبيض في مخنق تيغانيمين.

إعتمادا على: –Camps (G.H.), op.cit.,p.43.

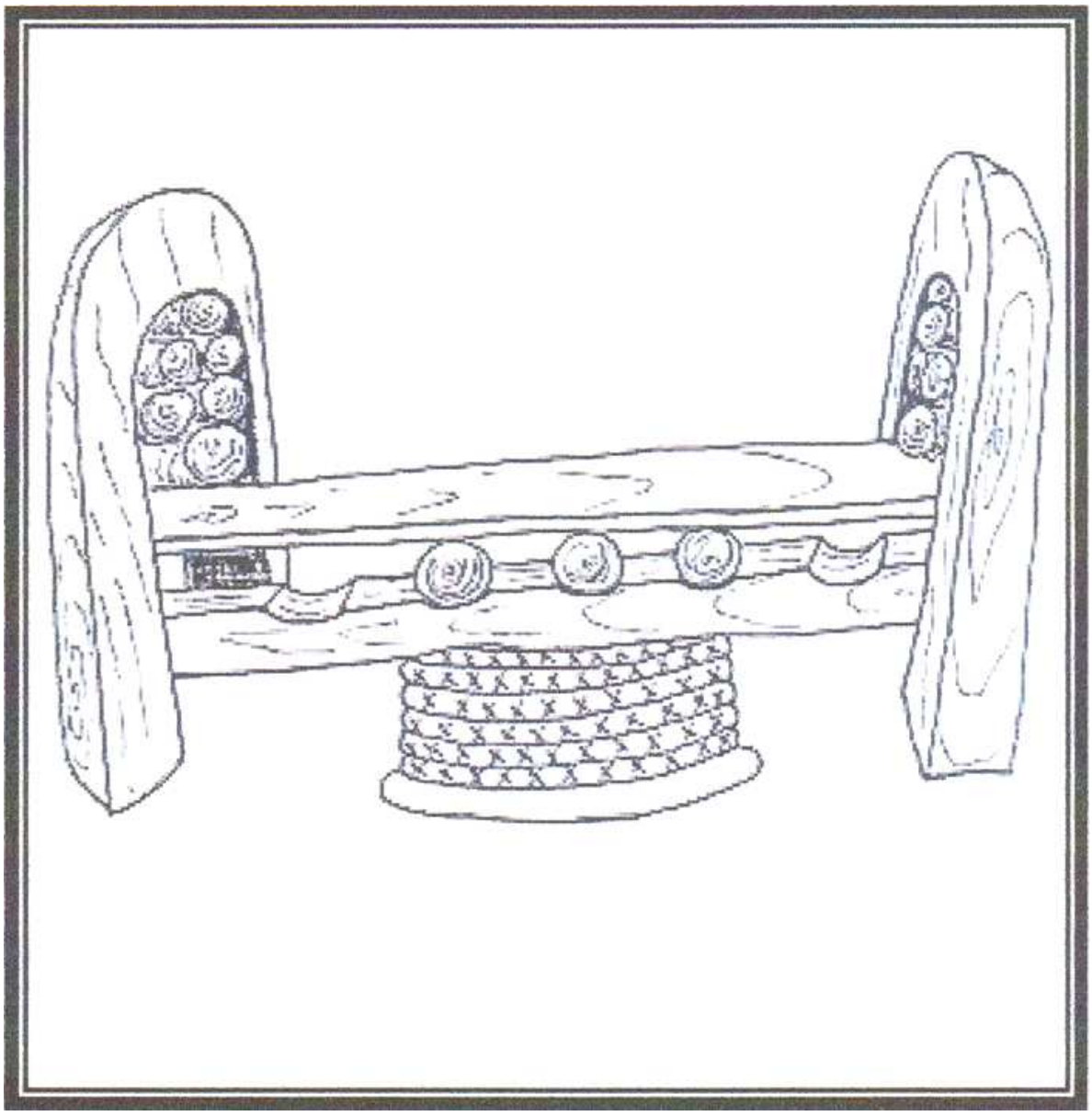

شكل رقم08: معصرة لزيت الزيتون ما تزال تشتغل بنفس الكيفية التي كانت عليها في القديم عثر عليها في منطقة تكوت.

إعتمادا على: -Camps (G.H.), op.cit.,p.43.

3. ليمس الشرق النوميدي أثناء فترة حكم الأباطرة الأنطونيين :

لقد ارتبط ليمس القرن الثاني بالأعمال التي قام بها الأباطرة الأنطونيين خاصة تراجان (Trajan) وخلفه هادريان (Hadrian). حيث نجد أن الإمبراطور تراجان أقام مرتكزات الليمس النوميدي أو ما يسمى بالليمس الأوسط في بداية القرن الثاني الميلادي[1].

ذلك أنه قام بمد الليمس إلى جنوب الأوراس وبالتالي تطويق الكتلة الأوراسية من جهة الجنوب بعد إحكام السيطرة عليها شمالا بواسطة الحصون والمراكز العسكرية والطرق المقامة على سفوحها الشمالية، استكمالا لذلك عمل على توسيع السيطرة الرومانية[2] وتبعا لذلك أمر بإنشاء حزام أمني مشكل من التحصينات والمراكز العسكرية التي تعتبر مرتكزات الليمس النوميدي وهي :

هنشير بسرياني (نقرين) (Ad Majores)[3].

حصن شبيكة (Ad Speculume)[4].

حصن تادارت (Ad Madias)[5].

حصن بادس (Ad Badias)[6].

حصن تهودة (Thabodeos)[7].

حصن بسكرة (Vescera)[1].

---

(1) - Guey (J.) , Note sur le limes Romain de la Numidie et le sahara au IV^{e} siècle ,M.A.H., N°.1, vol. 56, 1939, pp .178 – 248.

(2) - Mesnage (J.) , op.cit., p . 61.

(3) - Gsell (S.), A.A.A., F.50,N°.52 ;Baudot (L.), Etude sur l'oasis de Negrine et les ruines de Besseriani (Ad Majores), R.S.A.C., 1875, pp . 111-126.

(4) - Harmand (L.), op.cit., p . 270.

(5) - Gsell (S.), A.A.A., F.50, N°. 50.

(6) - Gsell (S.), A.A.A., F.49, N°.51.

(7) - Gsell (S.), A.A.A., F.49, N°.01.

بإنشاء هذه الحصون المنيعة يكون الرومان قد عملوا على بسط سيطرتهم وتوسيعها جنوبا. وقد زاد الإمبراطور تراجان من مناعة ومتانة تلك المواقع وفعاليتها الدفاعية وذلك بشق طريق تربط بينها انطلاقا من قفصة بتونس وصولا إلى بسكرة، وربطت تلك الطريق بعدة طرق فرعية تخترق الكتلة الأوراسية من أجل إحكام السيطرة وتطويق الأوراس بإحاطته شمالا وجنوبا بحزام أمني منيع[2].

ولم يكتف الإمبراطور تراجان بتفعيل الحصون الجنوبية، بل نجد أنه يحرص على تدعيم الدور الدفاعي لليمس في شمال الأوراس، وذلك باتخاذ قرار نقل المقر العام للجيش الأغسطي الثالث إلى لمباز (Lambèse) وأعطى لقب بلدية (Municipe) للمدينة. ويكون بذلك قد أكمل الخطة التي بدأها قبله فاسباسيان(Vespassien) عندما نقل مقر الجيش من تبسة(Theveste)إلى خنشلة (Muscula) ومنحها أيضا لقب بلدية رومانية[3].

يبدو أن الإمبراطور تراجان قد أدرك الأهمية الإستراتيجية لموقع لمباز حيث سمح بمراقبة منابع ومنافذ الوديان التي تخترق جبال الأوراس، لا سيما وادي عبدي والأبيض. وقد تدعم تمركز الجيش الروماني في لمباز بإنشاء عدة مستوطنات لقدماء جيش الفيلق الثالث الأغسطي حول لمباز ومحيطها ومن تلك المستوطنات نذكر : ماركونا (Vercunda)[4]، لامبيريدي (Lambiridi) (خربة أولاد عريف)[5]، أم الأصنام

(1) - Gsell (S.), A.A.A., F.48, N°.09 ; Ragot (W.) , Le Sahara de la province de Constantine, (1ere partie), R.S.A.C., (1873-74), p . 140.

(2) - Debosredon (M.L.) , « Promenade archéologique dans les environs de Tebessa », R.S.A.C., 1878, pp . 1-43.

(3) - Cagnat (R.) , op.cit., p. 501.

(4) - Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.240.

(5) - Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.12.

(Tadutti)[1]، عين التوتة (Thacarata)[2]، قصر باغاي (Bagaï)[3]، المعذر (Cassae)[4]، عين زانه أو زانه البيضاء (Diana Veteranorum)[5]، مروانة (Lamasba)[6] وطبنة (Tubunae) في أقصى الغرب والتي منحت لقب بلدية أثناء فترة فترة حكم الإمبراطور سبتيموس سيفيروس[7].

من دون شك أن تلك المستوطنات وغيرها التي شرع في إنشائها منذ عهد الإمبراطور تراجان، كان قد استوطنها قدماء الجيش الروماني من أجل استغلال الأراضي الخصبة الواقعة شمال الأوراس، ومراقبة تحركات السكان المحليين، وإجبارهم على مغادرة أراضيهم. لا سيما الرافضين منهم للرومنة. وقد لعب الإمبراطور تراجان الدور البارز في إرساء دعائم هذه السياسة وتوسيع حدود نوميديا الرومانية إلى حواف الصحراء جنوبا. زيادة على جعله من جبال الأوراس منطقة محاطة من كل الجوانب، ومعزولة عن بقية المناطق بما في ذلك المناطق الواقعة غربها لاسيما متليلي (Metlili) والحضنة. ومن ثمة عمل الرومان على الحد من تحركات القبائل الموزيلامية المعادية للتواجد الروماني على أراضيها من جهة، ومحاولة دمجها في المدنية الرومانية من خلال إرغامها على الاستقرار وممارسة الزراعة بدلا من التنقل والترحال[8].

(1) - Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.139.

(2) - Mesnage (J.), op.cit., p.62.

(3) - Masqueray (G.) , op.cit., pp . 65-94.

(4) - Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.141.

(5) - Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.62.

(6) - Gsell (S.), A.A.A., F.27, N°.240.

(7) - Mesnage (J.) , op.cit., p . 63.

(8) - Benabou (M.) , La resistance…, p. 118; Leveau (Ph.) , op.cit., pp . 1097-1103.

بعد أن شرع الرومان في استغلال السهول الخصبة الواقعة شمال الأوراس، ذلك الاستغلال الذي سيعرف ذروته إبان الفترة البيزنطية على ما يذكر الباحث الفرنسي: جون لاسوس (J.Lassus)[1].

لقد أشرنا فيما سبق إلى ارتباط ليمس القرن الثاني بالإنجازات التي حققها الأباطرة الأنطونيين. ذلك أن الإمبراطور هادريان (Hadrian) الذي خلف تراجان لم يتوان في استكمال السياسة التي بدأها سلفه تراجان، حيث قام بمد طول الليمس النوميدي على إثر الزيارة التي قام بها لإفريقيا في ربيع سنة 122 م، حيث أمر بإنشاء معسكر سور جواب (Rapidum) على بعد 35 كم غرب أومال (Auzia)[2].

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل نجد أنه يأمر بشق طريق هام تم إنجازها سنة 124 م تربط بين أومال (Auzia) والبرواقية (Thanaramusa)، وهي النواة الأولى لليمس الموريطاني انطلاقا من الليمس النوميدي[3]، وذلك ما يجسد تكامل التحصينات العسكرية الرومانية في المغرب القديم بصفة عامة، ذلك التكامل العسكري يكون قد ألغى الحدود الإدارية للمقاطعات لاسيما في مناطق التخوم التي يمر عليها الليمس، لكون العدو مشترك بين المناطق التي ينبعث منها الخطر، والمتسمة بعدم التمايز عن بعضها البعض، ذلك ما جعل وحدات من الفيلق الثالث الأغسطي تتوغل في أقصى الجنوب الموريطاني (منطقة أقنب بالقرب من البيض) كي تبسط مجال سيطرتها شمالي الأطلس الصحراوي[4]، زيادة

(1) - Lassus (J.) , La forteresse byzantine de Thamugadi, fouilles à Timgad, 1938-1956, T.I, Paris, 1981, p . 20, N°.18.

(2) - Salama (P.) , op.cit., p . 26.

(3) - Harmand (L.) , op.cit., p .271.

(4) - يمكن إعتبار التحصينات الرومانية في شمالي الأطلس الصحراوي وشرقه والمتوغلة في الجنوب النوميدي من بين بين التحصينات التي تم إنشاؤها في وقت مبكر، نظرا لأهميتها الإستراتيجية، كونها شكلت سدا منيعا في وجه قسم هام

على إنشاء الرومان للعديد من التحصينات العسكرية والمراكز والقلاع في الجنوب الغربي للأوراس منها :

أ. حصن سدوري (Ausum)[1] الذي أنشأ على منفذ وادي سدوري المعبر الرئيسي بين شطي ملغيغ والحضنة، وهما مجالي انتقال القبائل البدوية باتجاه طبنة ومدوكال، وتكمن أهمية هذا الحصن في كونه يراقب المصدر الوحيد للمياه بين طولقة ووادي الشعير.

ب. مركز القهرة العسكري (Gahra)[2]، يقع على الضفة اليسرى لوادي الشعير، وكانت له أهمية كبيرة نظرا لدوره الاقتصادي والعسكري حيث أقيمت حوله عدة نقاط مراقبة للوقاية من غارات المباغتة، وقد أقيمت حوله منشآت ري هامة منها خزانات واسعة للمياه وقنوات توزيع المياه يزيد طول إحداها عن 10 كيلومترات[3]. إضافة إلى إقامة تحصينات ومراكز عسكرية متعددة على وادي الشعير والماء الحي الذي يشكل نقطة التقاء بين عدة طرق هامة منها طريق لامباز نحو سدوري والمار على الماء الحي والطريق الرابط بين طبنة والدوسن وسدوري عبر مدوكال والماء الحي[4].(أنظر خريطة رقم06: صفحة212).

يبدو أن هذه التحصينات والمراكز العسكرية والطرق الرومانية قد ضايقت القبائل المرتحلة وسدت في طريقها كل المنافذ نحو الانتجاع في أقاليم رعيها في الحضنة وجنوب

من القبائل المرتحلة والمتعودة على الإنتجاع في مناطق الهضاب العليا، الواقعة شمال مرتفعات الأطلس الصحراوي، = = وبذلك مثلت تلك التحصينات حاجزا أوليا تصدى للتهديد الذي كانت تحمله قبائل الرحل إلى المناطق الزراعية بجنوب مرتفعات الأقاليم التلية...، لمزيد من المعلومات أنظر:

– شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج.ا، ص ص. 127–128.

(1) - Gsell (S.) , A.A.A., F.48, N°.01.

(2) - Gsell (S.) , A.A.A., F.47, N°.01.

(3) ـ شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص ص. 135– 136.

(4) - Baradez (J.) , op.cit., p . 297.

الأوراس، مما جعلها تتجه بأعداد كبيرة نحو سفوح الأطلس الصحراوي (جبال أولاد نايل وجبال عمور) ومنها إلى الهضاب العليا الموريطانية[1]، ذلك ما أدى بالرومان إلى إنشاء الحصن الشهير "**قلعة ديميدي**" (Castellum dimmidi) قرب مسعد، وذلك سنة 198 م بأمر من الإمبراطور سبتيموس سيفيروس[2].

ومن الأدلة على استمرار الأباطرة الأنطونيين نشير إلى اهتماماتهم العسكرية بالأوراس وما حولها من المناطق وذلك باستهداف المواقع الإستراتيجية والأهداف الدفاعية والاقتصادية، زيادة على العمل باستمرار السيطرة على السكان المحليين. ذلك أن الإمبراطور أنطونينوس التَّقِي (Ontonin le pieux) [3]الذي بدأ حكمه سنة 138 م عمل على إخضاع الأوراس من خلال شبكة الطرق التي أنشئت أثناء فترة حكمه، واستهدفت اختراق جبال الأوراس من الشمال نحو الجنوب، بمحاذاة الوديان وذلك لاستغلال

---

(1) ـ رغم تلك الشبكة الدفاعية التي أقامها الرومان والمتمثلة في الطرق والتحصينات، ومراكز الحراسة ثم المراقبة، إلا أنها لم تحقق لهم الأهداف المتوخاة منها بالشكل المرضي للإدارة العسكرية الرومانية، ذلك لأن أعداد كبيرة من البدو الرحل كانوا يمرون عبر ممر هام بقي لمدة طويلة خارج الشبكة الدفاعية الرومانية، وهو المنخفض الواقع ما بين السفوح الجنوبية لجبال أولاد نايل وجبال عمور، فضلا عن كون المنخفض يشكل سهلا واسعا وملائما لرعي الماشية، ويضم مخارج كثيرة ومسالك عديدة نحو اتجاهات مختلفة...، لمزيد من المعلومات أنظر:

– شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، ج. ا، ص ص . 140–141.

(2) - Picard (G.Ch.) , op.cit., p . 31.

(3)- أنطونينوس التقي (Ontonin le pieux): هو أحد أشهر الأباطرة الرومان، ولد في مدينة لانوفيوم (Lanuvium) قرب روما سنة 86م، رغم انتمائه إلى عائلة ثرية إلا أنه تجهل فترة هامة من حياته، وهي الفترة السابقة لتوليه عرش الإمبراطورية، باستثناء توليه القنصلية سنة 120م، وعضويته في المجلس الإمبراطوري فيما بين سنتي 133 – 136م، عرف الإمبراطور أنطونينوس بفضائله النبيلة، وحسن أخلاقه وعدله واستقامته، ورغم تلك الصفات التي أعطت له لقب التقي إلا أن فترة حكمه لم تخل من التمردات والثورات في مختلف مقاطعات الإمبراطورية، ذلك ما جعله يأمر بالتدخل العسكري للجيش الروماني، مثل أحداث سنة 145م في إفريقيا والتي فرضت عليه تدعيم الفرق العسكرية العاملة على حدود المقاطعات الإفريقية. وتوفي الإمبراطور أنطونينوس التقي يوم 07 مارس سنة 161م في لاتيوم بروما...، لمزيد من المعلومات أنظر:

- Leglay (M.) et Autres, op.cit., p p.307-310.

الأراضي الخصبة المتواجدة على ضفافها، أملا في تحقيق السلم الروماني الذي كاد ينهار أمام تلك الجبال الصامدة في وجه الرومنة[1].

وتبعا لذلك أنجزت في عهد الإمبراطور أنطونينوس التَّقِي طرقا هامة مخترقة جبال الأوراس من الشمال إلى الجنوب انطلاقا من مركز قيادة الفيلق الثالث الأغسطي، وأسندت مهمة إنجازها إلى الفرق المساعدة في الجيش الروماني، التي استفاد قدماء محاربيها بالضيعات المتواجدة على ضفاف الوديان التي سايرتها شبكة الطرق العابرة للأوراس. وفي ذلك السياق يأتي إنشاء الطرق التالية :

1. تبسة (Theveste) – نقرين (Ad-Majors)[2].
2. خنشلة (Mascula) – بادس (Ad-Badias) بمحاذاة وادي العرب[3].
3. تيمقاد (Thamugadi) – تهودة (Thabudeos) بمحاذاة وادي الأبيض[4].
4. لمباز (Lambese) _ بسكرة (Vescera) مرورا بمنعة (? Tfilzi)[*] وجمورة بمحاذاة وادي عبدي[5].
5. لمباز (Lambese) _ القنطرة (Calceus-Herculis) _ لوطاية (Mesarfelta)_ بسكرة على الوادي الحي[1].

---

(1) - Berbent (J.) , Aquae Romanae, recherche d'hydraulique romaine dans l'est algérien, service des antiquités de l'Algérie, Alger, 1962, pp. 287-289.

(2) - Harmand (L.), op.cit., p . 272.

(3) - Masqueray (G.), op.cit., pp . 65-94.

(4) - Willmanns, Mommsen (Th.), Corpus inscriptionum latinarum (=CIL), VIII, 5, Suppliment, Berlin, 1881,N°. 10230 ; Gsell (S.), A.A.A.,F.38, N°.55.

(*) لقد أشار ب.موريزو (P.Morizot) وجود مدينة كان يسكنها قدماء المحاربين الرومان إلى جانب الأهالي في منعة حاليا باسم تفيلزي (Tfilzi) وكانت تظم مؤسسات إدارية وسياسية رومانية. لمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر:

- Morizot (P.), Le génie Auguste de Tiflzi, nouveaux témoignages de la présence romaine dans l'Aures, Bull.arch.du C.T.H.S., Ser.10-11b, Paris, 1977, pp. 45-91.

(5) - CILVIII, 2464 ; Baradez (J.), op.cit., p .155 ; Gsell (St), A.A.A.,F.38, N°.40 .

لقد اضطر الرومان إلى اختراق الخوانق عند إنشاء الطريق : لمباز – القنطـــرة – لوطاية – بسكرة عند البوابة الشمالية للقنطرة، وكذلك في الطريق : تيمقاد _ تهودة عند فج تيغانيمين (Tighanimine) الذي تخلد ذكرى إنجازه من قبل الفرقـــة السادســـة: فراطـــة (Ferrata) السورية نقيشة مؤرخة بـــ سنة 145 م، أي أثناء حكم الإمبراطور أنطونيـــوس التَّقِي (135–146 م). حفرت في الصخر على الضفة اليمنى لوادي الأبيض[2].(أنظرشكل رقم09: صفحة214).

وقد أشار الباحث ج.ب.فور (Jean-Pierre Faure) إلى عثور الجنرال ســـانت أرنو (Saint Arnaud) أثناء حملته على النمامشة والأوراس في 03 ماي إلى 16 جوان 1850 في خنقة تيغانيمين على ثلاث نقوش لاتينية لم يبق منها إلا النقيشة المشار إليهـــا سابقا، كما لاحظ ذات الباحث التطابق الكبير بين خنقتي القنطرة وتيغانيمين ســـواء مـــن الجانب الطبيعي أو أعمال الري التي شيدها الرومان في الموقعين[3] والتي ما تزال آثارها واضحة للعيان إلى يومنا هذا، سواء تعلق الأمر بالطريق المساير لوادي القنطـــرة ووادي الأبيض أو بأعمال الري المقامة على ضفتي الوادين، وتشهد على ذلك ما تبقى من قنوات جلب المياه المحفورة في الصخور المشكلة للخنقتين.

(1) - Gsell (S.), A.A.A.,F.37, N°.47 ; Cagnat (R), op.cit., pp . 566- 567.

(2) - Salama (P.), op.cit., p . 27.

- Faure (J.P.),Un manuscrit inédit conservé à la bibliothèque de l'institut de France,la description (3) des ruines situées sur la route suivie par la colonne du général de saint-Arnaud dans les Némenchas et dans l'Aures du colonel Carbuccia (03 Mai – 16 Juin 1850), (AOURAS),N°.2,Société des études et des recherches sur l'Aures antique,Paris,2004, pp.17-57.

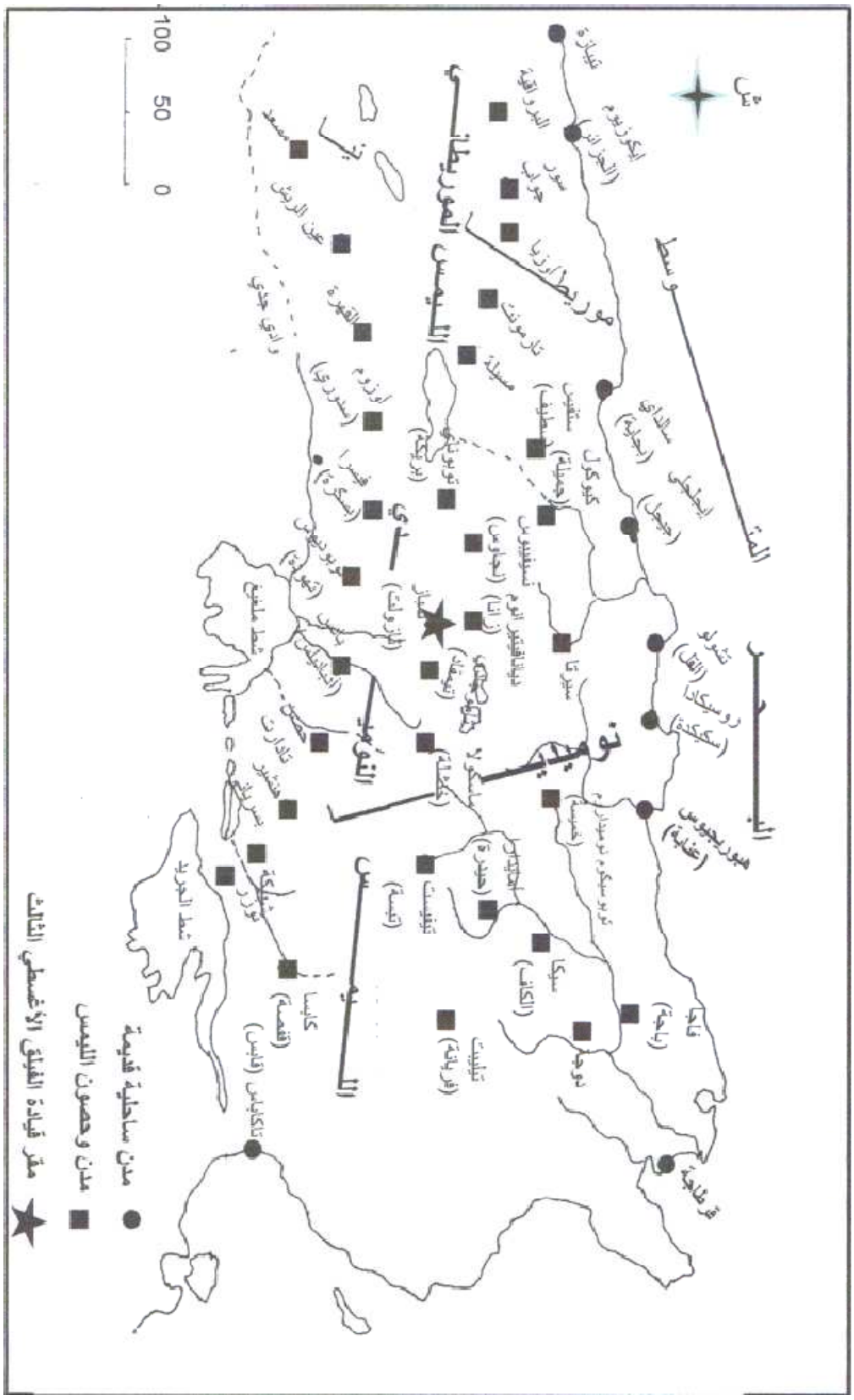

خريطة رقم 06: الليمس النوميدي خلال القرن الثالث الميلادي

اعتمادا على: غانم محمد الصغير مقالات حول تراث منطقة بسكرة ....، ص. 106.

رغم كل هذه الأعمال المرتبطة بشق الطرق، وإقامة التحصينات، والتي سعى الرومان من خلالها إلى فرض مراقبة صارمة على الأهالي، إلا أنها لم تسلم من هجمات الثوار وهو ما جعلهم على ما يبدو يضيفون إلى الليمس العنصر الثالث وهو الخندق (Fossatum) الذي كان يحاذي في أغلب الأحيان الطرق الاستراتيجية أو القلاع والحصون، وهو نوع من التحصينات العسكرية تكون في شكل خندق أو ركام من التراب والصخور، قد يصل طول بعض تلك الخنادق إلى 45 كم. في حين يتراوح عرضها ما بين 04 إلى 10 أمتار[1].

والملاحظ أن هذه الخنادق أقيمت في المناطق غير الآمنة من هجمات الثوار، من ذلك الخندق الذي أقيم بين وادي القنطرة وطبنة، والذي يتشكل من أربعة أجزاء بدءً من منطقة سبع مقاطع (Seba Megata)، ثم قريرة و داية (Guérira et Daya) ثم ثنية الواسطة (Thniet Elouasta) فيصل إلى طبنة[2]. ويقابل هذا الخندق في جهة الجنوب الشرقي للأوراس خندق آخر والذي يبدأ من نقرين (Ad-Majores) ويصل إلى شبيكة (Chebika) ومتلاوي (Metlaoui) شرقا[3].

يبدو أن هذه الخنادق المشار إليها آنفا كانت قد أنشئت في فترات متعاقبة، وذلك حسب ما تقتضيه الضرورة الأمنية، ويعتقد ضابط الطيران الفرنسي ج.برادير (J.Baradez) أن بداية إنجاز الخندق الذي أقيم بين وادي القنطرة وطبنة شهدتها فترة حكم الإمبراطور هادريان، خاصة وأنه قام بزيارة تفقدية ثانية للإشراف بنفسه على عمل الجيش الروماني في إفريقيا سنة 128 م، ولا يستبعد أن يكون قد أمر بحفر الخندق في بعض هذه المواقع بالجنوب النوميدي وأن هذه الفكرة تدعمت إبان حكم الإمبراطور

(1) - Harmand (L.), op.cit., p. 273.

(2) - Baradez (J.), op.cit., p. 54.

(3) - Harmand (L.), op.cit., p. 273.

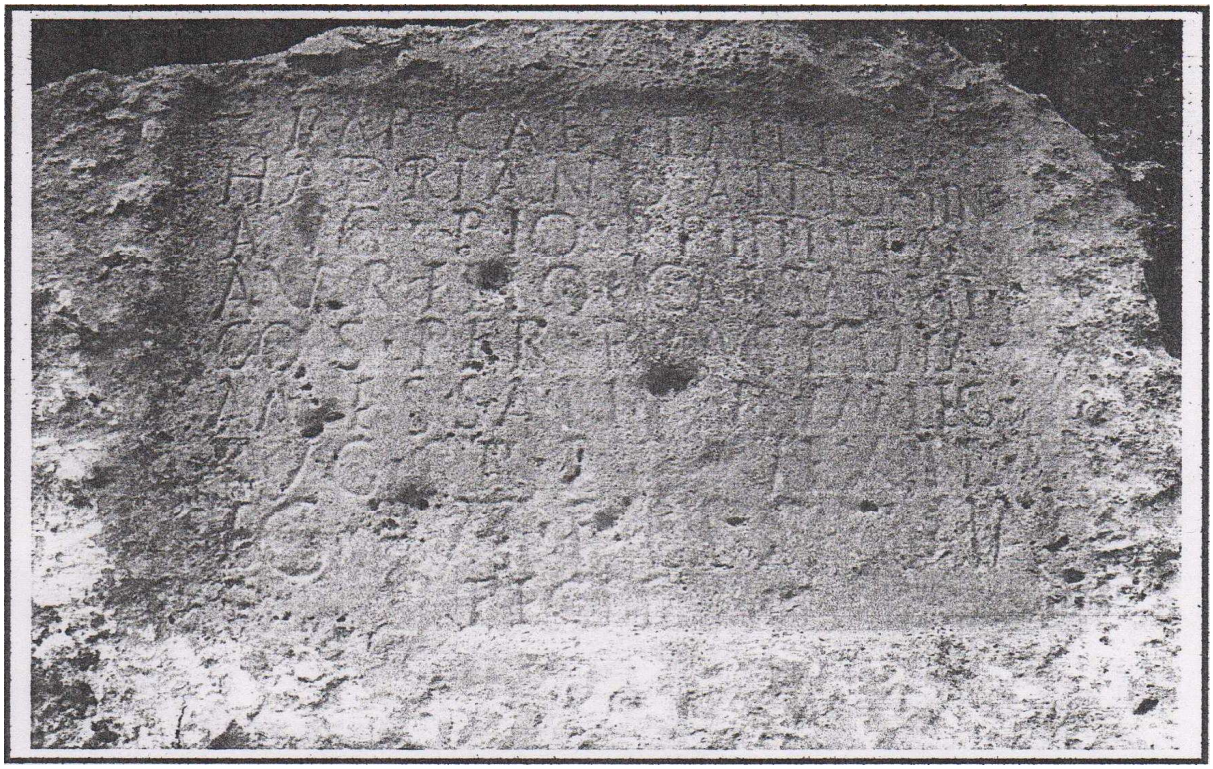

شكل رق09: نقيشة لاتينية تخلد ذكرى إنشاء الطريق الرابط بين لمباز وتهودة كتبت سنة 145 للميلاد من قبل الفرقة السادسة فيراتا التابعة للجيش الروماني.

عن: Salama (P.),op.cit.,PL.II.

محتوى النقيشة:

تحت حكم الإمبراطور، قيصر. ت.أيليوس أنطونينوس (أنطوان التقي)، أغسطس التقي، أبو الوطن، قنصل للمرة الرابعة، ووالد مارك أورال قيصر (تبناه بطلب من هادريانوس) القنصل للمرة الثانية. بأمر من براستينا ميسالينوس، قائد إمبراطوري وبروبريطور، أنجزت الفرقة المساعدة السادسة (فيراتا) هذه الطريق.

ملاحظة:

الفرقة السادسة فيراتا تم استدعاؤها من سوريا، دون شك لتدعيم الفرق العسكرية المتواجدة بإفريقيا في حربها ضد السكان المحليين الثائرين في وجه الإحتلال الروماني.

عن: Salama (P.),op.cit.,PL.II.

أنطونيوس التَّقِي[1]، وبذلك تبدأ معالم السيطرة الرومانية في الارتسام رغم أنه لا يستبعد أن تكون بعض الحاميات الرومانية قد تجاوزت حدود الليمس لملاحقة بعض الفارين أو بعض الثوار الذين كانوا يغيرون من حين لآخر على الأهداف الرومانية.

4. الزراعة إحدى آليات الاستيطان الروماني في الجنوب النوميدي:

لقد أشرنا فيما سبق إلى كون الليمس كان مؤسسة بالغة التعقيد نظرا لمكوناتها المختلفة وأنشطتها المتنوعة، والتي تدل على طابع الهيمنة الذي اتسمت به السياسة الرومانية من خلال إنشائها لخطوط الليمس لأغراض متعددة، إذ لم تقتصر على الجانب الأمني والعسكري الدفاعي فحسب، بل تعدت ذلك لتشمل الجوانب الاقتصادية لا سيما المجال الزراعي باستصلاح الأراضي النوميدية واستغلالها، خاصة تلك الواقعة في أقصى الجنوب بالتخوم الأوراسية وأطراف الصحراء، إذ لا يمكن استبعاد ارتباط توغل الرومان نحو المناطق الجنوبية النوميدية بتوفر شبكة المياه، العامل الأساس لاستغلال الثروة الزراعية التي تدرها الأراضي الخصبة في تلك المناطق. ذلك ما أدى إلى تنامي حركة الاستيطان في الجنوب، مما جعل مؤسسة الليمس إحدى أهم آليات تكريس الهيمنة الرومانية على الأرض والإنسان.

أ. شبكة الري:

لم يكتف الرومان بالاستيطان واستغلال الأراضي التلية النوميدية والتي تتوفر على المياه والإمكانيات الطبيعية لقيام زراعة كثيفة، بل تجاوزت حركة استيطانهم ذلك لتشمل المناطق الجنوبية على حواف الصحراء ومشارفها وذلك تبعا لما يحرزه الجيش الروماني من تقدم في الميدان، زيادة على كون حركة الاستيطان شكلت إحدى آليات تكريس

(1) - Baradez (J.), op.cit., pp . 155-156.

الاحتلال الشامل، أي السيطرة على الأرض والإنسان من خلال فرض الأمر الواقع على السكان المحليين. وبزيادة الكثافة البشرية المواكبة لتقدم الجيش نحو الجنوب تزايدت الحاجة إلى المياه والتحكم فيها واستغلالها. واعتمدت السياسة الرومانية في مجال المياه على جانبين هما: التجميع والتوزيع عبر قنوات النقل.

1. تجميع المياه :

لقد اعتمد الرومان على ثلاث آليات لتجميع المياه وتخزينها، حيث تمثلت الآلية الأولى في بناء السدود في مخانق ومضائق طبيعية تمر عليها الوديان المنحدرة نحو الجنوب مخترقة في معظمها جبال الكتلة الأوراسية، ويتم نقل مياه تلك السدود عبر سواقي تساير إحدى ضفتي الوادي ومن ثمة الاتصال بالضيعات والمزارع والواحات القريبة منها، وقد وجدت الكثير من نماذج هذه السدود الموصولة بالسواقي منها آثار سد على وادي القصب (O.Ksob)[1] وآثار لسد آخر على وادي بريكة (Thobonae)[2] وفي وادي مازوز (Mazouz)، آثار سد روميلة (Ced Roumila)[3] وفي وادي الأبيض ما تزال ساقية محفورة في الصخر أسفل الوادي والتي أشرنا إليها سابقا .

أما الآلية الثانية التي اعتمدها الرومان في تجميع المياه فتتمثل في الخزانات المقامة على المناطق المشرفة على الحدائق والمزارع، وفي الغالب تكون الخزانات قريبة من المنابع الطبيعية، وقد وجد في تكوت (T'Kout) خزان للمياه دائري الشكل يبلغ قطره 27 متر وعمقه 1,50 متر يتلقى المياه من منبع قريب منه، ولا يزال هذا الخزان يستعمل إلى

(1) - Gsell (S.), A.A.A., F.25, N°.82, 83.

(2) - Gsell (S.), A.A.A., F.37, N°.7.

(3) - Gsell (S.), A.A.A., F.37, N°.20.

غاية الآن[1]، وكذلك خزان ثامقرة (Tamagra) قرب خنشلة، الخزان يبلغ طوله 80 مترا وعرضه حوالي 30 مترا، كما توجد عدة نماذج من هذه الخزانات في منطقة متوسة (M'Toussa) قرب باغاي (Bagaï)[2]. زيادة على إنشائهم لخزانات وصهاريج للاستعمال الفلاحي والحضري، فقد استغل الرومان بعض المنخفضات والأحواض الطبيعية لتجميع المياه واستخدامها كخزانات طبيعية مثل أحواض منطقة سبع مقاطع في وادي القنطرة قرب قرية منبع الغزلان وسد برانيس (Branis)، الذي كان يزود منطقة ذراع شيشة التي تدل أثارها على انتشار واسع لزراعة الزيتون، لاسيما في شمالها[3].

أما فيما يتعلق بالآلية الثالثة وهي حفر الآبار، فقد أظهرت التحريات الأثرية كثافة تواجدها وانتشارها في نوميديا الرومانية وعلى مسافات من الأراضي المستغلة، وقد أحصي عدد كبير جدا من هذه الآبار خاصة في رفارف الصحراء، والمثير للاستغراب هو عمق بعضها الذي يتجاوز 50 مترا وعرضها الذي يبلغ الثلاثة أمتار، فكيف تحمل الباحثون عن المياه الجوفية كل هذا العمق، رغم تناقص قيمة البئر كلما كان أعمق يتساءل الأستاذ شنيتي.م.ب؟[4]

ولنا في هذه الآبار أمثلة عديدة، منها ما لا يزال في حالة جيدة ومستعمل إلى حد الآن، من ذلك نذكر بير ماجور (Bir Madjor) وبير سيدياس (Cedias) في جنوب شرق خنشلة[5].

---

(1) - Berbent (J.) , op.cit., p . 302 ; Gsell (S.), A.A.A., F.38, N°.58.

(2) - Berbent (J.), op.cit., p . 146.

(3) –غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث بسكرة...، ص ص . 70– 71.

(4)– شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص . 108– 109.

(5) - Berbent (J.), op.cit., pp. 131-133.

والملاحظ على انتشار هذه الآبار هو تواجدها بالقرب من ضفاف الوديان، لا سيما في الجنوب النوميدي من ذلك انتشارها على ضفاف وديان العرب، الأبيض، قشطان، خاصة في مراحلها الأخيرة في الجنوب عند بادس (Ad-Badias)، نقرين (Ad-Majors)، تهودة (Thabudeos)، زريبة حامد (Zeribet-El-Hamed)، زريبة الوادي (Zeribet-El-Oued)، مما يدل على انتشار الزراعات المتنوعة في هذه المناطق الصحراوية المتاخمة لجبال الأوراس[1].

من جهة أخرى نشير إلى كون هذه المناطق كانت على الدوام محل انتجاع واستغلال فلاحي للسكان الأوراسيين حيث يقومون برحلة الشتاء والصيف، إذ بعد حرثهم لأراضيهم الجبلية يرتحلون إلى تلك المناطق الصحراوية في فصل الخريف لحرثها. وبعد الحصاد الذي يتم غالبا في شهر أفريل يعودون إلى أراضيهم الجبلية لمباشرة الحصاد صيفا. ولا نستبعد أن تكون هذه العادة موروثة من العهد القديم.

2. نقل المياه وتوزيعها :

استعمل الرومان في توزيع المياه تقنية محكمة تكونت من شبكة من القنوات يمكن تصنيفها إلى نوعين من القنوات، أما النوع الأول فقد تمثل في قنوات النقل (Aqueducs) وتكون إما مرفوعة على جسور خاصة أو مخترقة جوف الأرض إذا اقتضت حالة سطح الأرض ذلك. وقد أبدع الرومان في إنجاز هذه القنوات المتسمة بالإتقان والمتانة والفعالية، وقد استعملت لتزويد المدن للاستهلاك الحضري، كما استعملت في الأرياف لسقي

[1] - نشير هنا إلى العوامل الاقتصادية التي تحكمت في تقدم خطوط الليمس، و هي البحث عن مصادر المياه و التحكم بها لاستغلال الأراضي الصالحة للزراعة، و التقدم بمناطق السيطرة الرومانية نحو الغرب، للوصول إلى منطقة تقاطع جبال الأوراس مع مرتفعات الزيبان هذين الحاجزين الطبيعيين الذين استند عليهما الليمس النوميدي المتقدم جنوب الأوراس، والذي كان قد شرع في إنجازه الإمبراطور تراجان و دعم تقدمه غورديان III (Gordien III) في الزيبان من خلال التحصينات التي أمر بإنشائها في الدوسن و سدوري (Auzum) ... لمزيد من المعلومات أنظر:
- Guey (J.), op.cit., pp. 178-248.

الحدائق والبساتين. والملاحظ أن مصادرها غالبا ما كانت بعيدة عن مناطق الاستهلاك ذلك ما تتطلب القيام بأعمال بالغة الضخامة والإتقان[1].

وتختلف أحجام تلك القنوات بحسب الغرض الذي أنشأت من أجله أو حجم تدفق المياه من الينابيع التي تشكل مصدرا لها. ففي منطقة الأوراس وجدت قناة لنقل المياه بعين شابور (Ain Chabor) قرب خنشلة بلغ اتساعها 1,20 x 0,70 م، مما يسمح لها بنقل كميات معتبرة من المياه، وذلك ما يوحي بالاستعمال الزراعي لها[2] .

ويدل اختلاف أحجام القنوات على مدى غزارة منسوب صرفها وكمية المياه التي تسعها، مما يعطينا فكرة عن كميات المياه التي تم توظيفها إما في سقاية الأرض أو للاستعمال الحضري، رغم كون القناة لم تكن مملوءة دائما بالضرورة إذ يتحكم في ذلك حالة مصادر مياهها، حيث يمكن أن تقل أو تزيد من فصل لآخر، ويمكن استعراض العلاقة بين قياسات عرض القنوات الناقلة ومنسوب المياه بها كالآتي[3] :

عرض القناة	منسوبها في ثا	منسوبها في 24 سا
10 سنتمترات	5 لترات	432 م^3
20 سنتمترا	10 لترات	864 م^3
30 سنتمترا	15 لترا	1296 م^3
40 سنتمترا	20 لترا	1728 م^3
50 سنتمترا	25 لترا	2160 م^3
60 سنتمترا	30 لترا	2592 م^3
70 سنتمترا	35 لترا	3024 م^3
80 سنتمترا	40 لترا	3456 م^3

(1) - شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 111.

(2) - Berbent (J.), op.cit., p .226.

(3)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 112.

ولقد كانت قنوات النقل تنطلق من المنابع أو السدود والحواجز المائية باتجاه مناطق التوزيع وغالبا ما كانت قنوات النقل تتفرع إلى قنوات ثانوية. وعند عبورها لسفوح الجبال أو المرتفعات فإنها تسير متوازية بشكل عمودي أو تستجمع في قناة واحدة لتتم إعادة توزيعها فيما بعد. وقد أمكن ملاحظتها عن طريق التصوير الجوي الذي يبين بوضوح وجود علامات بارزة تميزها تتمثل في بعض الأشجار غير المثمرة التي تنمو عند حوض تجميع المياه أو تساير قنوات التوزيع لمسافات متفاوتة. ويصعب التعرف عليها لدى غير المختصين، وعلى العموم فقد بين التصوير الجوي بشكل بارز نماذج عديدة من تلك القنوات خاصة في الجنوب النوميدي[1] .(أنظر شكل رقم10: صفحة 222).

أما فيما يتعلق بالنوع الثاني من القنوات المستعملة لدى الرومان، فيتمثل في قنوات التوزيع والسقي، التي تتواجد بشكل كثيف في منطقة جنوبي الأوراس، المحاذية لمنخفض الصحراء الشمالية الشرقية الجزائرية، ويشهد على ذلك العدد الكبير من بقايا الآثار المتعلقة بشبكة السقاية الزراعية الرومانية، والسبب يعود إلى خصوبة التربة (الفيضية) التي تجرفها السيول والوديان المنحدرة من سفوح جبال الأوراس[2]، وقد احتوت هذه المنطقة على منشآت ري كثيرة، منها شبكة ضخمة من قنوات التوزيع والسقي منجزة بإتقان وموزعة بدقة مما يوحي بأن إنشاءها تم على يد الهيئات المشرفة على تلك المناطق وفق مخطط صادر عن السلطة المسيرة للبلاد، وأن المهندسين الرومان كان لهم الدور البارز في إنشاء تلك المنشآت، وذلك تحت إشراف الجيش الروماني الذي يعمل على توفير شروط استغلال تلك الأراضي لتدعيم الدور العسكري الذي يلعبه في الميدان

(1)- غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة...، ص ص . 73- 74.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 115.

تنفيذا لتوجيهات الأباطرة الرومان[1]، ونلاحظ قنوات السقاية في المخانق التي تعبرها الوديان، إذ كثيرا ما كانت تنشأ في تلك المضائق السدود والحواجز المائية التي تنطلق منها قنوات التوزيع، لتنتشر على ضفتي الوادي والتي أظهرتها الصور الجوية التي التقطها الباحث العسكري الفرنسي ج.براديز (J.Baradez) في كثير من المواقع في الجنوب النوميدي[2]، كما تبدو واضحة أيضا في الصور الملتقطة لخزانات المياه الطبيعية والمناطق المجاورة لها، خاصة تلك الواقعة في الشرق والجنوب الشرقي للجزائر، لاسيما وأن تلك الخزانات والحواجز غالبا ما تقام على مخارج الوديان، فتتضح قنوات التوزيع على طول مجاري تلك الوديان[3].

ومن الواضح أن تلك القنوات تؤدي دور توزيع المياه على الحقول والبساتين المجاورة على ضفاف الوديان، وقد أنجزت في شكل خطوط مختلفة الأبعاد وتظهرها الصور الجوية في غاية الدقة والإتقان والكثافة[4] ، ويعتقد الباحث ج.بربنت (J.Berbent) أن كثافة شبكة التوزيع تلك كان لها كبير الأثر في تسرب المياه إلى جوف الأرض، ثم تظهر من جديد على مسافات متفاوتة في شكل ينابيع وآبار أو أحواض صغيرة غالبا ما كانت تستعمل من قبل المزارعين من جديد[5]. (أنظر شكل رقم11: صفحة 226).

(1) - Berbent (J.) , op.cit., p. 122.

(2) - Baradez (J.) , op.cit., p. 325.

(3) - Berbent (J.) , op.cit., p . 119 ; Baradez (J.), op.cit., p. 424.

(4) - Baradez (J.), op.cit., p . 425.

(5) - Berbent (J.) , op.cit., pp . 182-184.

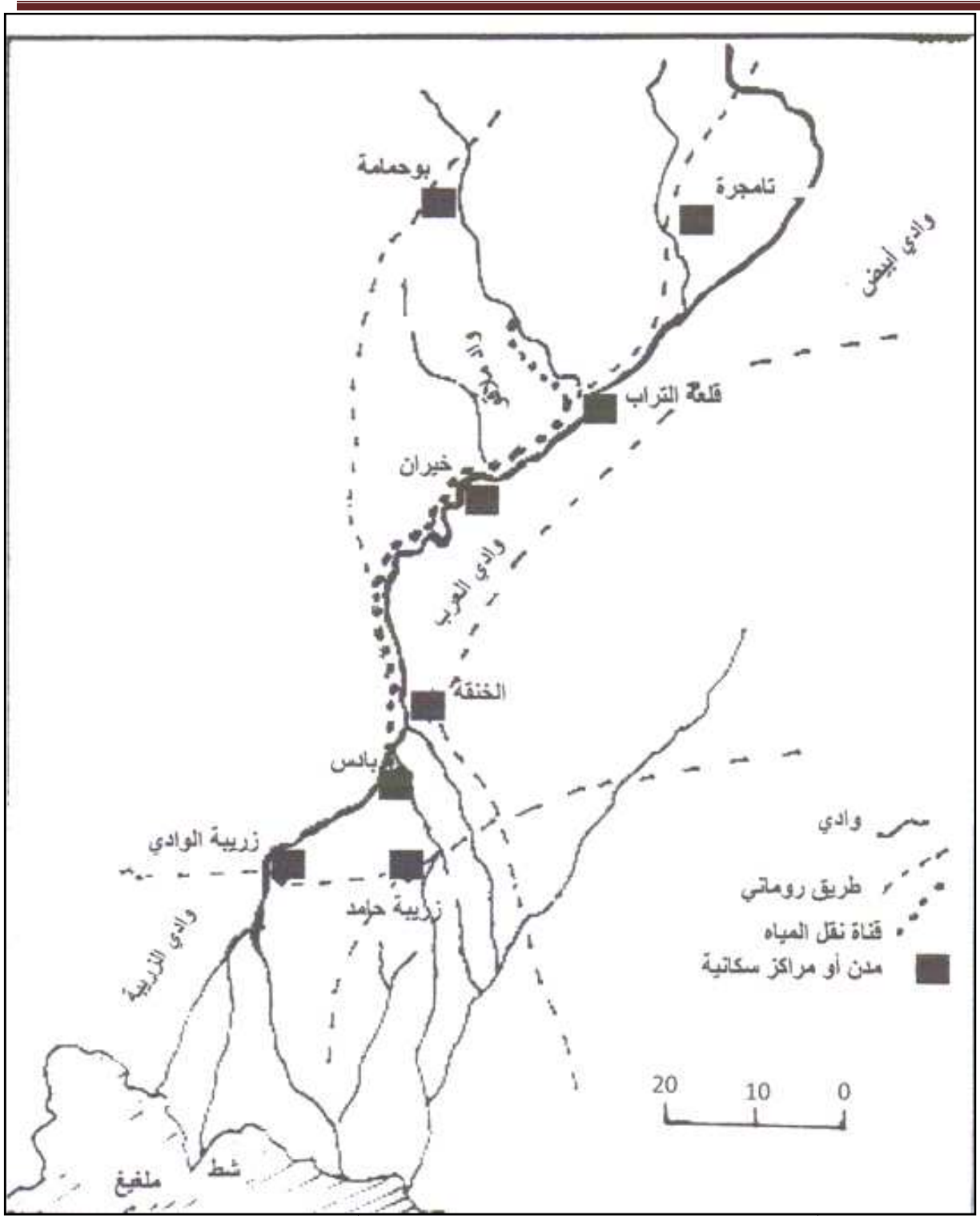

شكل رقم10: نموذج من أعمال الزراعة الرومانية في جنوب الأوراس.

اعتمادا على : - Berbent (J.), op.cit.,p.119.

وهكذا، يمكن القول بأن شبكة التحكم في المياه التي أقامها الرومان مكنت من استغلال الأراضي الصحراوية وشبه الصحراوية في الجنوب النوميدي. غير أن ذلك يعتبر إحدى عوامل التواجد الروماني واستقراره على حساب السكان الأصليين الذين طردوا من أراضيهم نحو المناطق الجنوبية الغربية.

ب. النشاط الزراعي:

من دون شك أن الثروة الفلاحية النوميدية كانت إحدى الأسباب والعوامل المرتبطة بالاحتلال الروماني لشمال إفريقيا، ذلك أن روما دأبت على إشباع حاجاتها من إنتاج المملكة النوميدية الفلاحي في فترات التحالف بين الدولتين دون عناء. لكن فترات التحالف تلك لم تكن مستقرة ودائمة مما برر ضرورة إلغاء الكيان النوميدي بكامله وذلك ما تم على يد الإمبراطور يوليويوس قيصر (Julius César) سنة 46 ق.م وبذلك يكون الرومان قد بسطوا سيطرتهم على تلك الثروات التي كانت تغويهم منذ القديم، ودمروا من أجلها حضارة بكاملها (قرطاجة) سنة 146 ق.م.

فلا غرو إذن أن يقول قيصر أثناء الاحتفالات بالانتصار الذي حققه في إفريقيا على خصومه البوميين وحليفهم يوبا الأول، واحتلاله للملكة النوميدية "**لقد ضمنت لروما أرضا بإمكانها تزويدنا بكمية تصل إلى 840.000 قنطارا من القمح**"[1].

وعلى هذا الأساس جاء اهتمام الرومان بالمجال الزراعي في المغرب القديم عموما، وقد سجلت لنا البقايا الأثرية المادية التي عثر عليها في منطقة التخوم الصحراوية وفي الأوراس وجنوبه الانتشار الكبير للزراعة الموسمية الواسعة، خاصة زراعة القمح والشعير نظرا لملائمة التربة والمناخ، وكذا اهتمام الأباطرة الرومان بضرورة ضمان

(1) - Picard (G.Ch.), La civilisation romaine, Paris, 1959, p. 70.

تموين دائم لروما وجيوشها. ذلك ما جعل السلطات الرومانية تتدخل لفرض السياسة الزراعية التي تروق لها بحسب احتياجاتها الاقتصادية[1].

وتبعا لذلك كانت الأراضي الإفريقية السهلية التي تضم السواحل التونسية وحوض مجردة والسهول النوميدية العليا التي تمتد من المرتفعات الشمالية إلى سفوح شمال الأوراس، وغيرها من المناطق السهلية في المقاطعات الإفريقية الأخرى التي تعج بالمزارعين والعبيد وآليات الفلاحة من أجل مزيد من الإنتاج[2]. كما حملت المخلفات الأثرية التي عثر عليها في الأوراس ورفارف الصحراء اتساع الخريطة الزراعية الرومانية لتشمل أنواع أخرى من الزراعة خاصة الزيتون التي شكلت بداية توسيع الزراعة الشجرية التي وإن لم تؤثر على المساحات المخصصة للقمح إلا أنها أضرت بالسكان المحليين وذلك بإجلاء البدو عن المناطق الرعوية بعد استصلاحها خاصة في مناطق السهوب[3].

والملاحظ أن السياسة الزراعية الرومانية ارتكزت على الاهتمام بإنتاج القمح خلال القرن الأول الميلادي. أما خلال القرن الثاني فقد توسعت لتشمل الأشجار المثمرة والتي يتصدرها الزيتون[4] نظرا لتزايد الطلب على مادة الزيتون في مناطق عديدة من الإمبراطورية الرومانية، ذلك أن إنتاج الزيت كان موجها لاستعمالات عدة منها صناعة الصابون والعطور واستعماله كزيت للإنارة[5].

---

(1) - Harmand (L.) , op.cit., p . 369.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية... ، ص ص . 89- 90.

(3) - Picard (G.Ch.), La civilisation romaine…, p. 71.

(4)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 90.

(5) - Harmand (L.), op.cit., p . 370.

وقد ساهمت العوامل الطبيعية في انتشار زراعة الزيتون في شمال إفريقيا عموما، ذلك أن أشجار الزيتون لا تحتاج إلى درجة عالية من خصوبة التربة كما أنها لا تقوى على تحمل درجة حرارة أقل من 05° مئوية شتاءً، في حين تتحمل درجة حرارة عالية، بل يكون مردود ثمارها من الزيت أكبر في المناطق الحارة[1].

ذلك على ما يبدو ما جعل الرومان يحرصون على تعميم هذه الزراعة الشجرية في المناطق الداخلية والجنوبية من المملكة النوميدية، لاسيما الأوراس وسفوحه الجنوبية المتاخمة للصحراء. وإن كان المغاربة القدامى عرفوا هذه الزراعة قبل التواجد الروماني بزمن طويل وأتقنوا عمليات التلقيم والمعالجة والاستخدام المتعدد الأوجه[2].

لكن التطور الحقيقي لهذه الزراعة عرفته الفترة الرومانية، ذلك أن السياسة الاستعمارية للأباطرة الرومان اتخذت من توسيع زراعة الزيتون أداة لرومنة الأرض والإنسان بفرض حياة الاستقرار على قبائل البدو التي كانت ترتحل من وإلى أطراف الصحراء الشمالية وجنوب الأوراس، مما أدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية والعمرانية بتلك المناطق بعد توافد المزارعين عليها، زيادة على إقبال الأهالي لطلب العمل في مؤسسات صناعة الزيت الناشئة طلبا للعمل كأجراء في حقول الزيتون ومعاصره[3].

وتظهر المخلفات الأثرية النجاح الكبير الذي أحرزه الرومان في توسيع نفوذهم ودفع حدود الليمس إلى المناطق الجنوبية بملامستها في عهد الأباطرة السيفيريين أطراف الصحراء الشمالية الشرقية في جنوب نوميديا ومناطق السهوب في جنوب موريطانيا القيصرية[4]، وذلك ما يؤكده الانتشار الكثيف لبقايا آثار معاصر الزيتون، ففي المناطق

---

(1) - Camps (H.F.), op.cit., p. 14.

(2) - Jouleaud (L.),L'ancienneté de la fabrication de l'huile d'olive dans l'Afrique du nord, R.Afr., N° 70, 1929, pp . 19-36.

(3) -شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 97.

(4) - Picard (G.Ch.), Castellum Dimmidi…, pp . 65- 66.

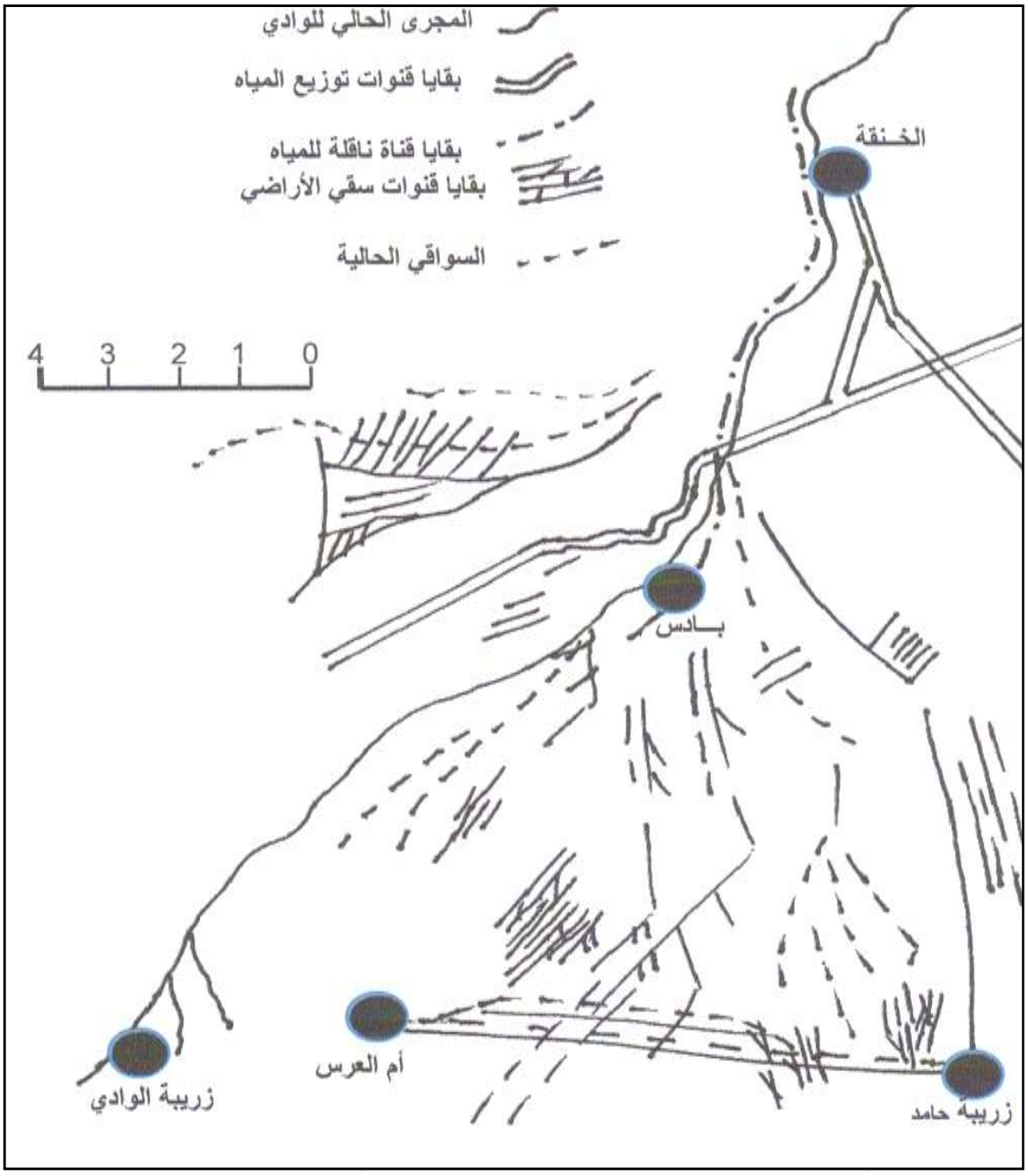

شكل رقم11: نموذج من أعمال الزراعة والسقي بمنطقة بادس خلال القرن الثالث

اعتمادا على: Berbent (J.), op.cit., p.188.

النوميدية يمكن أن نشير إلـــى تواجـــدها فـــي ثـــاورة (Thaoura) ومـــداوروش (Madaure)[1] وفي منطقة النمامشة تحديدا في تبسة ومحيطها[2] وفي أعمـــاق الأوراس خاصة ضفاف الوديان منها ما عثر عليه في وادي قشطان (Guechtane)[3].

وفي وادي العرب (O.El Arab)[4]. كما تتواجد آثار لمعاصر الزيتون في المناطق المجاورة لوديان: القنطرة وعبدي ثم الأبيض[5].

وهكذا تدريجيا أصبحت الأراضي النوميدية تحت السلطة الرومانية التي وظفـــت كل الآليات العسكرية والاقتصادية لفرض الهيمنة وبسط النفوذ إلى أبعد نقطة ممكنة علـــى حساب السكان الأصليين للبلاد الذي أرغم من أبى أن يترومن منهم علـــى النـــزوح إلـــى خارج نطاق الليمس، وفرضت على من تبقى داخل الحدود التخلي عن هويتـــه وطبيعـــة حياته أيضا بإدماجه في نمط الحياة الرومانية، ذلك أنه ينبغي عليه أن يعمل في الزراعـــة أو الحراسة أو في معاصر الزيت.

وينبغي التذكير، بأن الرومان كانوا قد دعموا سياسة الرومنة التي مارسوها علـــى الأرض والإنسان بمحاولة تكريسها كأمر واقع على السكان، فبالإضافة إلـــى الإجـــراءات السابقة عمل الرومان على إخضاع السكان لنظام ضريبي مجحف، فأنشأوا لهذا الغـــرض مراكز خاصة ثابتة ومتنقلة لجمع الضرائب المفروضة لتزويد مواقع الحراسة الرومانيـــة

(1) - Gsell (S.), A.A.A., F.19, N°.1, 19, 70, 84, 94.

(2) - Gsell (S.), A.A.A., F.29, N°.70, 104, 146.

(3) - Morizot (P.),Les ruines romaines de l'oued Guechtane,R.Afr.,N° 89, 1948,pp .120-142.

(4) - Alquier (J.), Les ruines antiques de oued El Arab, R.Afr., N°.82, 1941, pp . 31-39.

(5) - Camps (H.F.) , op.cit., p . 29.

بالمواد الغذائية، وضمان تموين كتائب الجيش، لاسيما المساعدة منها (Les auxiliaires) التي كانت تنتشر في مناطق الليمس[1].

ولا يمكن فصل فرض الضرائب في فترة الاحتلال الروماني عن الوضع المترتب عن انتصار روما في المغرب القديم واعتبار الأرض والسكان ضمن الغنائم التي تصبح ملكا للشعب الروماني المنتصر. ومن ثمة أصبحت الأرض النوميدية بمن عليها ملكا عموميا للشعب الروماني. وسكانها مهزومين، عليهم دفع الضريبة، استبقاءً لحياتهم وحريتهم. وقد أوكلت مهمة جمع الجبايات إلى حاكم الولاية الإفريقية في بداية إنشائها، ثم ما لبثت أن أوكلت إلى السلطات المحلية في المدن (ممثلي الخزينة العمومية ومجالس البلديات)[2] وكانت مراكز محصلي الضرائب عبارة عن مستودعات تجمع فيها الحبوب والزيوت. ولقد أمكن التصوير الجوي من ملاحظة إحدى هذه المستودعات في منطقة تهودة. والمرجح أنه يعود إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي بالنظر إلى طريقة بنائه، كما وجد مستودع ثان في قرية الملاقة (حاليا) يعود إلى فترة حكم الإمبراطور تراجان، أي بداية القرن الثاني الميلادي[3].

يستخلص من السياسة الزراعية الرومانية المنتهجة عموما في بلاد المغرب القديم ارتباطها بالسياسة الإمبراطورية القائمة على رسم أهداف بعيدة من شأنها إطالة الوجود الروماني. وفي ذلك السياق يندرج تقسيم الأراضي الزراعية النوميدية المنتزعة من القبائل وتوزيعها على العائلات الأرستقراطية التي تنتمي إلى مجلس الشيوخ تحت نظام

(1)- غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة...، ص . 78.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص ص . 127-128.

(3)- Baradez (J.) , op.cit., p . 276.

الحيازة، والجنود المسرحين من الجيش، إضافة إلى ما أخذ من الأراضي باسم الإمبراطور وعائلته[1].

ولم تكن القبائل المرتحلة أحسن حالا من القبائل المزارعة. إذ أن تنقلات تلك القبائل الممارسة للرعي كانت تضايق المؤسسات العسكرية والاقتصادية الرومانية داخل حدود الليمس. ذلك ما دفع بها تدريجيا إلى مغادرة أراضيها والنزوح نحو الجنوب أو الاندماج في الحياة الرومانية كيد عاملة زهيدة لدى المستوطنين الرومان. ومن ثمة تكاملت فصول السياسة الرومانية ذات الأبعاد الاستعمارية بالعمل على رومنة الأرض والسكان وتحويل الوجه العام للبلاد تماشيا مع الإستراتيجية المرسومة منذ سقوط قرطاجه 146 ق.م. وتجسدت هذه السياسة في تدرج مؤسسة الليمس نحو الجنوب وتكامل أجزائها ومحتوياتها لرومنة أكبر قدر ممكن من الأراضي والسكان المحليين.

5. الآثار المترتبة عن الاحتلال الروماني في الجنوب النوميدي:

لقد أشرنا في الفصل الثالث من هذا البحث إلى أن أحد أسباب ثورة الزعيم الموزيلامي تاكفاريناس كان المطالبة باستعادة الأراضي النوميدية التي استولى عليها الجيش الروماني في إطار تسابق الرومان على احتلال أكبر قدر ممكن من الأراضي الفلاحية، وهو ما دفع على ما يبدو ثاني إمبراطور (تيبيريوس) إلى توسيع الحدود الرومانية نحو الجنوب والاستيلاء على أراضي القبائل النوميدية النازلة في الأوراس وشرقه.

وإن كان المزالمة وغيرهم من سكان المغرب القديم قد جابهوا سياسة الأباطرة الرومان في فجر الإمبراطورية بمقاومة عنيفة وصمود باسل، فإن الرومان قد عملوا على

[1]- شارل أندري جوليان، نفس المرجع السابق، ص ص . 217- 218.

الاحتفاظ بالأرض وتكريس الاحتلال، وذلك من خلال عمليات المسح والكنترة التي مارسها ماسحو الأرض(Agrimensores)[1]، إذ كانوا يقومون بمهمتهم بالسير في أعقاب جيش الاحتلال بعد انتهائه من عملية اغتصاب الأرض من أصحابها بقوة السلاح، وكان المستفيدون الأوائل من تلك الأراضي التي قُنِّنَ احتلالها بتجزئتها إلى قطع متساوية على الجنود المتقاعدين بعد منحهم أراضي التخوم ذات الموقع الاستراتيجي[2].

ولم يتوان الأباطرة الذين أعقبوا تيبيريوس في استكمال سياسته وتشجيع الاستيطان بإنشاء المستوطنات في شمال وجنوب نوميديا، خاصة الإمبراطور تراجان الذي عمل على حشد الأهالي وترحيلهم، ففي هذا السياق انتزع أراضي المزالمة، مما اضطرهم إلى النزول في أراضي فقيرة، في حين استفاد من أراضيهم المستوطنون الإيطاليون أو قدماء الجيش الروماني. كما شتت قبيلة نوميديا بين شمال الأوراس وشرقه، وذلك ما ترتب عنه تحول جانب كبير من الأهالي إلى الاشتغال كفلاحين أجراء لدى المستوطنين الرومان[3].

وقد واكب إنشاء المستوطنات توسيع المساحات المزروعة في الأرض النوميدية نحو الداخل باتجاه الجنوب، فاستصلحت الأراضي من أجل التشجير مع الاستمرار في زراعة الحبوب، وذلك ما ترتب عنه إجلاء البدو عن أراضيهم وزحزحتهم نحو الصحراء[4].

---

(1) - Salama (P.), op.cit., p .35.

(2)- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، ص . 52.

(3)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص . 217– 218.

(4) - Picard (G.Ch.), Castillum dimmidi…, p . 71.

كما استهدف الرومان من جانب آخر تشتيت السكان المحليين وعزلهم عن بعضهم البعض لمنع الاتصال والتقارب المحتمل، والذي قد يعيق إنشاء مستوطنات جديدة أو يضايق التواجد العسكري الروماني المكلف بحماية الأراضي المرومنة داخل الليمس [1].

ورغم سعي الرومان من وراء ذلك إلى تفكيك البنية الاجتماعية للسكان المحليين وإبعادهم عن أراضيهم التي تجذَّروا فيها وتوارثوها أبا عن جد، فأصبحوا يرتحلون من الجبال والسهوب والصحراء بحثا عن الكلأ والماء، إلا أنه حسب اعتقاد (J.Despois) لم يتمكن الرومان من تحقيق أهدافهم من خلال سياستهم تلك، فتوغُل حدود الليمس أكثر في الجنوب ومضايقتها للقبائل المحلية، جعل دور هذه الأخيرة يتعاظم في اختراق الحدود الرومانية والسطو على مزارع المستوطنين والإغارة على أبراج المراقبة ومراكز الحراسة أثناء تنقلاتها الموسمية[2]، ذلك ما ولد لدى الرومان مخاوف على مصالحهم الاستراتيجية، فعملوا على مضايقة السكان باستهداف التحكم في الطرق والمعابر المؤدية من التل إلى الصحراء، لاسيما مخارج الوديان المخترقة للأوراس ومخانقها، وذلك ما تبينه التحصينات وآثار الطرق المقامة في هذه المواقع[3].

هذا زيادة على اتصاف الاحتلال الروماني بطابعه الاستيطاني، الذي عمل على إيجاد الظروف الملائمة لإحداث تغيير جوهري في الخريطة الديموغرافية للمغرب القديم عموما ونوميديا بشكل خاص، إذ توافدت عليها عناصر بشرية جديدة استوطنت مناطق الثقل الاقتصادي، أدت إلى تراجع السكان الأصليين نحو الجنوب، لاسيما بعد اشتداد

(1) – Despois (J.), op.cit., pp. 197-219 .

(2) – Ibid .

(3) – Salama (P.) , op.cit., p . 38.

الأزمة الاقتصادية والاجتماعية بإيطاليا في بداية الحكم الإمبراطوري[1] وتبلـور رغبـة الأباطرة في الاستيلاء على أراضي الشعوب المهزومة واستغلال ثرواتها[2].

وتبعا لذلك توافد على التراب النوميدي عناصر أجنبية مختلفة الأعراق، مـنهم الأسـبان، الغاليون، الإغريق والسوريون[3].

وقد سجلت لنا الوثائق التاريخية اهتمام العناصر الشرقية والسورية بشكل خـاص بمجالي التجارة والجيش، خاصة في الجنوب النوميدي باعتبارهم يحسـنون القتـال فـي المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وذلك منذ فترة حكم الإمبراطور أنطونينوس التَّقِي (138–161م)، ولنا في الآثار والنقوش المتواجدة فـي القنطـرة (Calceus Herculis) أحسن مثال على ذلك[4]، والتي بينت التواجد الكثيف لهؤلاء السوريين الذين عملوا علـى

(1)– بدأ نظام الحكم الإمبراطوري في روما عندما انتصر أوكتافيوس على مارك أنطونينوس أثناء الحرب الأهلية وذلك في معركة أكتيون البحرية في اليونان، فأصبح الحاكم الأول في روما ومنحه مجلس الشيوخ الروماني لقب أوغسـطس أي العظيم ، وذلك يكو أكتافيوس أول إمبراطوري روماني ... لمزيد من المعلومات أنظر:

– سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص. 103.

(2) - Lassère (J.M.),Ubique populus, peuplement et mouvement de populations dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av.J.C-235Ap.J.C), Paris, édition C.N.R.S., 1977, p . 294.

(3)– يبدو أن توافد الأقليات والعناصر الأجنبية على التراب النوميدي كان مدروسا ومنظما من قبل الإدارة الرومانيـة وذلك من خلال الأدوار التي أسندت إلى تلك الأقليات والعناصر، فغالبا ما كان الإغريق والغاليون يحتكرون التجارة في حين جلب السوريون في إطار تدعيم الجيش الروماني في حروبه بالجنوب النوميدي وذلك من خلال الفرق المساعدة في الجيش الروماني التي استقدمت من سوريا نظرا لتشابه الطبيعة الجغرافية بين سوريا ونوميديا ... لمزيد من المعلومات أنظر:

- Albertini (E.), Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr., N.72, 1931, pp.193-261; Picard (G.Ch.), Castellum…, pp.85-120.

(4) - Cagnat (R.), op.cit., p .206 ; Gsell (S.), A.A.A., F.37, N°.52 ; Carcopino (J.), Note complémentaire sur les Numiri syriens de la Numidie romaine, (Syria), 1934, pp . 20-31

إخضاع الأهالي أو طردهم خارج حدود الليمس جنوبا[1]. ورغم ذلك فقد بقي بعض السكان متمسكين بأرضهم ممارسين لحرفتهم، كامتهان حرفة الرعي أو ممارسة الزراعة وتربية النحل في بعض الأرياف النوميدية، ونلاحظ اهتمام الرومان ببعض المنتوجات كعسل النحل على سبيل المثال أو الحبوب والزيتون، توجيها للاقتصاد النوميدي نحو خدمة روما وسكانها[2]، فضلا عن ردود الفعل القاسية التي كان ينتهجها الرومان على الثورات المحلية بإرهاق السكان بالاستعباد وفرض الضرائب الباهضة، كضريبة الرأس وضريبة الحياة، زيادة على الضرائب المرتبطة باالجانبين العسكري والجمركي[3]. ولم يكتف الرومان بذلك، بل عملوا على رومنة الإنسان من خلال نشر الثقافة اللاتينية خاصة في العهد السيفيري، حيث تجلى ذلك في تخطيط المدن وتشييد المعابد والكنائس والمسارح وفرض اللغة والكتابة اللاتينية بعد القضاء التدريجي على الكتابتين الليبية والبونية اللتين عرفتهما نوميديا قبل الاحتلال الروماني. وقد فرض الرومان اللغة اللاتنية من خلال الزامية التعامل بها في الإدارة المحلية زيادة على جعل اتقان اللغة اللاتنية نت شروط الحصول على المواطنة وأولى اللبنات في سياسة الرومنة، وبذلك أصبحت المدن في الشمال الإفريقي مرومنة ثقافيا ولغويا[4].

(1) - Leschi (L.), Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr.,N°.72, 1931, pp . 193-293 ; Albertini (E.), L'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1956, p. 26.

(2) - Lacroix (M.F.), Procédés agricoles, R.Afr., N°.14, 1870, pp . 97-120.

(3) - Julien (ch.A), Histoire de l'Afrique du nord des origines à la conquète arabe (647ap.J.-C.), 2eme ed.,S.N.E.D, Alger, 1978, pp.159-164.

(4)– بلقاسم رحماني، أثر الاحتلال الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب، (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)، ع.12، جامعة باتنة، الجزائر، 2009، ص ص.305–307.

الفصل الثالث: الإصلاحات السيفيريه آثارها على الشرق النوميدي

1- سبتيموس سيفيروس يتولى عرش الإمبراطورية الرومانية

2- فصل الشرق النوميدي عن المقاطعة البروقنصلية

3- إصلاحات الأباطرة السيفيريين الاقتصادية

4- إصلاحات الأباطرة السيفيريين المالية

5- أهداف الإصلاحات السيفيريه وانعكاساتها

الفصل الثالث: الإصلاحات السيفيرية وآثارها على الشرق النوميدي:

1- سيتيموس سيفيروس يتولى عرش الإمبراطورية الرومانية:

على إثر وفاة الإمبراطور كومودوس البريتوري (Lucius Aelius Comodos) سنة 192م وهو آخر الأباطرة الأنطونيين، أعلن الحرس البريتوري ومجلس الشيوخ فيرتيناكس (Fertinax) إمبراطورا، غير أن الإصلاحات التي قام بها والتي لم ترض الأطراف التي قامت بتعيينه على رأس الإمبراطورية وقد مست على ما يبدو مصالحها، قامت تلك الأطراف أي الحرس البريتوري وأعضاء من مجلس الشيوخ باغتياله في نفس السنة التي تولى فيها الحكم أي سنة 193م، مما أجج الصراع بين عضوي مجلس الشيوخ فلافيوس سوليكيانوس وديديوس بوليانوس حول تولي عرش الإمبراطورية ذلك الصراع الذي انتهى بتولي ديديوس بوليانوس السلطة بعد انتصاره على خصمه[1].

لكن ميل الإمبراطور الجديد لحياه اللهو والترف وإهماله لشؤون الإمبراطورية ومصالح الجند على ما يبدو أثار حفيظة قادة جيوش المقاطعات الإمبراطورية، مما أدى بها إلى التمرد عن سلطة الإمبراطورية بتنصيب قادتها أباطرة على ما يذكر المؤرخ الروماني هيروديانوس[2].

---

(1)- في معرض حديثة عن أحداث سنة 193م وتولي ديديوس يوليانوس مقاليد السلطة في الإمبراطورية الرومانية يشير المؤرخ ديون كاسيوس إلى الطريقة غير الشرعية التي وصل بها هذا الإمبراطور إلى السلطة حيث يذكر أنه قدم مبالغ مالية ضخمة كرشاو للجند من أجل دعمه في تولي العرش...لمزيد من المعلومات أنظر:

-Dion Cassius, Histoire Romaine (10vol.), Trad. V. Boisée, E.Gros , éd. Firmin didot, Paris, 1845-1870, LXXIII, 11.

(2) -Herodianus, Histoire de la République Romaine, II, Trad. J.A.C.Buchan, éd. C.Belagrave, Paris, p.589.

وعلى هذا الأساس قامت جيوش غاله بتنصيب كلوديوس ألبينوس (Clodius Albinus) إمبراطورا وسوريا نصبت بيسينيوس نيجر (Péscinius Niger) بينما مقاطعة بانونيا[1] نصبت القائد لوكيوس سيبتيموس سيفيروس (Lucius septimus severus)[*].

وكان لكل من القادة الثلاث الطموح اللازم والأسلوب الخاص به لتولي الإمبراطورية، إلا أنه سيفيروس كان أكثر الثلاث تفهما للواقع السياسي والعسكري الذي تعيشه روما وإدراكا لخطورته، ذلك ما جعله على ما يبدو يسيطر على الوضع، وينهي الجدل حول المنصب الأعلى في الإمبراطورية[2].

إذن بعد تعيينه من قبل جيوش بانونيا إمبراطورا قرر سيفيروس الزحف على العاصمة روما والتي دخلها في جوان 193م وكان مؤيدا من قبل مجلس الشيوخ والحرس البريتوري، تأييد مجلس الشيوخ له جعله بمجرد توليه العرش الإمبراطوري يصدر مرسوما يمنع الاعتداء أو قتل أي عضو من المجلس، وعمل على إصلاح الأوضاع في روما ثم باقي المقاطعات، لكن استمرار بعض قادة المقاطعات في منافسته جعله يخوض

(1) -Lafon (M.), Rome depuis sa fondation Jusqu'à la Chute de L'empire, Paris, 1893, pp.236-237.

(*)- لوكيوس سيبتيموس سيفيروس (Locius Septimus severus) أول الأباطرة السيفيريين ولد في مدينة لبدة (Leptis Magna) بإقليم طرابلس يوم 11أفريل 146م، وتوفي في مدينة يورك (Yoric) بتاريخ 04 فيفري 211م ويعتبر سيبتيموس سيفيروس أول ليبي يعتلي عرش الإمبراطورية الرومانية، ينتمي سيتفيروس إلى عائلة إفريقية عريقة من طبقة الفرسان، منح حق المواطنة بعد الخدمات العسكرية التي قدمها للإمبراطورية تحصل على عضوية مجلس الشيوخ بمساعدة من الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161-180م)، بعد أن درس الفلسفة في أثينا والحقوق في روما وتقلد عدة مناصب في مقاطعات الإمبراطورية وتزوج سنة 179 من يوليادومنا (Julia Domna) ابنت كاهن مدينة حمص السورية...لمزيد من المعلومات أنظر:

-Besnier (M.), L'empire Romain dés L'avenenement des Sesveres au Concilede Nicée, éd. P.U.F, Paris, 1937, pp.11-15.

(2) -Dion Cassius, LXXIII, 15.

عده حروب ضدهم[1] فدخل في حرب طاحنة مع نيجر حاكم سوريا الذي أعلن الانفصال واحتلال بيزنطة وعدة أقاليم من شرق الإمبراطورية. وبعد سلسلة من المواجهات بين الطرفين جسم سيفيروس الأمر لصالحه على إثر معركة أنطاكية، وبذلك يتخلص من ألد أعداءه، مما مكنه من بسط نفوذه قبل أن يعود إلى روما[2].

لكن ما لبث أن اندلعت بعض التمردات في أروبا وآسيا فاضطر إلى إخمادها بالقوة فاتجه إلى العراق ومنها إلى فلسطين ثم العودة إلى روما بعد استتباب الأمر له، لكن بقيت بعض التمردات في إفريقيا على ما يبدو وهو ما جعله ينتقل إليها في سنة 203م، هذه الزيارة التي يذكرها بعض المؤرخين المحدثين تسكت عنها المصادر القديمة إلا بعضها، غير أن هناك بعض الشواهد التي تبرز بعضا من شواهد الزيارة[3].

وعلى إثر عودته من إفريقيا اضطر سيفيروس إلى التنقل إلى بريطانيا لإخماد ثورة محلية هناك تكون قد نشبت بالمنطقة سنة 208للميلاد وهي الرحلة الأخيرة التي يقوم بها قبل مغادرته الحياة، حيث اشتد عليه المرض الذي أدى إلى وفاته في مدينة (York) في الرابع من فيفري سنة 211م[4].

وبذلك تنتهي فترة حكم الإمبراطور سبتيموس سيفروس الذي اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية في فترة اتسمت بالفوضى والانقسامات وهو ما جعله يقضي فترة حكمه التي استمرت ثمانية عشر سنة في الحروب والتنقلات بين روما عاصمة الإمبراطورية وباقي المقاطعات التي تشهد الفوضى كالشرق وإفريقيا وأروبا، ولكنه رغم

(1) Albertini (E.), l'empire Romain, 3eme, Edition, P.U.F., Paris, 1938, p.245.

(2) Homo (L.), Nouvelle Histoire Romaine, éd. Fayard, Paris, 1941, p.345.

(3) Kotula (T.), Septime Sévère, a t-il visité L'Afrique en tant qu'empereur, 1985, pp.154-157.

(4) Bosnier (M.), op.cit., p.52.

ذلك يكون قد فتح الطريق أمام العائلة السيفيرية الإفريقية لأن تتبوأ المكان الأعلى في الإمبراطورية الرومانية لمدة تفوق نصف قرن.

بعد وفاة سيفيروس على إثر مرض أصابه سنة 211م تولى عرش الإمبراطورية ولداه كراكلا(*) وجيتا(**)، إلا أن حكمهما الثنائي لم يدم طويلا[1] حيث نشب نزاع بينهما انتهى بمقتل جيتا على يد أخيه كراكلا الذي انفرد بالحكم بعد مصرع أخيه على يده.

كراكلا واصل الحروب التي كان والده يشنها من أجل توطيد الأمن وإخضاع المقاطعات وفتح مناطق جديدة إلا أن أحد قادته تمكن من اغتياله في إحدى حروبه بمدينة كارناي (Carnae) واعتلى العرش إلا أنه حكمه لم يدم طويلا حيث استطاع هليوجابالوس (Heliogabalus) وهو حفيد كراكلا أن يستعيد العرش السيفيري بمساعدة الجيش الإمبراطوري، ودخل روما رفقة والدته حفيدة يوليادومنا زوجة سبتيموس سيفيروس[2].

(*)- كراكلا Carcalla: هو سيبتيموس باسيانوس الملقب بكراكلا ولقب بهذا الاسم نظرا للجلباب الطويل الذي كان يلبسه في غالب الأحيان، ولد كراكلا في 14 أفريل 188م بمدينة ليون (الفرنسية الحالية)، أشركه والده في الحكم وهو لا يتعدى الثامنة من عمره ومنحه لقب: ماركوس أوريليوس أنطونينوس كراكلا وفي سنة 198 منحه لقب أغسطس واصطحبه في تنقلاته وحروبه لإخماد تمردات معارضيه في سوريا ومصر وغيرهما كأنطاكيا 202م، ثم خلف أباه في حكم الإمبراطورية سنة 211م، ودام حكمه إلى غاية سنة 217م، ...حول الموضوع:

-Bordet (M.), Précis D'histoire Romaine, 4eme éditions, Armond colin, Paris, 2004, p.254.

(**)- **جيتا** (Gita) (189-212م)، هو لوكيوس بيليوس سيبيتيموس جيتا من مواليد مدينة روما في 28 ماي 189 منح لقب قيصر سنة 198م لكفه والده في سن التاسعة عشر أي سنة 208م بإدارة مقاطعة بريطانيا ثم نال لقب أغسطس التقي: (Auguste Pieux) في سنة 209م شارك أبوه سيبتيموس وأخوه كراكلا في الحكم لكن لم يدم حكمه طويلا حيث قام كراكلا بإغتياله سنة 212م أي بعد مدة سنة من حكمها للإمبراطورية الرومانية حول الموضوع أنظر:

-Besnier (M.), op.cit., pp.18-25.

(1) - Ibid .

(2)- ول ديورانت، المرجع السابق، ج3، من المجلد الثالث، ص.326.

لكن الإمبراطور الأخير لم يدم حكمه طويلا هو الآخر حيث تم اغتياله من قبل حراسه، لأنه لم يكن يرضى توجيهات فئات كثيرة في المؤسسة الحاكمة الرومانية حيث كان منكبا على المجال الديني ولم يعر أي اهتمام لمصالحهم حتى العائلة مما جعلها تعمل على تبني الإمبراطور لابن عمه الإسكندر، هنا الأخير خلف الإمبراطور المغتال[1].

بدأ باسيانوس الملقب بـ: ماركوس أوريليوس الإسكندر حكمه بإدخال إصلاحات على الإدارة والمالية في الإمبراطورية وذلك بعد أن نال اعتراف المجلس البريتوري ومجلس الشيوخ[2] واجه الإسكندر عدة قلاقل في المشرق خاصة بلاد الفرس حيث اضطر إلى الرحيل إليها، كما انتقل إلى غالة على رأس جيش من الموريين والسوريين، وهنا يمكن أن تقول لعل ما جعل الإمبراطور يتنقل ويخوض حرب غالة بجيش من الموريين والسوريين هو عدم ثقته في الجيش النظامي الروماني، ويتضح ذلك في عدم اقتناع الجيش الروماني بتفاوض الإمبراطور مع المتمردين في غالة وهو ما جعل الجند يثورون ضده ويقومون باغتياله رفقة والدته وكل من معه سنة 235م[3].

وبمقتل باسيانوس (ماركوس أوريليوس الإسكندر) في غالة سنة 235م تدخل روما عهدا جديدا من الفوضى، وينتهي حكم العائلة السيفيرية الذي دام مدة 42 سنة، كانت معظم هذه المدة فترة حروب ونزاعات حاول الأباطرة السيفيريين خلالها استيباب الأمن وتوسيع رقعة الإمبراطورية الجغرافية حيث امتدت في فترتهم من أواسط آسيا الصغرى ووادي الرافدين شرقا إلى الجزر البريطانية غربا شاملة شمال إفريقيا وجنوب أروبا.

(1) -Brodet (M.), op.cit., p.254.

(2)- ول ديوزانت، المرجع السابق، ص ص. 329-330.

(3) -Besnier (M.), op.cit., pp104-107.

2- فصل الشرق النوميدي عن المقاطعة البروقنصلية:

منذ توليه عرش الإمبراطورية الرومان قام سيبتيموس سيفروس بزيارات متعددة إلى مقاطعات الإمبراطورية مما مكنه من التعرف عن قرب عن مشاكلها ووضعياتها المختلفة ثم الأخطار التي يمكن أن تحدق بالإمبراطورية من جراء ما قد يحدث من اضطرابات بعض المقاطعات نتيجة لاتساع رقعة الإمبراطورية قام سيفيروس كنوع من الإصلاحات الإدارية بتجزئة بعض المقاطعات التي كان يرى بقاءها موحدة يشكل خطرا على الإمبراطورية قبل تقسيمه لسوريا سنة 194م، وبريطانيا 197م، أما في إفريقيا فقد فصل الشرق النوميدي عن المقاطعة البروقنصلية، فأصبح ذلك الجزء من نوميديا مقاطعة مستقلة بذاتها وضعها تحت السلطة المباشرة لقائد الفيلق الأغسطي الثالث[1].

ويرى الباحث فلوم (H.G.Pfloum) أن تاريخ الفصل ينحصر ما بين 193 و208 م استنادا إلى بعض النقائش التي عثر عليها مدينة لمبازيس (Lambadaes) والتي تتحدث عن وكيل الإمبراطور حاكم ولاية نوميديا:

Legatus Aug. Pr. Pr. Prou. Numid ثم لقب وكيل الإمبراطور قائدا لفرقة الأغسطية الثالثة "Legatus Aug. Pr. Pr. Leg. III Aug" وقد واصل هذا اللقب الظهور في نقائش الفرقة الثالثة الأغسطية حتى عهد الاسكندر سيفيروس[2].

---

(1) Besnier (M.), op.cit., p.41.

(2) استنادا إلى النقوش المشار إليها أعلاه فإن حاكم إفريقيا حتى فترة حكم ماركوس أوريليوس وكومودوس لم يحمل لقب حاكم نوميديا وهو ما يعني أن نوميديا لم تنفصل عن البروقنصلية، لكن هناك نقش عثر عليه في الأوراس يشير إلى أن الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس هو من قام بتعديل إدارة المنطقة بفصل المشرق النوميدي عن البروقنصلية، وهو ما جعل بعض الأثريين يرجعون تأسيس الولاية النوميدية إلى سنة 198م أي أثناء فترة حكم سيبتيموس سيفيروس ومن ثمة أصبحت الإدارة المالية لولاية الجديدة مستقلة عن المالية البروقنصلية فأسندها سيفيروس إلى محاسب إمبراطوري...أنظر:

Boissier (G.), op.cit., pp.272-275.

وقد أقدم الإمبراطور سيفيروس بعدها على إجراء إصلاحا أخرى في إطار سياسته التنظيمية في إفريقيا عموما وهي: إضافة لقب برايسوس (Praeses) إلى لقب الحاكم الإمبراطوري (Legat Imperial Propreteur) يهدف هذا الإجراء إلى التمييز بين الحكام الإمبراطوريين للمقاطعات وقادة الفرق. ومن ثمة فالحاكم العسكري أصبح منذئذ يجمع بين مهامه العسكرية والسلطة المدنية والإدارية والقضائية[1]، زيادة على ذلك يمكن أن نصف إنشاء بلديات سيفيرية أو تحويل البعض منها وإعطائها الصفة السيفيرية خاصة في نوميديا على غرار تحويل مدينة كويكول (جميلة) إلى مستوطنة سيفيرية في فترة حكم سيفيروس وكراكلا وقد شمل هذا الإجراء أيضا: صلداي (بجاية) وأوزيا (سور الغزلان)[2].

لم يكتف سيبتيموس سيفيروس بهذا بل قام بإصدار مرسوم يمنح بموجبه الحقوق الإيطالية لبعض سكان المقاطعات أو المدن الإفريقية على غرار مدينة قرطاجة وأوتيكا ولبدة مسقط رأسه.

وفي السياق نفسه يشير شارل أندري جوليان إلى أهمية المرسوم الذي أصدره كراكلا ابن سيبتيموس سيفيروس والمعروف باسمه أي مرسوم كراكلا وبموجب هذا المرسوم يصبح كل أحرار الإمبراطورية الرومانية يتمتعون بالحقوق المتعلقة بالمواطنة الرومانية مع بعض الاستثناءات والراجح يضيف ش.جوليان أنه استثنى الفلاحين الذين يقيمون في الأرياف والهضاب العليا والذين يتعذر عليهم إثبات حريتهم[3].

---

(1) Ibid.

(2) Marquardt (J.), « L'Organisation de L'Empire Romain, M.A.R, (16vol), Trad. Gustave H, éd, Thorin, Paris, 1889-1892, T.9, pp.481-482.

(3) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص. 220-221.

رغم الأهمية التي يكتسيها مرسوم كراكلا على الأقل من الناحية النظرية بمنحه حق المواطنة لجميع أحرار الإمبراطورية إلا أنه يتضمن أبعادا خطيرة على السكان الأفارقة عموما والنوميديين على وجه التحديد[1] ومهما يكن فإن جل آراء المؤرخين تنحصر حول عدم أهمية مرسوم كراكلا بالنسبة للسكان المحليين ذلك أنه لم يكن في صالحهم بتاتا حيث منح لهم المواطنة الرومانية ليكبلهم بأعباء ضريبية باهظة ولم يهدف الإمبراطور من خلاله إلا لملء خزينة الدولة.

3- إصلاحات الأباطرة السيفيريين الاقتصادية:

عرفت فترة حكم الأباطرة السيفيريين في المجال السياسي اضطرابات متوالية وحروب مستمرة، رغم ذلك تعد فترة حكمهم من أزهى فترات تاريخ الإمبراطورية فيما يخص الرخاء الاقتصادي وكذا النحو الديمغرافي وكذا تمركز الاستهلاك فعدت العاصمة روما إبان حكمهم من أكبر المراكز الاستهلاكية في العالم القديم وشهدت أيضا نموا ملحوظا للطبقات الدنيا من المجتمع الروماني.

ولقد توسعت المزارع الكبرى وتضاعف عددها بإفريقيا ونوميديا على وجه التحديد وأصبحت في يد كبار ملاك الأراضي أو الأباطرة أنفسهم، والسبب الرئيسي في ذلك يعود حتما إلى السياسة الرومانية القائمة على مصادرة الأراضي الزراعية التي تمارسها السلطة

---

[1]- الملفت للانتباه أن مرسوم كراكلا الذي يمنح حق المواطنة لجميع أحرار الإمبراطورية الرومانية لم يكن له صدى لدى السكان المحليين والواضح أن الأثر الذي تركه هذا المرسوم في نفوس النوميديين كان أثرا على ما يبدو سلبيا لأن المرسوم جاء في شكل قرارات اتخذها الإمبراطور تتعلق بالجانب المالي وكبلت هؤلاء المواطنين الجدد أعباء مالية إضافية، كبيره واعتبر من قبل المؤرخين إجراء إمبراطوري يهدف إلى زيادة مداخيل خزينة الإمبراطورية، خاصة وأن الأجانب في الإمبراطورية كانوا معفيين من دفع الضرائب ولكن لما أصبحوا مواطنين كان لزاما عليهم دفع الضرائب المفروضة على مواطني الإمبراطورية ....لمزيد من المعلومات أنظر:

- شنيتي محمد البشير، التغيرات....، ص.181.

الرومانية بعد انتصاراتها في الأراضي النوميدية، وتوزيع تلك الأراضي على المستوطنين الرومان أو تلحق بأسلاك الإمبراطور[1].

والواقع أن هذه السياسة ليست وليدة الأباطرة السيفريين وإنما تمتد إلى ما قبلهم بكثير حيث رأينا كيف منح قيصر بعد انتصاره في إفريقيا أراضي واسعة لمرتزقته بل منحهم مدنا بكاملها على غرار ما قدمه للمرتزقة سيبتوس[2].

ثم تواصلت تلك السياسة أثناء حكم الإمبراطور تبيريوس (42ق.م-37م)3 في بداية القرن الأول الميلادي ثم استمرت مع الإمبراطور نيرون (Neron) (54-68م) وتواصلت أيضا مع الأباطرة السيفيريين والذين جاؤوا بعدهم، فكانت كل مزرعة من تلك المزارع تستأجر من ملاكها أو يستغلونها جزئيا في حين يتم منح الباقي للمستوطنين، ومع مرور الزمن يقوم أولائك المستوطنون بدفع الضرائب المتمثلة بثلث الموصول وبالتالي يسمح لهم بتوسيع أملاكهم وأراضيهم على حساب الغابات أو أراضي المستنقعات ويقومون بإدراجها ضمن المزارع الكبرى[4].

ذلك ما أدى إلى توسيع الأراضي الزراعية التي كانت بيد المستوطنين الرومان وكذا تحويل زراعتها إلى زراعة الكروم والزيتون، ومما دعم هذه الوضعية هو إعفاء السلطات الملاك من دفع الضريبة لمدة عشر سنوات.

---

(1) Gsell (S.), H.A.A.N.,T, VIII, pp.229-230.

(2) Decret (F.)et Fantar (M.), op.cit., p.157.

(3) Fredouille (J.G), op.cit., p.159.

(4) من بين الإجراءات التي اتخذها الإمبراطور هادريانوس (76-138م) لتثبيت دعائم الاحتلال الروماني في نوميديا هو إصدار قانون الأراضي الزراعية أو استغلالها، حيث يسمح القانون للمعمرين وملاك الأراضي أو المزارع المحاذية للأحواض والمستنقعات والغابات، بتوسيع أراضيهم على حسابها لزيادة ملكياتهم باعتبارهم الركيزة الأساسية للاحتلال الروماني...انظر:

Martin (J-P.), op.cit., pp.253-254.

وقد اعتنى الأباطرة السيفيريون بالفلاحة من خلال تقديم تسهيلات كبرى للفلاحين من قروض أو إعفاءات من دفع الضرائب، وذلك لأسباب تبدو واقعية بالنسبة لهم حيث من المعلوم أن السيفيريين اعتمدوا في جندهم على سكان المقاطعات وهم في أغلبهم من الفلاحين حين نجد أغلب جند الفرق المساعدة وأبنائهم من الفلاحين فكان من الضروري أن يعمل الأباطرة السيفيريون على كسب ود هذه الفئة، بل عمدوا إلى تأسيس قرى لهم ومحمليات كثيرة عبر التراب النوميدي لحمايتهم من هجمات السكان المحليين[1].

وامتدات هذه السياسة عبر مناطق مختلفة من التراب النوميدي شرقا وجنوبا ووصلت حتى إقليم طرابلس خلال فترتي حكم كل من الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس وابنه كراكلا.

سياسة التوسع الزراعي هذا في الأراضي النوميدية كان هدفها زيادة الإنتاج دون شك تزويد روما بالإنتاج الفلاحي الذي تحتاجه الحالة الاستهلاكية للسكان هناك وإن كان ذلك حتما سيكون على حساب السكان المحليين حيث منع ذلك السكان الرحل من الانتقال إلى الهضاب أو التل بشكل عام[2].

ويتزايد سكان روما كان لزاما أن يتزايد التموين بمختلف المواد وعلى رأسها القمح النوميدي الموجه إلى العاصمة روما لكن ما هو معروف أن إنتاج القمح في إفريقيا قد تراجع أيام السيفيريين، وذلك على ما يبدو نتيجة مضاعفة زراعة الكروم والزيتون، ولقد شهدت فترة حكم سيفيروس توزيع مادة زيت الزيتون بصورة مجانية على السكان في مدينة روما[3].

(1) Ibid, p.254.

(2) Petit (P.), histoir generale de l'empire romains, .vol, éd, du souil, paris, 1978, p.79.

(3) Petit (P.), op.cit., p.318.

وقد انتشرت زراعة الزيتون بشكل لافت في الشرق النوميدي وامتدت على نطـــاق واسع حتى إقليم طرابلس ولكن تركيز هذه الزراعة كان قد شمل المنطقة مـــن تاغاســـت (سوق أهراس) وتيفسف (تبسة) إلى منطقة القبائل حاليا بالجزائر شاملة ماسكولا (خنشلة) وشمال الأوراس مرورا بكويكول (جميلة) ثم سطيف إلى منطقة القبائل حاليا ويشهد علـــى ذلك بقايا معاصر زيت الزيتون المنتشرة عبر ربوع هذه المناطق المذكورة[1].

وقد تمركزت آثار المعاصر النوميدية في مناطق: الجنوب الشرقي النوميدي خاصة منطقة النمامشة والأوراس إلى جنوب معسكر لمبازيس تيمقاد (Tamugadi) زيادة علـــى مناطق نوميديا الوسطى إلى الجنوب من سيرتا والحضنة ومعاصر جميلـــة (كويكـــول)، جنوب سطيف ومنطقة خربة العقرب، المنطقة إجمالا عثر فيها على ما يزيد عن إحـــدى وعشرين معصرة زيت زيتون وهو ما تراه في منطقة الأوراس والنمامشة مـــن تيفســـت (تبسة) إلى لمبازيس (تازولت)[2].

4- الإصلاحات السيفيرية المالية:

إلى جانب الإصلاحات التي أحدثها السيفيريون في قطاع الزراعة أو الفلاحة بشكل عام فقد شملت إصلاحاتهم أيضا الجانب المالي وذلك لتعزيز مداخيل خزينة الإمبراطورية من خلال إصلاحات في شكل إجراءات جبائيـــة وضـــريبية جديـــدة اتخـــذها الأبـــاطرة السيفيريون خاصة وأن الإمبراطورية في عهدهم قد عرفت توسعات فـــي كبيـــرة شـــرقا وغربا إلى جانب الإتاوات الإضافية الجديدة فرضت السلطات الرومانيـــة أيضـــا أعمـــال

(1) Albertini (E.), l'Afique romaine...p.28.

(2) Comps (H.F), op.cit., pp.25-30.

جبرية مجانية وتقديم عطايا مختلفة إضافية للجيش الروماني بكل فرقة المساعدة[1] وقد تمثل الهيكل الضريبي الروماني في فترة حكم الأباطرة السيفريين فما يلي:

1- **الضرائب المباشرة:** غالبا ما كانت هذه الضرائب تشمل الإتاوات التي كان السكان المحليون يدفعونها على أنفسهم أي اقتطاعات مالية تدفع على الأفراد ثم إتاوات كان السكان يدفعونها على الملكيات أي العقارات ويمكن تقسيم هذا النوع إلى صنفين من الضرائب:

أ- **الضريبة على الأرض:** تدفع هذه الضريبة على الأملاك العقارية العامة والخاصة داخل وخارج الحواضر النوميدية، وتشمل المباني والأراضي، المعابد، الحمامات والجسور والطرق ثم الموانئ . وكانت ملكية الأرض طبقا للقانون الروماني هي ملكية خاصة بالشعب الروماني ومن ثم فكلما احتلت روما أراضي جديدة أدرجت ضمن ممتلكات الشعب الروماني ومن ثمة فهي مصدر جديد للثروة من خلال الضرائب التي ستفرض على أهاليها[2].

يلاحظ على هذا النوع من الضرائب أنه شمل كل مالكي العقارات باستثناء الجيش وأفراده الذين تم إعفاؤهم من الضرائب وذلك على ما يبدو لأهمية الجيش بالنسبة للسيفيريين.

---

[1]- أحمد البحيصي، لمحة عن سياسة الأسرة الإمبراطورية السويرية في شمال إفريقيا، (مجلة المعالم)، ع.6، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة، 1992، ص ص. 45-59.

[2]- الأراضي التي تعتبرها روما أراضي عمومية في غالب الأحيان كان الرومان يقسمونها إلى قسمين:

أ- الأراضي المخصصة لبناء المستعمرات التي سيمنحونها للمعمرين وهي غير معنية بدفع أية ضريبة (معفاة).

ب- الأراضي المخصصة للأفراد: تقوم السلطات الإدارية الرومانية بتهيئة قطع أرضية داخل الحواضر لتمنح للأفراد أو تباع لهم وتدفع عليها الضرائب... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Marquardt (J.),« l'organisation financière», M.A.R.,16vol.Trad.Custave Humbert,éd. Thorim, paris,1888,T.10, pp.191-192.

ب- الضريبة المدنية الرومانية:

هذا النوع من الضرائب غالبا ما كان الأفراد يدفعونه في أوقات الكوارث كالحروب أو الزلازل والفياضانات التي تصيب ذلك الإقليم، وفي البداية كان مجلس الشيوخ هو من يحدد قيمة تلك الضريبة على المواطنين الأحرار كل حسب الثروة التي يمتلكها زيادة على أن هذه الضريبة تشمل ضرائب فرعية تتدرج ضمنها منها:

1/ ضريبة الرأس: تفرض على النساء والأرامل.

2/ ضريبة اليتامى التي تفرض على المراهقين.

3/ ضريبة الخزينة: تفرض على المواطنين وتخصص لدفع رواتب الجيش[1].

زيادة على ذلك نجد أن الضريبة المباشرة الأساسية التي تدفعها المقاطعات فكانت منقسمة إلى قسمين هي الأخرى:

أ- **الضريبة العقارية:** عرفت بضريبة العشر وتأخذ أي العشر من منتوجات الأرض الزراعية المختلفة.

ب- **ضريبة الحياة:** هي من أهم الضرائب التي خصصتها السلطات الرومانية للسكان المحليين أي يدفعها هؤلاء السكان نقدا أوعينا مقابل المحافظة على حياتهم من قبل الجيش أو السلطة اللذان يمثلان الدولة الرومانية [2].

ويمكن أن نضيف ضرائب أخرى نذكر منها:

---

(1) Corbier (p.) et Griesheiner (M.), L'Afrique Romaine 146 av.J.-C.-439ap.J.-C.(Le monde une Histoire), éd. Ellipses, paris, 2005, pp.62-63.

(2) Julien (Ch.A.), Op.cit., pp.162-163.

1- ضريبة رأس المال في المدن الحرة.

2- ضريبتي التاج التي لها طابع خاص حيث تدفعها الطبقات الثرية وتتغير حسب الثروة والحاجة.

3- ضريبة التموين: كانت قد فرضت لتموين الجيش وقد فرضها السيفيريون على السكان الأهالي [1].

كانت الضريبة الأخيرة أي ضريبة التموين من أشد الضرائب إرهاقا للسكان المحليين، وترجع بدايات فرضها إلى الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس وقد أقرها هذا الأخير لاعتبارات أهمها أن الإمبراطور كما هو معلوم عينه الجيش لتولي منصب الإمبراطور كما أسلفنا ذكره وعليه فهو يرى نفسه ملزما لرد الجميل لهؤلاء الذين أوصلوه إلى سدة الحكم، أو لعله يكون قد قطع أو يقطع وعودا للجند يمنحهم امتيازات كلما كان بحاجة ماسة إلى مساعدة الجيش، وتذكر بعض المصادر أن سيفيروس كان قد وعد الجند برفع رواتبهم، ولتحقيق ذلك أقدم، على مصادرة المحاصيل الزراعية وعلى رأسها القمح في نوميديا والذي لم يكن لروما أن تستغني عنه على ما يذكر أحمد البحيصي [2].

إذن تمكن سيفيروس من خلال رفع الضرائب على الطبقات الدنيا من جمع ثروة كبيرة سير بها الإمبراطورية طوال حكمه وعرفت رخاء كبيرا في المجال الاقتصادي[3] لكن على عكس ذلك تماما بالنسبة لخلفه كراكلا، فقد أنهك خزينة الإمبراطورية بتبديده للأموال التي تركها والده، ولتغطية العجز لجأ إلى الرفع من قيمة الضرائب المفروضة على الأثرياء وعلى رأسها ضريبة التاج التي كانت تفرض على عاتق الطبقات الأرستقراطية،

---

(1) Marquardt(J.), Op.cit., p.197

(2) أحمد البحيصي، المرجع السابق، ص ص 56-57.

(3) Petit (P.), op-cit, p.75.

ليس فقط هذا الإجراء بل يمكن أيضا أن ندرج في هذا السياق إصداره أي الإمبراطور كراكلا لمرسوم تعميم حق المواطنة الذي أقل ما يقال عنه أنه قانون وضع كوسيلة لجمع الأموال من السكان النوميديين على ما يذكر بعض المؤرخين[1].

2- الضرائب غير المباشرة:

لعل اهتمام الرومان بالضرائب غير المباشرة لم يكن ذا شأن مثل اهتمامهم بالضرائب المباشرة، وقد تجسدت ذلك في الرسوم الجمركية التي مثلت المصدر الرئيس لهذا الصنف الضريبي، وقد شملت هذه الضرائب رسوما بحرية وأخرى برية وأنشأت السلطات الرومانية محطات لجباية تلك الرسوم في كل مقاطعات الإمبراطورية الرومانية[2].

نجد أن ضريبة الأربعية الإفريقية أهم الضرائب غير المباشرة في الولايات الإفريقية بما فيها نوميديا ولكنها تبقى محل خلاف بين المؤرخين في تحديد مفهومها وخلفياتها إلا أنه هناك من يعتبرها مكونة من أربع إتاوات مختلفة من بينها ضريبة البورتوريوم الإفريقية إلا أن البعض يحددها كما يلي:

1- ضريبة أو رسم العبور.
2- ضريبة أو رسم على حق الرعي.
3- ضريبة أو رسم العشور.
4- ضريبة أو رسم الأراضي العسكرية[3].

---

(1)- يذكر أحمد البحيصي أن مرسوم كراكلا الصادر سنة 213م كان الهدف منه هو أن يظهر الإمبراطور بمظهر القائد، ونعلم يضيف البحيصي أن كراكلا كان إمبراطورا فظا غليظ الطباع وحقود، ويشير إلى أن المرسوم كان أساسا موجها للسكان لمضاعفة الضرائب بتعميم حق المواطنة الرومانية على السكان الأفارقة لكن الظروف المحلية جعلت من هذا المرسوم حبرا على ورق بسبب على ما يبدو الرفض المحلي له من خلال التمردات العسكرية...أنظر: أحمد البحيصي، المرجع السابق، ص.59.

(2)- Cagnat (R.), Etude historique sur les impôts indirects chez les romains jusqu'aux invasions des barbares, imprimerie nationale, paris, 1882, pp.1-8.

(3)- Julien (Ch.A.), Op.cit., p.164.

وتفيد بعض النقوش التي عثر عليها في بعض المدن النوميدية على وجود محطتين للبورتوريوم الإفريقي الأولى هي محطة سكيكدة، (Russicada) والثانية هي محطة العلمة (Ad.portum) ولعل هذه الأخيرة هي التي قام السيفيريون بتحويلها إلى مدينة زراي (Zaraé) سنة 202م، أي أثناء حكم الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس[1] ونظرا للأهمية الخاصة التي كانت توليها السلطة الرومانية لجباية الضرائب، فقد أوكل الأباطرة السيفيريون عمليات الجباية في المقاطعات الإفريقية بما فيها نوميديا إلى حاكم الولاية أو المقاطعة في بداية الأمر ثم جاءت الرغبة في تحصيل أوسع للضرائب فأوكلت السلطة عملية الجباية إلى مؤسسات خاصة يسيرها أصحاب أموال وكبار التجار الرومان الذين أخذوا على عاتقهم بتكليف من السلطة تحصيل وجمع الضرائب من مختلف القطاعات الإنتاجية بالمقاطعة ليتم تحويل المبالغ إلى الخزينة الإمبراطورية بمختلف فروعها[2].

إيرادات هذه الضرائب غالبا ما كانت لها قطاعاتها بالإضافة إلى مصاريف الجيش والأشغال العمومية هناك قطاعات هامة أولى لها الأباطرة السيفيريون عناية فائقة كالمعابد التي كانت مصاريف ترميمها وأجور كهنتها وتكاليف تقديم الأضاحي والأعياد المقدسة التي تقام بها، كل تلك المصاريف كانت على عاتق الخزينة[3].

---

(1) -Cagnat (R.), Etude Historique...,p.8.

(2)- لقد أولى الرومان عناية خاصة بجباية الرسوم الأربعية الإفريقية العمومية فقد خصص لها موظف خاص بذلك فقد خصصوا لها سيفروس وكيلا للرسوم، وأنشأ مكانت عدة في المقاطعات الإفريقية بلغ عددها خمسة عشر مكتبا منها 06 مكاتب في نوميديا هي مكاتب (وسيكادا (سكيكدة)، شولو (الفل)، مكتب آديورتوم (العلمة)، زاراي (Zarae)، كويكول (جميلة) ثم مكتب لمبازس (تازولت) شرف عليها وكيل الرسوم الأربعية الإفريقية العمومية والذي يسميه ر.كانيا (R.Cagnat) مدير الرسوم الأربعية الأوبقية العمومية (Canducteur Quattu or Africae) لمزيد من المعلومات أنظر:

-Cagnat (R.), Etude historique..., pp92-95.

(3) -Marquardt (J.) op-cit, p.105.

هذا وقد نشرت عبادة الإمبراطور بنوميديا أثناء فترة السيفيريين بشكل لافت، وقد أنشأت العديد من المعابد بالمدن النوميدية لعبادة الإمبراطور كما شيدت للأباطرة أضرحة شرفية ما تزال آثارها في المدن النوميدية على غرار تاموقادي (تيمقاد)، كويكول (جميلة) دوقة (Dogga)، ولمبازيس (تازولت)، كما هو معلوم فقد انتشرت في نوميديا عبادة آلهة من أصل إفريقي تمت رومنتها كالإلهين: ساتورنوس وكايليستين[1].

5- أهداف الإصلاحات السيفيرية وانعكاساتها:

انطلاقا مما أو ردناه فيما سبق فإن الإصلاحات التي قام الأباطرة السيفيريون من أولهم الإمبراطور سيبتيموس إلى آخرهم الإمبراطور الإسكندر هي سلسلة متكاملة من الإجراءات والقوانين التي أصدرها هؤلاء الأباطرة وهي مكملة لبعضها البعض، وكانت في مجملها تهدف إلى خدمة الإمبريالية الرومانية التي بلغت أوجها أثناء فترة حكم الأباطرة السيفريين ومكنت بشكل كبير لسياسة الرومنة في منطقة الشمال الإفريقي[2].

ورغم أنه لم يصلنا من تلك النصوص المتعلقة بالإصلاحات تلك إلا القليل وهو ما دونه المؤرخون المعاصرون لتلك الفترة أمثال هيروديانوس وديون كاسيوس، زيادة على بعض النقوش التي تم اكتشافها في مناطق مختلفة من المقاطعات الرومانية في شمال إفريقيا، فإن تلك الإصلاحات كانت قد شملت تنظيمات وقوانين عسكرية وإدارية ثم مالية واقتصادية بالإضافة إلى الإصلاحات الاجتماعية، كل هذه الترسانة من القوانين والإجراءات كانت في خدمة المجتمع الروماني والأسرة الحاكمة (السيفيرية) بصورة

(1) -Dion Cassuis, Lxxvi, 16.3.

(2) -Leglay (M.), Rome Grandeur et Chute de L'empire, T.2, éd. Perrin, paris, 1992, pp.344-345.

خاصة[1] وللحد من صلاحيات مجلس الشيوخ الذي كان يضايق الإمبراطور سيبتيموس سيفيريوس فقد استبدله بالمجلس الإمبراطوري الذي عين فيه مشرعين كبار ومختصين في القوانين وقطاعات مختلفة يسهرون على استصدار القوانين في ظل الولاء التام للإمبراطور[2].

لم يكتف السيفيريون وعلى رأسهم سيفيروس بذلك بل نجد هذا الأخير يجعل الحكم وراثيا في أسرته، فنجد ابنه كراكلا قد دعم القوانين التي أصدرها والده بقانون المواطنة الذي أشرنا إليه سابقا، فكان يهدف من وراءه إلى توجيه ضربة إلى كبار مجلس الشيوخ والطبقة الأرستقراطية التي كانت تزعجه بإستلائها على الثروة بأقاليم الإمبراطورية[3] من بين الأهداف التي سعى السيفيريون إلى تحقيقها من خلال الإصلاحات، نجد أنهم حاولوا تركيز سياسة الهيمنة ونشر الرومنة، التي نسج خيوطها المشرعون الرومان، منذ احتلالهم للأرض النوميدية، وعليه فقد ركزت الإصلاحات على مد خط الليمس الثاني وتعزيز بمراكز دفاعية للتصدي للبدو والرحل المنتقلون بمواشيهم بين المناطق السهبية والتلية النوميدية والجيتولية بحثا عن الكلأ لأغنامهم ومواشيهم، الأمر الذي ضايق هؤلاء السكان وجعلهم يتزحزحون نحو الصحراء، ويهاجمون من حين لآخر كلما توفرت لهم الظروف السلطة الرومانية ومراكز حراسة خط الليمس الذي أوكلت مهمة بناءه وحراسته إلى الجنود السوريين الذي استقدمهم الرومان وعززوا بفرقتهم المساعدة حربهم ضد السكان المحليين في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية نظرا للتشابه الكبير في التضاريس

(1) Dion Cassius, L XXIV, 1.2.

(2) Rossier (CH.), precis de l'Histoire Romaine,2eme édition, paris, 1830,p.51.

(3) Leglay (M.), Rome...,T.2,p.345.

والمناخ بين مناطق استقدامهم (تدمر، حلب، حمص وغيرها من المدن السورية) والمناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية من نوميديا[1].

أيضا من بين الأهداف التي تم التوصل إليها من جراء تلك الإصلاحات إنشاء مزارع واسعة للجنود المتقاعدين والمهاجرين من جاليات مختلفة، إغريقية أو إيبيرية وغيرها على حساب الفلاحين والسكان المحليين، عموما مما سيؤدي بالضرورة إلى ترحيل الأهالي إلى الصحراء أو قمم الجبال، الذين رغم ما حل بهم إلا أنهم كانوا على الدوام مصدر قلق، وتذمر للسلطة الرومانية، نظرا لما كانوا يحدثونه في مراكزهم أو مزارعهم من تخريب أو نهب وسلب ثم قيامهم بثروات كلما توفرت الظروف[2].

لقد عمد السيفيريون إلى توجيه الاقتصاد النوميدي لاسيما الإنتاج الزراعي خاصة مادتي القمح وزيت الزيتون إلى خدمة الاقتصاد أو المجتمع الروماني فالمادتين المذكورتين كانت تتزود بهما روما مجانا من المنتوجات النوميدية[3].

رغم أن قانون كراكلا رفع الطبقة البرجوازية النوميدية إلى المواطنة الرومانية إلا أنه في نفس الوقت أبقى طبقة الفلاحين الصغار والبدو، والفقراء والمعدومين ضمن طبقة التابعيين الذين لاحق لهم في المواطنة الرومانية وعاملهم القانون معاملة المهزومين[4].

وإذا ما تحدثنا عن التأثيرات الثقافية والحضارية للإصلاحات السيفيرية فإننا نجد أن فترة السيفيريين كانت من أشد الفترات التاريخية خطورة على الثقافة المحلية النوميدية

(1) Carcopino (J.), Les Noumiri syriens de La Numidie Romaine, Syria, T.14, 1933, p.22.

(2) Benabou (M.), La Resistance..., pp.160-163.

(3) Albertini (E.), L'Afrique Romanie..., p.26.

(4) Leglay (M.), Rome...,T.2, p.345

ففي فترة حكمهم ترسخت فكرة تخطيط المدن وبناء المسارح والمعابد وفقا للنمط العمراني الروماني.

وفي هذا الصدد يشير الباحثان: ف.دوكري (F.Decret) و م.فنطر (M.Fantar) إلى أن السيفريين قضوا نهائيا على الكتابتين الليبية والبونية الجديدة اللتين كانتا مستخدمتين وسائدتين قبل أن يفرض الأباطرة السيفيريين اللغة اللاتينية على المنطقة المغاربية، ويذكر القديس أوغسطينوس في هذا الصدد أن الرومان سيطروا على الشعوب بالقوة العسكرية فرضوا على المهزوميين إرادتهم السياسية ثم فرضوا أيضا عليهم لعنتهم[1].

وعلى العموم فإن فترة القرنين الثاني والثالث كانت بمثابة البركان الذي يضطرم لينفجر كلما توفرت شروط ذلك، ويظهر ذلك بوضوح في الثورات التي واجهها الإمبراطور الإسكندر سيفيروس في منطقة الليمس النوميدي جنوبا، وكل ذلك يكون عبارة عن مقدمة لما سيقوم به الثوار الريفيون إلى جانب الحركة الدوناتية في الأرياف النوميدية خلال القرن الرابع الميلادي.

(1) -Decret (F.) et fantar (M.) . op.cit., p.175.

الفصل الرابع: التدهور الروماني وانتشار المسيحية

1- الديانة في شمال إفريقيا قبل ظهور المسيحية

2- الشمال الإفريقي يعتنق المسيحية

3- الحركة الدوناتية في الشرق النوميدي

أ- مفهوم الحركة الدوناتية

ب- نشأة الحركة الدوناتية

ج- الفكر الدوناتي

د- موقف روما و الكنيسة الكاثوليكية من الحركة الدوناتيه

1- موقف الإمبراطور قسطنطين 306-337م

2- موقف الكنيسة الكاثوليكية

4- الانشقاق الديني والصراع بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية

5- الدوناتية تتحالف مع الثوار الريفيين

6- أحداث باغاي وتحول سنة 347 م

الفصل الرابع: التدهور الروماني و انتشار المسيحية

1. الديانة في شمال إفريقيا قبيل ظهور المسيحية:

خلال القرنين الأول والثاني للميلاد لم يكن للمسيحية أي أثر يذكر في بلاد المغرب القديم، وقد وصف بعض المؤرخين المنطقة بأنها كانت تمثل في هذه الفترة صفحة بيضاء في تاريخ حركة التنصير وهو ما يدل على أن هذه الديانة الجديدة ظلت مجهولة، يكتنفها الغموض منذ ظهورها في بلاد المشرق(فلسطين) تحديدا"[1]

وقبل التطرق إلى انتشار الديانة المسيحية في بلاد المغرب عموما والشرق النوميدي على وجه الخصوص، لابد من الإشارة إلى الديانات المحلية التي كانت منتشرة بالمنطقة قبيل ظهور المسيحية وانتشارها، إلا أن الملاحظ على ذلك هو صعوبة تناول الموضوع بشكل دقيق نظرا لعاملين أساسين هما:

1. أولا: أن المصادر المتعلقة بأصول المعتقدات بكامل الشمال الإفريقي نادرة ويشوبها كثير من الغموض والتناقض.

2. ثانيا: أن بلاد المغرب قد عرفت تنوعا وتمازجا في المعتقدات بصورة يصعب معها الوقوف على طبيعة تلك الديانات، و حقيقة انتشارها قبل ظهور المسيحية، وبخصوص المصادر، فإن أقدم النصوص وأكثرها أهمية هي نصوص هيرودوتوس التي تضمنت أخبارا تفيد في جملتها أن الليبيين القدامى عبدوا الشمس والقمر و غيرها من

[1]- محمود عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضاراتها، ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002، ص.29.

الظواهر الفلكية، وكانوا يقدمون لها القرابين والأضاحي، ويتجلى في ذلك تـــأثير الشـــرق بالخصوص في المعبودات التي جاء بها التجار الفينيقيون إلى إفريقيا[1]

ولقد أيدت الوثائق الأثرية رواية هيرودوتوس، حيث تم العثور على تمثال كبش يحمل بين قرنيه قرص الشمس، والكبش كما هو معلوم يرمز للإله المصري أمون رع إله طيبة.

وقد كان الليبيون يعتقدون بوجود إله يسمونه "عمون"، ولكن يرون أنه ليس له وجود مستقل، وإنما هو روح تحل ببعض الكائنات مثل: الشـــمس والقمـــر، والرعـــد، والبـــرق، وغيرها، لذلك كانوا يعبدون هذه المظاهر، وكانت بلاد المغرب القديم مأهولة بأقوام مختلفـــة اللغات و العادات، و الديانات، فعبادة الكبش مثلا يعتقد أن لها صلة بعبادة الإلـــه المصـــري (أمون)[2]، كما ذكر الهلينستيون المتأخرون أن واحة كانت مركزا مقدسا يتوافد عليه كبـــار أعيان الإغريق، لاستطلاع الغيب والتعرف على ما تكنه لهم الأيام المقبلـــة، لاعتقـــادهم أن آمون هو زيوس كبير آلهة الإغريق، وروى هيرودوتوس أن: بعض القبائـــل الليبيـــة مثـــل المخليس و الأوزيس كانت تعبد آلهة الإغريق أثينا, وبحلول الفينيقيين بالشـــمال الإفريقـــي، تغيرت الديانة الليبية فتأثرت بالديانة الشرقية الكنعانية، ومن مظاهر التأثر أن الأهالي تسموا

(1) -Gsell (S.),Hérodote Textes relatifs à l'histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Typographie Adolphe Jourdan, Alger,19150,p.185

(2) -عبادة الإله آمون انتشرت في بلاد المغرب القديم ويعتقد أنها انتقل من مصر باعتبارها الديانة الأساسية فـــي واحـــد سوى غرب مصر، بالإضافة إلى منطقة طيبه في الصعيد المصري، ويتمثل الإله آمون في كبش يحمل فوق رأسه قرس الشمس وقد وجدت صور له في رسومات الصحراء الجزائرية، كما وجد في الكتابات المصرية باسم حـــور وحـــر أي العالي والبعيد، وجرى في المعتقدات المصرية والمغاربية بأن آمون هو الذي يرعى أمورهم ويمدهم بالحياة...لمزيد من المعلومات أنظر:

-Leglay (M.), Saturne Africain, T.Histoire, éd. De Bocard, paris, 1966, p.425.

بأسماء دينية منسوبة إلى الآلهة مثل: مصتنبعل الذي يعني هدية بعل[1] والواقع أن الديانة الفينيقية كانت مزيجا من المعتقدات الشرقية، كما تحمل في مضامينها ما يماثل الديانات الإغريقية الرومانية، حيث كان المعبود القرطاجي الأكبر بعل حمون[2] مثلا يماثل كبير آلهة الإغريق زيوس(Zeus) وأكبر آلهة الرومان جوبيتر(Jupiter)، وكانت الإلهه تانيت بني بعل التي هي في الأصل عشتار الفينيقية تماثل الآلهة هيرا (Hera) عند الإغريق وكليستريس(Caellestris) الرومانية، كما كان ملقراط، (إله المدينة) الفينيقي- القرطاجي، في مقام هيراقليس(Héraclés) الاغريقي وهرقل(Herul) الروماني وأشمون الفينيقي- القرطاجي في درجة أسكليبيوس(Ascépios)، عند الاغريق وأسكولاب (Esculape) عند الرومان، مما يؤكد أن دخول الفينيقيين إلى بلاد المغرب كان بداية لانفتاح الواجهة الشمالية من إفريقيا على عالم المتوسط بمختلف تأثيراته الحضارية.[3]

وقد جسدت الديانة الشرقية الوثنية، ميل الليبيين إلى التعلق بعبادة الظواهر الفلكية التي كانت معروفة عندهم. وعلى الرغم مما كانت تتطلبه المعتقدات الشرقية من تكاليف غالية الثمن كالأضاحي البشرية، فإنها قد وجدت استجابة في نفوس الأهالي فاعتنقوها متحملين تكلفة شعائرها الباهظة، فالتضحية بالنفس هي تزكية لها، لأن ذلك يلحقها بعالم

---

(1)- حملت الكثير من الأسماء الفينيقية والقرطاجية والأسماء النوميدية المتأثرة بالثقافة البونية اسم بعل مثل: حنبعل أو هاني بعل، أو مصتنبعل أو عزربعل وكلها لها معانيها في الثقافة البونية مثل: حظي بحظوة بعل أو هبة بعل وهدية بعل ...، الخ لمزيد من المعلومات أنظر:

-Fantar(M.), Carthage, la prestigieuse cité D'Ellisa, imp. S.T.A.G., Tunis, 1970, p.161.

(2)- بعل-حمون: هو اسم مركب من جزئين: "ب ع ل" و "ح م ن" وهو إله فينيقي جلبه الفينيقيون معهم عند قدومهم إلى المغرب القديم فأصبح مع مرور الوقت إله قرطاجيا ويعني لغة سيد المبخرة أي نار الجمر الحامية التي توقد في المبخرة وهو كذلك سيد الموقد الذي تنبعث منه الحرارة، كما يعني أيضا حرارة الشمس، أنظر:

-غانم محمد الصغير، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص ص. 86- 88.

(3)- شنيتي محمد البشير ، التغيرات...، ص،258.

الآلهة المفضل، وهنا تتجلى قوة الإيمان التي تميز بها الإنسان المرتبط بالوثنية ومدى تفانيه في إرضاء آلهته [1].

لقد كانت التضحيات البشرية من الشعائر التي مارستها المجتمعات الوثنية بجهات كثيرة من حوض البحر المتوسط مثل روما التي ظل العمل فيها بهذه الشعيرة إلى غاية القرن الأول قبل الميلاد، وكانت عملا شاقا قد لا تقوى على تحمله النفوس البشرية كما أنه كان لا تطيقه المشاعر الإنسانية، ومن ثم أقلعت على ممارسته شعوب الشرق بمن فيهم الفينيقيين، في حين استمرت تلك الشعيره في مدينة قرطاجة وعالمها البوني.

وتشير بعض النصوص إلى أن ملك الفرس داريوس– دارا (Darius-Dara) دعا القرطاجيين للامتناع عن هذه العادة , كما أن جيلون(Gelon) ملك سيراكوزة طالب القرطاجيين أن يكفوا عن تقديم الأضاحي البشرية لمعبودهم بعل حمون كشرط أساسي قبل الإمضاء على معاهدة السلم التي طلبها منه القرطاجيون بعد هزيمتهم في هيميرا (Hemira)عام 480 ق.م، غير أنهم لم يتخلوا عن هذه الشعيرة المفضلة في نظرهم لدى بعل حمون[2] لكن تلك الأضاحي البشرية بدأت تعوضها الأضاحي الحيوانية، فكان المعنيون يقدمون الخرفان قربانا للإله لبعل حمون، بدلا عن تقديم أطفالهم البواكر، وقد عرفت هذه العملية بـ: ملكومو (Malkomo). وحسب العبارة المنقوشة في الأنصاب الرومانية بـ : نقاوس (Necivebus) "**روح بروح ودم بدم وحياة بحياة**"، فإن بعل حمون قد قبل هذا القربان[3]، وليس هناك أدلة تشجع على القول بأن الوثنية الشرقية قد انتشرت في جميع أنحاء المغرب القديم، بحيث تبناها الأهالي فتخلوا عن ديانتهم القديمة،

---

[1]– محفوظ قداش، المرجع السابق، ص.33.

[2]– محمد البشير شنيتي، التغيرات...، ص ص.261– 262 .

[3]– شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص.121– 122.

غير أنه يمكن القول بأن مناطق انتشار الحضارة البونيقية كانت مجالا أيضا لانتشار الديانة الشرقية، هي المناطق التي غمرتها المعتقدات الرومانية بسرعة أثناء الاحتلال[1] ، حيث لم يقتصر الأفارقة على استعمال لغة المنتصر، بل تبنى الكثير منهم معتقداتهم الدينية التي كانت جزءا لا يتجزأ من الحضارة الرومانية [2]، وقد بذلت روما جهودا كبيرة في نشر الديانة الرسمية، وهي عبادة الإمبراطور، وأقامت لها جهازا رسميا يتكون من مجلس الكهان الأعلى المقيم في عاصمة المقاطعة، وتركزت شعائر هذه العبادة في الاحتفالات التي تقام تقديسا للإمبراطور و إقامة المآدب والمهرجانات، غير أن هذه الديانة الرسمية لم يقدر لها أن تتغلغل في نفوس الجماهير ومن ثم ظل الجميع محتفظا بمعتقداته القديمة ومخلصا لآلهته التي يفضلها ويقدسها [3].

وبصفة عامة فإن خريطة المعتقدات بالمغرب الروماني، قبل ظهور المسيحية كانت معقدة الخطوط متداخلة الألوان، حيث تعايشت في المغرب القديم معتقدات متباينة الأصول، فكانت الديانة الرسمية السائدة ظاهريا، هي عبادة الإمبراطور التي تركزت في المدن والأقاليم المتأثرة بالحضارة الرومانية(المرومنه)، وقد شملت خريطة المعتقدات إلى جانب الديانة الوثنية معتقدات شرقية بونيقية، تواصل اعتناقها من طرف أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا في المدن و الأرياف، بالإضافة إلى المعتقدات الليبية المحلية التي ارتبطت بالسكان المقيمين خارج منطقة النفوذ الروماني، كالأقاليم الجبلية المعزولة

(1)- محمد البشير شنيتي، التغيرات...، ص.262.

(2)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 253.

(3)- محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1959، ص.37.

والسهوب والصحراء، وهو ما تشهد به النقوش الجنائزية والنصب التذكارية المكتوبة بالليبية أو اللاتينية، التي تم العثور عليها في مختلف المناطق [1].

أما الديانات السماوية، فكانت اليهودية هي الديانة السماوية الوحيدة التي عرفتها بلاد المغرب قبل ظهور المسيحية وانتشارها، وقد كانت لليهود علاقات مع روما منذ القرن الثاني قبل الميلاد، كما كان زعماء اليهود قد عرفوا كيف يظهرون الولاء لقيصر، خلال الحرب الأهلية التي عرفتها روما، فقدر لهم الإمبراطور أغسطس(Auguste) فيما بعد موقفهم هذا، وبدا نحوهم متسامحا لين الجانب في بعض الأحيان[2].

أما المعتقدات المختلفة التي كانت سائدة في بلاد المغرب كانت كلها تتلخص فيما يبدو حول الديانة الفينيقية التي كانت توحي بأن إيمان الناس بإله واحد أكبر من غيره، وهو الذي كان يرمز إليه ببعل حمون ، ثم ساتورنوس الروماني الإفريقي، ويرى بعض المؤرخين أنه كان لهذه الظاهرة دور كبير في تسهيل مهمة المبشرين بالديانة المسيحية، وهي دين يقوم في أساسه على التوحيد [3].

(1) ¯Gsell (S.), L'Algrie dans L'Antiquité, imp. Lib. éd. Alger, 1903, pp.82-84.

(2) ¯Decret (F.) et Fantar (M.), Op.cit., p.278.

(3) ¯Leglay(M), « à la recherche d'icosium »,Ant. Afr,111,1968, p.481.

3. الشمال الإفريقي يعتنق المسيحية

لقد بدأ التبشير بالديانة المسيحية انطلاقا من المدن والموانئ، خصوصا بقرطاجه، ثم توسعت عمليات التبشير نحو المناطق الداخلية، منذ أواخر القرن الثاني للميلاد[1].

وظهرت المسيحية بشكل واضح في بداية القرن الثالث بـ:(هبون) وانتشرت بسرعة في ظل التفاعل الكبير بالتأثير السامي الذي يحمل في طياته فكرة التوحيد والمساواة بين بني البشر[2].

رغم أن انتشار المسيحية كان في المراكز الحضارية التي كانت خاضعة للسلطة الرومانية إلا أنه لم يعثر المؤرخون على أدلة كتابية أو مادية بشرية تشير إلى تاريخ بداية ظهور حركة التنصير في شمال إفريقيا، ولعل أشهر النصوص التاريخية التي ذكرت مبشري المسيح من الحواريين في إفريقيا هو نص لابن خلدون استند فيه إلى مؤرخين مسيحيين لم يأت على ذكر أسمائهم، وقد جاء في النص:"**وعند علماء النصارى أن الذي بعث من الحواريين إلى روما بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حواريا، وإلى السودان والحبشة متى العشار وأندراوس وإلى أرض بابل والشرق توماس، وإلى أرض أفريقية فلبس، وإلى أفسس قرية أصحاب الكهف يوحنا، وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا، وإلى أرض**

---

(1)- عرف الشرق النوميدي انتشارا قويا للمسيحية خلال النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد، وقد أشار ترتيليان(TERTULIEN) الذي عاش في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد، إلى أنه كانت تتواجد أعدادا كثيرة من المسيحيين في المنطقة، وينتمون إلى جميع طبقات المجتمع النوميدي آنذاك ودعم ذلك بمقولته الشهيرة: " نحن لم نخلق إلا البارحة ومع ذلك أصبحنا نملأ كل مكان" وهي مقولة من خطاب ألقاه سنة 197 م ... لمزيد من المعلومات أنظر:

- شارن شافية وآخرون، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر،2007، ص.230.

(2)- سعيد دحماني، من هيبون-بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضاري، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، ط1، 2007،ص.51.

العرب والحجاز برتلوماس، وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني"[1]. كما هو واضح مما جاء في نص ابن خلدون، فإن بلاد المغرب قد حل بها اثنين من الحواريين هما،" فليبس الذي نزل في منطقة البروقنصلية المذكورة سابقا وشمعون القناني الذي نزل في ليبيا، كما ذكر ترتليان الذي كان يعرف بيت المقدس على ما يبدو وكان يقتبس باستمرار من الأناجيل [2].

ويذكر ترتليان في أحد النصوص التي نسبت إليه أن الكثير من الجيتوليين والمور كانوا قد اعتنقوا المسيحية خلال القرن الثاني الميلادي، وهناك من المؤرخين من حاول التأكيد على أن اعتناق المسيحية في الشمال الإفريقي يعود الفضل فيه إلى العناصر الشرقية منها اليهود على وجه الخصوص[3]، وأنها انتشرت بصورة عفوية لدى السكان المحليين وليس على يدي البعثات التبشيرية التي كانت ترسل بها كنسية روما من أجل تنصير الولايات الرومانية، على الرغم من أن كنيسة روما لم يكن لها دور كبير في هذه العملية لأنها كانت كنيسة ثانوية إذا ما قورنت بكنيسة قرطاجة، التي يجهل تاريخ تأسيسها بالضبط[4]، حيث أن أقدم أسقف عرفته كنيسة قرطاجة كان الأسقف أجريبينوس (Agrippinus) الذي كان معاصرا لتيرتيليان، وكان قد أشرف على عقد مجمع كنسي سنة 215م بقرطاجة، لدراسة مشكل الهراطقة الذين تراجعوا عن هرطقتهم، في سنة

---

(1)- عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان العبر، مج.2، دار الكتاب اللبناني،1966، ص.294.

(2)- روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، دار منهل الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999، ص.122.

(3)- Decret (F.) et Fantar (M.), Op.cit., p.278.

(4)- L'Abbé (M.) et Peltier(C.), Dictionnaire de Conciles-Catholiques, Paris, 1847, p.460.

217م، أشرفا على مجمع كنسي آخر في المدينة ذاتها ضم سبعين (70) أسقفا من البرو قنصلية ونوميديا[1].

يلاحظ أنه منذ أواسط القرن الثاني الميلادي عرفت المسيحية تغلغلها في أوساط سكان الشمال الإفريقي، حيث تهافت هؤلاء على اعتناقها باعتبارها ديانة توحيدية، وفي هذا الصدد يصرح القديس سيبريانوس (Cyprianus)، في المجمع الكنسي الذي عقد بقرطاجة قائلا: "إن الملحدين مهما عشقوا الأصنام، ولكنهم يعترفون بالله الأب الخالق، وأن الكنيسة الكاثوليكية واحدة..."[2].

وفي مثل تلك الأوضاع التي عرفها مجتمع المغرب في ذلك الوقت، حيث كثرت العبادات الوثنية التي عرفت بها الحضارة الرومانية والتعصب لها، تغلغلت المسيحية إلى المجتمع في مدينة قرطاجة[3]، التي كانت تحت الحكم الروماني، وجرى نقاش طويل حول طريقة انتقال المسيحية إلى الشمال الافريقي، وذهب المؤرخون في هذا الموضوع مذاهب شتى، إلا أنهم أجمعوا على دور التجار الشرقيين في نقل هذا الدين الجديد إلى المدن الساحلية الكبرى[4]. وقد مثلت سوسة وشرشال وقرطاجة المراكز الأولى للتبشير المسيحي في هذه المنطقة[5] باعتبارها واقعة على الساحل، وانطلاقا من نصوص ترتليان فإن عدد المسيحيين كان مرتفعا في القرن الأول الميلادي، ليس في إفريقيا البروقنصلية فحسب، بل

---

(1) -Larthage(E.), « Romaine Chrétienne, Vandale et Bizantine », R.S.A.C , Vol. 12,1923-1924, pp.109-11.

(2) - Brisson(J,P.), Autonomisme et Christianisme dans L'Afrique Romane, Paris, 1958, p.71.

(3)- شارن شافية، المرجع السابق، ص.232.

(4)- شنيتي محمد البشير، التغيرات...،ص ص.265-266.

(5)- عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي، (مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية)، ع.30، جامعة بابل، العراق، 2016، ص ص.38-39.

عرفت نوميديا وموريطانيا هي الأخرى انتشارا كبيرا للمسيحية بها[1]. ولم يكن معتنقي الدين الجديد من البؤساء فقط، وإنما شمل شرائح المجتمع المختلفة من: أغنياء ونبلاء وتجار وحرفيين ومزارعين، لاسيما الصغار منهم، وكذا عبيد المدن والأرياف، وقد تراوح عددهم في الفترة الممتدة من ما بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد بين ثلاثمائة ألف وثلاثمائة وخمسون ألف مسيحي، ينتشرون على النحو التالي: 200ألف إلى 230ألف بالبروقنصلية، و80ألف إلى 100ألف بنوميديا ، و15ألف إلى 20ألف بموريطانيا[2]، بالإضافة إلى أعداد أخرى تغلغلت في الأرياف. وفيما يتعلق بانتشار المسيحية في إفريقيا احتفظت الوثائق بما يؤكد أن المعتنقين الأوائل للمسيحية كانوا من الأهالي الأكثر تضررا بنتائج التوسع الروماني في البلاد، فضحايا عام180م، كانوا من الفقراء المضطهدين كما كان بين شهداء (Martyres) سنة203م، ببلدة (طبوريةThuburba)، عبدان ورجلان من الفقراء وفتاة كانت تدعى: ف . بيربتوا (Vibia Perpetua)[3].

وحسب نصوص ترتليان فإن اضطهاد المتنصرين كان من طرف أنصار الديانه الوثنية قبل أن يكون من عناصر السلطة، وقد كان جمهور الوثنيين يبادر بحرق المتنصرين دون انتظار المحاكمة، كما كان يطالب بإعدام المسيحيين عن طريق الزج بهم إلى الوحوش في المسارح كي يتسلى بمناظرهم الدامية في المدرجات، رافضا دفن جثثهم في المقابر، ويتضح من هذا أن الضحايا كانوا من الطبقة الدنيا التي لا يحميها القانون و لا تحظى بسند إجتماعي، فقانون العقوبات الروماني كان يميز بين نوعين من الناس بناءا

(1) Decret(F.) et Fantar(M.), Op.cit., p.279.

(2)- خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،ع.12، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002، ص.80.

(3)- شنيتي محمد البشير ، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص.175.

على منزلتهم الاجتماعية فهو يبيح الحكم بالإعدام رميا إلى الوحوش على خلفية رميهم بتهم الإجرام من طبقة الوضعاء(Homeliores)، ولا يتيح بهذا النوع من العقوبة ضد مرتكبي جرائم مماثلة من أفراد طبقة الأشراف(Homestiores) وهو ما يؤكد أن جماهير المتنصرين كانوا في الغالب من طبقة الوضعاء [1].

وقد التزم معتنقو المسيحية الأوائل في المغرب القديم الصمت والسرية تجنبا لإثارة السلطة الرومانية التي سخرت كل الوسائل المتاحة واعتمدت كل الأساليب لفرض عبادة الإمبراطور، وقد كان المسيحيون الأوائل يمارسون شعائرهم بحرص شديد، حيث يجتمع هؤلاء في كل مرة بمنزل مختلف عن سابقه يتناقشون فيما توصلت إليه عملية التبشير، ويتذاكرون وصايا وتعاليم المسيح [2].

وعلى إثر تولي الإمبراطور كومودوس(Comodus)[*] الحكم مع منتصف القرن الثاني للميلاد، تزايد عدد معتنقي هذه الديانة وجهرهم بها، وترتب عن ذلك ازدياد واضطهاد السلطة الرومانية لهم، وهو ما يظهر جليا من خلال محاكمة مسيحي مدينة شيلي(Sellium) في 180م أي أثناء حكم الإمبراطور كومودوس، التي أعدم على إثرها اثنا عشر فردا منهم [3]– كما سبق ذكره– وكما هو الشأن في جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية تصادم المعتقد الديني الجديد بالمبادئ السياسية والدينية لمقاطعات الامبراطوريه،

---

(1)– شنيتي محمد البشير،التغيرات...، ص.270.

(2)– أندري إيماروجانين أوبواييي، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغر، بيروت، لبنان1964، ج2، ص.562.

(*)– كومودوس (Commode) هو أحد أشهر الأباطرة الرومان، خلف أباه مارك أورال (Marc Aurel) على رأس الإمبراطورية، امتدت فترة حكمه من 180م إلى 192م، تميزت فترة حكمه بالفوضى في التسيير والعنف الممارس ضد معارضيه والاغتيالات التي طالت أعداءه، كما عرف عهده حملات سلب ونهب طالت خزينة الإمبراطورية ...، للمزيد من المعلومات أنظر:

-Encyclopédie Generale,Larousse, T.1, pp.147-149.

(3)–Berthier(A.), L'Agerie et son passé, éd. A.T.S., Piecard, Paris, 1950, p.93.

فنتج عن ذلك صراع بين القوتين، فكانت هيبون (عنابة)، مثلا من المدن التي قدمت للكنيسة نصيبها من الشهداء وأهمهم القديس ثيوجنيس (Theogénes) أول أسقف بهيبون و36 مسيحيا آخرين قتلوا في شهر جانفي من سنة 259م، تحت حكم الامبراطور فالريانوس(Valérianus)[1].

وتحت التهديد بالاضطهاد سلم قساوسة ومسيحيون النصوص المقدسة للوثنين وسمي من سلم هذه النصوص تراديتوريس (Traditeurs) أي الخونة[2]. لم يلبث سكان الشمال الإفريقي أن تركوا النصرانية الكاثوليكية يوم اعتنقها الرومان كدين رسمي في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول سنة 312م، فانشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية، وكان تنصر السلطة أو بالأحرى تحالفها مع الكنيسة عاملا أساسيا في تفاقم الخلافات بين المسيحيين الأفارقة، إلى أن أصبح انشقاقا في صورة طائفتين دينيتين: طائفة تسير في فلك الدولة، تمثلها الكنيسة الرسمية، وطائفة معارضة لهيمنة السلطة وتجسدهاالكنيسة الدوناتية، التي تزعمها القديس دوناتوس(Saint-Donatus).

---

(1)- فاليريانوس أو فاليريان الأكبر (Publius Licinius Valerianus Augustus) حكم هذا الإمبراطور عرش روما ما بين سنتي 253 و260 للميلاد، عرف باضطهاده للمسيحيين وحروبه ضد أعداء الإمبراطورية شرقا وغربا، وقد أسر في إحدى معاركه التي قادها ضد جيش الإمبراطورية الفارسية والذي كان يقوده الملك الفارسي شابور (Shapur) الأول، وليموت فاليريانوس في أسره ببلاد فارس سنة 260م، لمزيد من المعلومات أنظر:

-Christol(M.), « La Prosopographie de la Province de Numidie de 253 a 260 et la Chronologie des Revoltes Africaines sous le Regne de Valerien et de Gallien »,Ant. Afr., N°. 10, 1976, pp.69-77.

(2)- عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، المرجع السابق، ص ص.40-42.

3-الحركة الدوناتية في الشرق النوميدي:

أ. مفهوم الحركة الدوناتية:

لقد درج المؤرخون، استنادا إلى مصطلح رجال الجدل الكاثوليكيين أمثال: أوبطا الميلي(Opta Milév) و أوغسطين (Augustin) على تسمية الحركة الدوناتية المناهضة للسلطة الرومانيه بالدوناتية، نسبة إلى دوناتوس أحد أعلامها و مؤسسيها الكبار الذي رفض الخضوع والانصياع لإرادة الإمبراطور مفضلا مقاومة أساقفة قرطاجة الذين فضلوا الانضواء تحت لواء السلطة الرومانية و نفذوا مطالبها و التزموا بالسير وفقا لمصالحها [1].

والحركة الدوناتية هي تيار ديني مستقل، معارض للسلطة الرومانية والكنيسة الكاثوليكيه الرسمية، حافظ على المبادئ الأصلية للمسيحية التي ضحى من أجلها الشهداء الأوائل، وتبرز في صورة تيار ديني مستقل رافض لجميع أشكال التعاون مع السلطة الرومانية القائمه، ممتنعا عن الامتثال لأوامر الإمبراطور، محافظا على المبادئ الأصلية التي أجمع عليها المنتصرون الأوائل وضحوا من أجلها [2].

وتعد هذه الحركة ذات طابع ديني شعبي ثوري راديكالي تتشكل من الفقراء والمعدمين والبؤساء والثوار المحليين والعبيد الضعفاء، ورفضت هذه الحركة التعاون مع السلطة والامتثال للإمبراطور الذي اتخذ من تنصره عاملا ووسيلة لبسط نفوذه في منطقة الشمال الافريقي عموام والشرق النوميديعلى وجه الخصوص [3].

---

(1) -Monceaux(P.), Histoire Litteraire de L'Afrique Chretienne Depuis les Origines Jusqu'à L'Invasion Arabe, T.1, Paris, 1902, IV, pp.23-30.

(2)- شارن شافية، المرجع السابق، ص.242.

(3)- عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، المرجع السابق، ص.40.

وبعد ذلك أصبحت الدوناتية حزبا وحركة فعلية بعد وفاة الأسقف مانسريوس وتعيين كايكيليانوس خلفا له[1]، وحسب ما جاء به المؤرخ: أحمد صفر، فإن الدوناتية كانت ثورة اجتماعية وحركة عصيان وتمرد ومقاومة في سبيل التحرير وتعبئة وتجنيد بالجملة ضد الإمبراطور وضد اللغة والثقافة اللاتينية، حيث استغل الدوناتيون غيرة أهل نوميديا والفوضى الاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك، فأصبحت حينئذ سلاحا قويا في يد المقاومين النوميديين للتخلص من نير الاستعمار الأجنبي[2]، وقد تكون الدوناتية محاولة استرجاع النوميديين لمصيرهم في الميدان الديني لتمهيد الطريق لاسترجاع مصيرهم السياسي، ولم يكن من محل الصدفة أن نمت هذه الحركة في قرن انفجرت فيه الانتفاضات وحركات المقاومة المسلحة، ضد الامبريالية الرومانية عبر جميع أنحاء إفريقيا البروقنصلية، ونوميديا السيرتية، وموريطانيا السطايفية وموريطانيا القيصرية[3].

ويذكر أندري بيريتي (André Berthier) أن: الدوناتية هي حركة إنفصالية نشأت بعد الاضطهاد المسيحي وقد أخذت اسمها من الزعيم الذي نظم الكنيسة الإفريقية المتمرد، وهو دوناتوس الديار السود، أو دوناتوس القرطاجي"، وبالتالي فإن الحركة الدوناتية تمتاز بصبغة دينية محلية، متمردة عن الحكم الروماني وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، حيث كان ظاهرها دينيا وباطنها سياسيا ترمي إلى تحرير نوميديا من ظلم الرومان وجبروتهم [4].

---

(1)- محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى،عين مليلة، الجزائر،ب.ت، ص.288.

(2)- أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959، ص.368.

(3)- سعيد دحماني، المرجع السابق، ص.52.

(4)- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص.28.

ب. نشأة الحركة الدوناتية:

أدى الصراع الذي عرفته الأوساط الدينية الإفريقية في القرن الرابع ميلادي، إلى ظهور انشقاق تجسد في انفصال مجموعة من رجال الدين عن باقي زملائهم من السلك الكهنوتي، ومن ثمة فظهور الدوناتية يتضح من من خلال كتابات رجال الجدل الكاثوليك، أن هؤلاء هم الذين أطلقوا على الكنيسة التي أسسها العناصر المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية اسم" الكنيسة الدوناتية"، نسبة إلى الأسقف دوناتوس(Donatus) [1].

وتعود جذور هذا الانشقاق إلى الفترة التي اشتدت فيها وطأة الاضطهاد الدقليديانوسي، عندما صدرت الأوامر الإمبراطورية بإحراق الكتب المقدسة، فاختلف موقف رجال الكنيسة من هذه التعليمات، وتباين سلوكهم بين سر وعلن وهوادة وعنف، فبعضهم آثر حياة الحرمان والضياع، فأسر بما تحت يديه من أسرار الديانة المسيحية، وآخر استمع للنغمة الإمبراطورية، فألقى في النار كتب أخرى تنعتها الكنيسة بالهرطقة، وثالث آثر الحفاظ على العز والجاه، فسلم ما لديه للحريق من كتب مقدسة وأودع ما تبقى من إيمان وسعى إلى الأوثان يضحي على مذبحها وآخر رفض الإذعان وناوأ جبروت السلطان فلقي الشهادة [2].

فقد بلغ هذا الاضطهاد بالشرق النوميدي فيما بين295م و299م أوجه، حيث سقط المئات من النوميديين و امتد إلى مويطانيا حيث سقط فيها العديد من الشهداء، في أثناء

---

[1]- دوناتوس(DONATUS): من قرية الديار السود(Casae Nigras) الواقعة شمال باتنة التابعة لمقاطعة نوميديا والذي كان له دور كبير في تأسيس هذه الحركة المعروفة باسم الحركة الدوناتية والأسقف دوناتوس القرطاجي(Donatus Carthaginensis) الذي وضع لها الأسس التي سيرتها ونظمتها ..أنظر:

– خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي...، ص.31.

[2]- رأفت عبد الحميد، الدولة الكنسية، ج1، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1995، ص.145.

محاكم التفتيش التي نصبها الإمبراطور دقليديانوس لمحاكمة كل من اعتنق الديانة المسيحية[1].

وخير من وصف هذا الاضطهاد الأستاذ الدكتور أحمد شلبي، حيث قال:

"**سجل القرن الثالث صورا من أبشع أنواع تعذيب المسيحيين وذلك في عهد الإمبراطور دقليديانوس(248م- 305م)، فقد أمر بهدم الكنائس المسيحية وإعدام كتبها المقدسة، وأثار آباءها، وقرر اعتبار المسيحيين مدنسين تسقط حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين وتجريعهم العذاب ألوانا، ونفذت هذه التعليمات في جميع المناطق، فامتلأت السجون بالمسيحيين واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسادهم بالسياط والمخالب الحديدية أو أحرقت بالنار، وقد سمي عصره عصر الشهداء**" [2].

هذا ما أدى بالكثير من المسيحيين في نوميديا إلى الارتداد عن المسيحية بسبب ضعفهم أثناء هذه الفترة(فترة الاضطهاد)، وتسليمهم الكتب المقدسة التي كانت بين أيديهم للسلطة الرومانية[3].

ترجع الأستاذة خديجة منصوري جذور الانشقاق بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية إلى الاختلاف الذي حصل بين رجال الدين حول قبول أو رفض أولئك

---

[1]- يبدو أن معاناة معتنقي الديانة المسيحية كانت قد بلغت ذروتها فيما بين سنتي 303م و503م، ففي سنة 303 تم حرق القصر الإمبراطوري بروما مما جعل الكثير من مستشاري الإمبراطور يضغطون من أجل استصدار قانون يجرم المسيحيين، فما كان على الإمبراطور ديقليديانوس إلا الموافقة، فتبدأ حملة اضطهاد مروعة كانت أولى ضحاياها زوجة الإمبراطور وابنته... لمزيد من المعلومات أنظر:

-Lebreton (J.) et Zeiller (J.), Histoire de L'eglise, T.2 ; de la Fin du 2eme Siècle à la paix Constantinienne, éd. Blond et Gay, Paris, 1936, p.465.

[2]- أحمد شلبي، مقارنة الأديان، ج.2، المسيحية، ط.10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998، ص.83.

[3]- أحمد صفر، المرجع السابق، ص.366.

المرتدين(Lapsi)، مما الاختلاف دفع مجموعة من الأساقفة الرافضين لعـــودة المرتـــدين إلى صفوف الكنيسة، إلى الانفصال عن الأساقفة الذين تسامحوا مع العناصـــر المرتـــدة، وتأسيس كنيسة تضم حسب مؤسسيها العناصر التي صمدت أثناء الاضطهاد الـــديني دون غيرهم من المرتدين الذين خانوا المسيحية[1].

أما فيما يتعلق بالتاريخ الفعلي للظهور العلني للدوناتية، فلم يتسن للباحثين في هـــذا المجال تحديده ، إلا بعد الاطلاع على التطورات التي عرفتها الكنيسة الإفريقية في الفترة الممتدة من انعقاد مجمع سيرتا(Cirtensis- Concilli) ، سنة305م وحتى سنة312م، لما لتلك الفترة من أهمية في ظهور الدوناتية[2]، حيث أصدر مجمع سيرتا قـــرارا يـــوم:05 مارس سنة 305م، ظهرت على إثره الحركة الدوناتية بصورة علنية، وقد جاء في القرار رفض الأساقفة المجتمعين لما اتخذه مجمع قرطاجة من إجراءات تتعلق بموقف الكنيســـة من قرارات الإمبراطور الخاصة بمحاربة المسيحية ومصادرة ممتلكات الكنائس والكتـــب والوثائق المقدسة[3]، وأهم ما يلفت الانتباه بخصوص هذا المجمع، ذلك الانشقاق الذي كاد أن يحدث أثر محاولة سيكوندوس(Secundus) كبير أساقفة نوميديا التحقيق مع الأســـاقفة الحاضرين في هذا المجمع حول مواقفهم أثناء الاضطهاد، بحيث اضطر سيكوندوس أمام إصرار هؤلاء الأساقفة، على الانفصال في حالة مواصلة التحقيق معهم إلى غض النظـــر عن مشكلة الارتداد، ومما لا شك فيه أن المناقشات التي دارت فـــي مجمـــع ســـيرتا قـــد ساهمت في تهيئة الأرضية لظهور الدوناتية[4]، غير أن دور المجمع وقراراته لـــم تكـــن السبب الرئيسي في ظهور الدوناتية حسب أ: شافية شارن، وذلك لعدة أسباب أهمها فشـــل

---

(1)- خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي...، ص.32.

(2)- نفسه.

(3)- Monceaux(p), Léglise Donatiste au temps de Saint Augustin,R.H.R.N.61,1910, p.112.

(4)- خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي...، ص.34.

الأساقفة في إيجاد حل لقضية الارتداد، ووجود عناصر مرتدة في صفوف الدوناتيين أنفسهم وهو ما أفقد الجمع دوره الديني وبالتالي فإن وجود عناصر مرتدة من الدوناتيين الذين كانوا ينادون بضرورة الانفصال عن أسقف الكنيسة الرسمية، لا يسمح بإعطاء مجمع سيرتا الدور الرئيسي في ظهور الدوناتية[1].

وهو ما يرجع وجود عوامل أخرى، ساهمت في ظهور الانشقاق الديني والانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية، وما ظهور الدوناتية إلا امتدادا للعوامل التي ساهمت في انتشار الديانة المسيحية ابتداء من القرن الميلادي.

ورغم زوال عامل الأزمة الخارجية بصدور قرار التسامح، عام 311م[2]، الذي رفع السيف عن رقاب النصارى، فإن الاختلاف بين الطرفين بدا جليا حيث أنه كان قد أخذ أبعادا أصبح من الصعب تجاهلها أو التحكم فيها، من ذلك رفض أساقفة نوميديا الاعتراف بشرعية أسقفية منصوريوس على كنيسة قرطاجة التي كانت الكنيسة الرسمية بالنسبة لجميع كنائس شمال إفريقيا الرومانية منذ المجمع الكنسي الذي انعقد عام 229م، لكونه خائنا في نظرهم، ومن ثم لم يشاركوا في انتخاب خلف له بعد وفاته سنة 311م، وكان الأساقفة الرومان اقترحوا ثم انتخبوا أسقفا كان قد ارتد عن الديانة المسيحية فيما سبق

---

(1)- شارن شافية، المرجع السابق، ص.242.

(2)- أصدر الإمبراطور جاليروس (Galéruis) بتاريخ 30 أفريل 311 قرارا هاما يقضي بوقف كل الاضطهادات وأعمال العنف التي كانت تمارس من قبل السلطة الرسمية الرومانية ضد معتنقي المسيحية، وكان الإمبراطور حسب بعض المصادر يعاني من مرض ألزمه الفراش، فطلب من المسيحيين الصلاة لأجله طلبا للشفاء...، لمزيد من المعلومات أنظر:

– عبد الحميد عمران، الحركة الدوناتية بين الإنشقاق الديني والتحرر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، نوقشت بجامعة قسنطينة، 2004–2005م، ص.68.

وهو كيكيليانوس (Caecilianus) [1]، معتبرين إياه غير شرعي (بسبب ارتداده عن المسيحية)، كما رفضه معظم المسيحيين ووجهوا له تهمة الخيانة التي نعته بها الأسقف دوناتوس، بل أنهم نسبوا إليه استخدام القوة والعنف ضد المسيحيين لتشتيت تجمعاتهم، أمام سجن قرية" أبيتينا"، وأنه قطع المؤونة عن السجناء المسيحيين، وهكذا وجد دوناتوس الظروف مهيأة والمناخ الاجتماعي الملائم للإعلان عن حركته، فاتخذ من المسيحيين الناقمين على كنيسة قرطاجة جمهورا متين السواعد متذمرا لسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والتي ساهمت في تأجيج النفوس تجاه كيكيليانوس [2].

وحسب"مونصو" فان دوناتوس واجه أسقف قرطاجة كيكيليانوس على رأس هذا الجمهور المتجانس الذي وجد في شخصية دوناتوس الزعيم المنتظر، ومن ثم أصبح كل من يؤيد دوناتوس عضوا في الحركة الجديدة التي أصبحت تدعى (الدوناتية) أو الدوناتوسية(Donatismus) نسبة إلى زعيمها دوناتوس[3].

ويمكن حصر العوامل التي أدت إلى ظهور الدوناتية أساسا في العداء القومي للهيمنة الرومانية بالإضافة إلى تردي الأوضاع الاقتصادية وظروف الحياة القاسية التي تضرر منها غالبية سكان نوميديا إضافة إلى التحول الذي عرفته الكنيسة الدوناتية وانتشارها في كامل بلاد المغرب القديم. [4]

---

[1]– كيكيليانوس(Cicilianus): هو أسقف مدينة قرطاجة والذي شب خلاف حول سياسته بين أساقفة المدينة وكان ذلك الخلاف المباشر لميلاد الانشقاق الدوناتي بينه213م وهو أول زعيم كاثوليكي في عهد الدوناتية لمزيد من المعلومات أنظر:

- شنيتي محمد البشير، التغييرات...، ص.288.

[2]– شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.296.

[3] -Monceaux(P.), Op.cit., p.113.

[4]– شنيتي محمد البشير، التغيرات...، ص.296.

لقد تركت هذه التحولات شعورا بالامتعاض وسط الفئات المحرومة من السكان الذين رؤوا في الكنيسة الكاثوليكيه الجهاز المسخر لخدمة مصالح سلطة الاحتلال الروماني، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها لتحسين تلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانوا يعانون منها، لذا أصبح الانضمام للدوناتية الحل الوحيد في نظر المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكية لتحقيق مآربهم، وهو ما يؤكد طابع الحركة المعادي للسلطة الرومانية، ونظامها السياسي في الاستيلاء على الأراضي وفرض الضرائب المجحفة في حق السكان النوميديين، خاصة بعد امتداد خط الليمس نحو الجنوب وتكثيف المراكز العسكريةو أبراج المراقبة [1].

أما عن العوامل الاجتماعية، فمثلها الحصار الاجتماعي الذي ترتب عنه الحصار الوظيفي حيث كان المتضررون من هذه السياسة من فلاحين وبسطاء وعاطلين وفئات فقيرة، وحتى أعضاء المجالس البلدية، لم ينجو من هذه السياسة وكانوا يفقدون أراضيهم عنوة بالإضافة إلى العقوبات المفروضة على الذين خرجوا من مدنهم دون إذن السلطات الرومانية على ما يبدو [2].

أما العوامل السياسية، فتمثلت في الاضطرابات التي شهدها المجتمع النوميدي بداية من القرن الرابع ميلادي، وتمخضت عنها فكرة المعارضة للسيطرة الرومانية، وقطع الصلة بكل ماله علاقة بها، وعلى رأسها الكنيسة الكاثوليكية، التي كانت الممثل الفعلي

---

(1)- شارن شافية، المرجع السابق، ص.243.

(2)- يربط أ. عبد الحميد عمران بين سياسة الرمنة الشاملة التي مارستها الإدارة الرومانية والاستحواذ على الأراضي الزراعية الخصبة التي كانت بيد الفلاحين في الأراضي والأرياف النوميدية، وتمركز الأهالي في المناطق الجبلية ورفارف الصحراء، إلا أن الصلة لم تنقطع حسب رأيه بين سكان الجبال والسهول من خلال التواصل بين الفئتين بواسطة السهول المجاورة والمتاخمة للصحراء وحواشيها، وكذا منافذ طبيعية عبر الأودية لاسيما في فصل الشتاء...، لمزيد من المعلومات أنظر:

– عبد الحميد عمران، البمرجع السابق، ص.54.

للجهاز الإداري الروماني والتي دخل معها الدوناتيون في صراع مس الحياة العملية، وهكذا وجد الدوناتيون في حركتهم الملجأ و المتنفس ، وأفضل معبر عن إرادة الأهالي المقهورين، بعدما التفت حولها جموع كبيرة من المسيحيين المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية، التي اعتبرت في نظرهم أنها المنشق الحقيقي عن المسيحية لأنها تخلت عن مبادئها الأصلية [1]

ج- الفكر الدوناتي:

أدى انتشار المسيحية في نوميديا إلى إدخال تغيير كبير على الوضع الثقافي، فقد أصبحت الاهتمامات الفكرية تدور بصفة خاصة حول الجدل الديني، من هنا كان الاتجاه في المرحلة الأولى، منصبا محو مناقشة الآراء المناهضة للمسيحية الذي تطور في مرحلة لاحقة إلى نقاش بين الدوناتيين وممثلي الكنيسة المسيحية الرسمية، وقد استعملت المسيحية في بداية عهدها بإفريقيا اللغة اليونانية، لكن استعمال اللاتينية ما لبث أن تغلب عليها [2].

وكنتيجة للجدل والنقاش الديني الذي خاض فيه الدوناتيين شوطا كبيرا للدفاع عن مبادئهم وكنوع من الرد على ما لا قوة من اضطهاد ومحن من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، نشأ نوع من الأدب المستوحى من حياة الدوناتيين أنفسهم، وقد جاء في وثائق أوبطا(Opta): " إن المناوشة الشهيرة للدوناتية التي أثرت بعمق في الكنيسة الافريقية في القرن الرابع وحتى بعد ذلك ولدت باكرا أعمالا أدبية" وقد اشتهر في نهاية القرن الثالث

---

(1)- خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي...، ص.41.

(2)- يذكر الأستاذ أ. محفوظ قداش، في معرض حديثه عن الأسقف أوبطا الميلي (Opta de Mélèv) أن هنا الأخير هو أول من طرح مسألة الانشقاق الديني بوضوح، وكونه مؤرخا أجهد نفسه لإعادة بناء تاريخ الانشقاق مستعملا المؤلفات المتعلقة بالدوناتية بأسلوب علمي أي دمج بين المعطيات التقليدية والشهادات المعاصرة. فاستخدم أوبطا حسب قداش التاريخ كسلاح ضد الكنيسة الدوناتية المنشقة، ويقدم لنا نوعا من المجاورة بين دونانتي وكاثوليكي. محاولا أن يقدم لنا براهين لمواجهة المنشقين...، لمزيد من المعلومات أنظر:

- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص ص.210-211.

وأوائل القرن الرابع بعض الكتاب والخطباء[1]، و كان أشهرهم الأب دوناتوس الذي ألف كتابا مهما عنوانه" الروح القدسية"، وحسب شارل أندري جوليان:" فأن هذا الكتاب يميل على الأريوسية، ولكنه رغم ذلك كان محفوفا بالاحترام كأنه كتابا مقدسا لكن هذا الكتاب لم يصلنا بسبب حرق الكاثوليك لسائر الكتب الدوناتية[2].

ويذكر ألفرد شيندلار (A.schinder) أنه اكتشف لدوناتوس حوالي 60خطبة دينية ضمن سلسلتي خطب من القرون الوسطى منسوبة إلى القديس يوحنا كريزوستوم (S.Jean Chysostome) وهذا ما يؤكد أن معظم مؤلفات دوناتوس إن لم تكن كلها قد أتلفت فإنها قد نسبت إلى غيره[3].

وقد ورد عند بعض رجال الدين الكاثوليك كتب لأساقفة دوناتيين من أمثال بيتليانوس قسنطينة (Petilianus de Constantine) أسقف سيرتا والوجه الأقوى للكنيسة الدوناتية في زمن أوغسطين خلال فترة الصراعات الكبرى بين الكنيستين الإفريقيه، ولد حوالي سنة 395م، ومن بين مؤلفاته الرئيسية: مقالة نقد أوغسطين، وكتاب عن التعميد، والعديد من الخطب كان قد ألقاها في ندوة قرطاجه كما برز غودنتيوس تيمقاد(Gaudentius de Timgad) الذي ولد حوالي 355م، بتاموقادي أحد المعاقل الرئيسيه للدوناتية، وانتخب أسقفا في بداية عام 398م، وصف بأنه سيحرقها ويحرق نفسه

---

(1)- أبو عمران الشيخ، أوغسطين العنابي ومقاومة الدوناتية، (مجلة الأصالة)، غ.34.35.1976، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر، 1976، ص.177.

(2)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.310.

(3)- Lechi(L), « Baisiliqueet cemietie Donatiste de Numidie(ain ghorab) », R.af.N. 771936P,32.

معها إن تقرر مصادرتها ولم تصادر بالفعل وانطلق في توجيه رسائل جدلية قوية إلى أوغسطين باعتباره خصمهم اللدود [1]

ومن أشهر الخطباء الدوناتيين إيميريتوس سيزاريا (Emeritus de Caesara) الذي تميز بالحماسة والصبر والإيمان الراسخ بالمسيح، وقد عروف بأعماله الأدبية، نشأ في قيصرية، حيث ولد بها حوالي 350م، وأصبح أسقفا دوناتيا ابتداء من 385م بعد مجمع باغاي(Baghai) في سنة 384م، وأعتبر قائدا للحزب الدوناتي في موريطانيا، ومن أبرز خطبه: الحكمة(Sentencia) المحررة في 394م، بمجمع باغاي، وكان إيميريتوس سيزاريا من خلال أعماله يبدو محاميا داهية صمد لهجومات أوغسطين مع زملائه المحامين المفوضين من الحزب الدوناتي للدفاع عن مبادئ الحركة الدوناتية.[2].

4-الإمبراطور قسطنطين الأول(306- 337م) والدوناتيه:

لقد ظل الخلاف قائما بين الكنيسة الكاثوليكية والدوناتيين، إلى أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول[3] المسيحية فأصدر مرسوم ميلانو سنة 313م، بعد أن أصبح على ما يبدو أنه اطمئن للديانة المسيحية فاعترف بها ، ولكن سرعان ما أخبره مساعدوه من القادة العسكريين في إفريقيا بأن: كنيسة إفريقيا تشهد انقساما خطيرا و يدعونه الى التدخل لتدارك الأمر وإنقاذ المنطقة من الخطر [4].

---

[1]- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص.212.

[2]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.213.

[3]- قسطنطين الأول ولد حوالي 274 ويعتبر أشد أباطرة الرومان كان أبوه يشغل منصبا قياديا رفيعا في الجيش الروماني وأمه هيلين كانت ابنة لأحد ملاك الفنادق الصغيرة، تولي منصب الإمبراطور في روما سنة 306م وتوفي سنة 337م.. لمزيد من العلومات أنظر:

-Nouveau Larousse universel,T.1.p397.

[4]- عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص.203.

منذ أن رفض الدوناتيين الاعتراف بأسقفية منصوريوس على كنيسة قرطاجة عام229م ومن ثمة لم يشاركوا في انتخاب خلفه كيكيليانوس، الذي اعتبروه غير شرعي وعلى مدى عامين من وقوع هذه الأحداث، استفحلت شدة النزاع بين الدوناتيين وخصومهم، وراح كل فريق يجلب إلى صفة الأنصار وينادي أنه على حق وتلك الصورة التي أضحى عليها الشرق النوميدي غداة انتصار الإمبراطور قسطنطين على طاغية روما ماكسينتيوس(Maccintius) سنة 312م، والجدير بالملاحظة أن قسطنطين كان على علم بهذا الانقسام الذي أمست فيه الكنيسة الإفريقية جراء هذا الخلاف [1].

ولما كان الإمبراطور قسطنطين مؤيدا لكيكيليانوس أسقف قرطاجة، حمل الأساقفة وكذلك الكنيسة كنيسة روما على الاعتراف به كأسقف شرعي في إفريقيا، وكان كيكيليانوس قد بذل قصارى جهده لتحطيم خصمه دوناتوس مستعملا مختلف الوسائل لتحقيق غرضه ومنها استعطاف الإمبراطور قسطنطين نفسه، كي يوقف نشاط هذا المنافس الخطير في نظره [2].

ويبدو أن قسطنطين كان قد وضع الدوناتيين خارج دائرة الهبات الإمبراطورية التي أنعم بها على الكنيسة، ففي رسالته إلى كيكيليانوس والتي يحدد فيها مبلغا من المال للكنائس، اختتم قسطنطين رسالته بقوله:" **لما كانت مسامعي قد صكتها انباء تردد أن بعض ذوي العقول السقيمة يتحايلون لصرف الجموع عن الكنيسة المقدسة الدامعة بخزي المزاعم ودنسها، حق أن تعلم أني قد زودت أنوللينوس للبرقنصل، وباتريكوس(Patricius)، نائبه عندما كان فحضرتنا بأوامر فحواها أنه إلى جانب كل مسؤولياتهم الأخرى عليهم أن يبذلوا**

(1)– فاطمة الشامي، الحضارة البيزنطية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص.34.

(2) -Monceaux(p), « léglise donatiste…..,pp.20-24.

لهذا الأمر فائق عنايتهم، وان لا تغفل للحظة أعينهما عن تدارك أي حديث... [1]، ويتضح من خلال رسالة قسطنطين انحيازه إلى جانب واحد، دون أن يتحقق من فحوى قضية الخلاف الحاصل بين الدوناتيين والكنيسة الكاثوليكية ولعل قسطنطين مال إلى جهة الكاثوليكيين، ولكنه تردد بين الحزم والرحمة ضد الانفصاليين الذين يمثلون الحركة الدوناتية[2].

وتظهر معارضة السلطة الرومانية للحركة الدوناتية وعلى رأسها قسطنطين من خلال القرارات التي أصدرها، منها القرار أصدره سنة 313م، والذي يؤيد فيه رجال الكنيسة الكاثوليكية، مما دفع بالدوناتيين إلى طرح قضيتهم أمام أساقفة أجانب، مرددين أنه ليس من حق الإمبراطور التدخل في شؤون الكنيسة [3].

إلا أن الإمبراطور قسطنطين أكد على تدخله فيها من خلال الدور الذي لعبه في اتصاله بها كممثل للدولة، حيث كان هو الذي اختار القضاة، وعين مكان التقاضي وزمانه، وعدد المتقاضيين من كلا الحزبين، ورسم الخطوط العامة لسير القضية و أوحى إلى القضاة بمنطوق حكمهم عندما أعلن في رسائله إليهم أن قلبه يحمل كل الاحترام للكنيسة الكاثوليكية الشرعية، وبالمقابل يرى خصومها مردة منشقين، خاصة وأنه لم يكن يتصور أن هؤلاء– مسيحي إفريقيا– سيقتحمون عليه هدوءه في كل مرة رافضين الانصياع لقرارات المجامع التي كانت تعقد من أجل الفصل في قضيتهم، حيث لجأ

(1)– رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج.1، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1991، ص.151.

(2)– تشارلز ورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1999، ص.205.

(3) - Monceaux(p), léglise donatiste…,p.40.

الدوناتيون هذه المرة إلى الإمبراطور قسطنطين نفسه يطلبون منه التدخل الشخصي بصفة مباشره في هذا النزاع[1].

استجاب الإمبراطور لطلبهم إلا انه أدانهم في الأخير وحاول القضاء عليهم من خلال القرارات التي كانت تفرضها المجامع الدينية. وبعد فشل محاولات تطبيق القرارات, غيرت السلطة سياستها تجاه الدوناتيين بتبنيها حملة اضطهادية ضدهم, لكن نتائج الاضطهاد جاءت معاكسة لما تم التخطيط له، حيث كثر مناصروهم وقويت حركتهم، بحيث أصبحت تشكل خطرا على السلطة الرومانية[2]، وبلغت ذروة تحدي الدوناتيين للإمبراطور قسطنطين ذاته عندما أرسل إليه أساقفتهم يبلغونه أنهم لن يتعاملوا مع الأسقف كايكيليانوس وأنهم على استعداد لتحمل أي عقاب يفرضه عليهم. وعندما أدرك قسطنطين أنه عليه أن ينتهج سياسة جديدة بعد أن ضاعت جهوده هباء، فأرسل ّإلى نائبه في إفريقية وإلى كيكيليانوس و الأساقفة الكاثوليك عام 318م بإتباع سياسة جديدة تقوم على الاعتدال والتسامح، وأرسل هو بدوره أوامر للأساقفة الدوناتيين المنفيين بالعودة إلى ديارهم[3]، كما اصدر في 5 ماي سنة 321م، قرارا يسمح بموجبه للدوناتيين بممارسة طقوسهم والاحتفاظ بكنائسهم وعودة أساقفتهم المنفيين، وذلك رغبة من الإمبراطور في إعادة الاستقرار إلى المنطقة، فنعم الدوناتيين بموجب ذلك القرار بفترة من السلم، واستفادوا من الاضطراب الذي كانت تعرفه المنطقة، حيث وظفوه لصالحهم[4]

وهكذا كانت القضيه الدوناتية تجربة جديدة في العلاقة بين الدولة والكنيسة خاضها الإمبراطور قسطنطين وتأرجحت سياسته فيها بين اللين والعنف واللامبالاة. ولئن كانت

(1)- رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص.154.

(2)- شارن شافية، المرجع السابق، ص.245.

(3)- رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص.161.

(4)- شارن شافية، المرجع السابق، ص.246.

جهوده قد أثمرت غير ما اشتهى إلا أنه كسب خلالها مكانة جعلته فيصلا أعلى في شؤون الكنيسة، وتلك غنيمة لم يتنازل عنها قسطنطين طيلة حياته ولم يتخل عنها خلفاءه من بعده [1].

لقد استفاد الدوناتيون بعد قسطنطين من تسامح الإمبراطور" جوليان"، الذي أعاد لهم كنائسهم التي صودرت من قبل, فانتهزوا فترة التسامح بالانتقام من الكنيسة الكاثوليكية بمساعدة حاكم موريطانيا القيصرية، ولكن مع تولي الإمبراطور" فالنتيان (F.Valantainen) وغراتيان (F.Gratine) الحكم تجدد الاضطهاد، وكذلك في فترة حكم الإمبراطور هونوريوس من خلال القرارات التي كانوا يصدرونها ضدهم، ورغم محاولات السلطة القضاء على هذه الحركة إلا أنها لم تتمكن من ذلك فقويت وتضاعف نضالها ضد الكاثوليك، وأصبحت تشكل خطرا يهدد تحالف السلطة والكنيسة الكاثوليكية الإفريقية، مما استوجب على السلطة إيجاد حل للحد من هذا الخطر [2].

زاد تمسك الدوناتيين بمواقفهم إزاء الكنيسة الكاثوليكية، وإعتبروها كنيسة الشياطين(L'Eglise des Diables) وأن كنيستهم أي الدوناتيين كنيسة الأطهار القديسين(L 'Eglise des Sains)، وأنه على من ينضم إليها من الكاثوليك أن يطهر ويعاد إدخاله من جديد[3]، حتى يتم الاعتراف به، وذلك ما أعاد الاضطهاد من جديد تجاه الدوناتيين، ولكن هذه المرة أصبح المسيحيون هم الذين يضطهدون مسيحيين آخرين، وهذا

---

[1]- رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص.162.

[2]- شارن شافية، المرجع السابق، ص.246.

[3]- شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص.181.

الوضع دفع بالدوناتيين إلى التجذر أكثر وأصبحت المسيحية الدوناتية محظورة مثلها مثل مسيحية الشهداء الأولين في عهد الأباطرة الوثنيين ، أمثال نيرون ودقليانوس[1].

وحرصت الكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا ونوميديا منذ ظهور الدوناتية على استشارة كنائس روما فيما تتخذه من قرارات للقضاء على الذهب الجديد، بل أكثر من ذلك فهي لا تنتقدها إلا بعد الحصول على موافقة كنائس روما أو سلطتها، غير أن ارتفاع عدد ضحايا الكاثوليك نتيجة الصراع الدموي الذي كان قائما بينهم وبين الدوناتيين، وزيادة الاضطرابات التي عرفتها الكنيسة والتي شغلتها عن مواصلة حركة التنصير، قررت الكنيسة الكاثوليكية ضرورة حل الخلاف الموجود بينهم وبين الكنيسة الدوناتية دون استشارة كنائس روما[2]، وحل هذا الخلاف ووضع حد للوضع الذي كانت تعيشه الإمبراطورية الرومانية، رأت الكنيسة الكاثوليكية الدخول في مفاوضات ونقاقشات مع الكنيسة الدوناتية لعلها تخمد الأوضاع وتضمد الجراح، لكن هذا المشروع انتهى بالفشل، فبادرت الكنيسة الكاثوليكية بعدما كثرت محاولات الاغتيال التي تعرض لها أتباعها طالبة إعادة الوحدة الدينية بموجب تحالفها مع السلطة[3].

ورغم كل هذه المحاولات لم تنجح الكنيسة الكاثوليكية في وضع حد للحركة الدوناتية، وقد ازداد الصراع حدة بين الطرفين منذ تولي القديس أوغسطين السلطة الدينية بمدينة هيبون في سنة 392م، وكان من أبرز المجامع التي عقدت أثناء فترة تولية الأسقفية، المجمع المنعقد في قرطاجه يوم13 سبتمبر 401م، والذي تم فيه رفض قراراته من طرف الدوناتيين[4].

---

(1)- غانم محمد الصغير، المقاومة والتاريخ العسكر...، ص.41.

(2)- خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي...، ص.41.

(3)- شارن شافية، المرجع السابق، ص.246.

(4)- خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي...، ص.46.

5-الانشقاق الديني والصراع بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية:

عرف الشرق النوميدي منذ ما قبل القرنين الثاني والثالث اضطرابات متعددة في شكل صراع مستمر بين السكان المحليين(النوميديين) والمحتلين الرومان، وبقيت الأوضاع في المنطقة بين مد وجزر خلال الفترة المشار إليها، وحتى القرنين الثالث والرابع الميلاديين فيظهر هناك وازع قوي جديد يضاف إلى ما عرفته المنطقة من ثورات للتحرر، ألا وهو وازع الديانة النوميدية والمتمثلة كما أشرنا سابقا في الديانة المسيحية و كنيستها الكاثوليكية الرسمية في مدينة قرطاجه و الدوناتية في منطقة " بغاي" (Baghai) بالقرب من مدينة خنشله حاليا وذلك بعد الخلاف و الانشقاق الديني الذي حدث بين الكنيستين [1].

وانطلاقا مما سبق نجد أن السلطات الرومانية كانت تعتبر الحركة الدوناتية متطرفة مقارنة بالكنيسة الكاثوليكية، التي كان مقرها قرطاجه، وكانت تنظر إلى قساوستها على أساس أنهم يتميزون بالمرونة وهو ما يعني أنهم يتجاوبون بالشكل المطلوب مع رغبات ومطالب الأباطرة الرومان ولم يراعى في ذلك إلا مصلحة السلطة الرومانية حتى ولو كان ذلك على حساب المسيح عليه السلام ذاته [2].

وفي هذا الصدد تذكر الكثير من المصادر التي تعرضت لأحداث هذه الفترة إلى أنه سقط ضحايا وشهداء مسيحيين دوناتيين بأعداد كثيرة كان هدفهم الدفاع عن مبادئ الديانة المسيحية، التي عمل الأباطرة الرومان كل ما في وسعهم من أجل تسخيرها لخدمة

---

(1)- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص.80-81.

(2)- يتناول القديس تريليانوس المنهج المرن للكنيسة الكاثوليكية خلافا عن الكنيسة الدوناتية خلال القرن الثاني للميلاد فيقول: " هناك أولويات تفرض علينا أن ندعو للأباطرة ونرجو لهم التوفيق في حماية الوحدة و الانسجام داخل الإمبراطورية و من أجل السيادة الرومانية..." أنظر:

-Tertullien. Apologétique. Texte 2tabli et traduit par.J.P.Waltzing,Paris, 1929, PP.71-85.

مصالحهم السياسية والاقتصادية التي كان مبتغاها في النهاية هو إحكام السيطرة على المنطقة المغاربية [1]

وقد رد القديس الدوناتي بيتليانوس(Pétilianus) الذي شغل أسقفا في مدينة سيرتا سنة305م على أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرسمية وذلك بنص من الإنجيل جاء فيه أن الكتاب المقدس يذكر في نصوصه:" **لا تقتل أخاك وأنتم قتلتمونا، لا تأخذ متاع غيرك وأنتم نهبتم أموالنا وأملاكنا واعتبرتمونا ملكا لهم**" [2]

وفي نفس السياق يذكر لنا أسقف مدينة تيمقاد(Thamudadi) غودنيتوس(Goudentus) الذي كان معاصرا للقديس أوغسطين:" **أفضل أن أحرق في مدينتي كمسيحي، على أن أسلم نفسي للقائد العسكري الذي كان مكلفا من قبل الإمبراطور الروماني**" [3]

في سنة 312 للميلاد وصل الإمبراطور قسطنطين الكبير إلى حكم الإمبراطورية الرومانية، وبوصوله إلى الحكم غير في سياسة الإمبراطورية تجاه المسيحين بل نجده يتخذ من المسيحيين الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية فتعامل بنوع من الليونة مع مسيحي الدوناتية ويبدو أن هدف الإمبراطور قسطنطين الأكبر واعتناق المسيحية وتكريسها كديانة رسمية للإمبراطورية هو الحفاظ على مكانته وحاشيته المادية والمعنوية في الدولة الرومانية ومستخدمة الديانة المسيحية في ذلك.

(1) –Chatelard(A.), Histoire des Chrétiens D'Afrique du Nord Libye-Tunisie-Algerie-Maroc, éd.Desclée, Paris, 1991, pp.36-40.

(2) –غانم محمد الصغير، مقالات وأراء...، ج، 2، ص.239.

(3) -Augustin(St.), Les lettres, Traduits par. Pojoulat(M.), paris,1858, PP. 65-80.

لكنه لدى النوميديين الأمر مختلف تماما وله أبعاد أخرى، لاسيما سكان الأرياف والسفوح الجبلية فمنهم ومنطقة الشرق النوميدي على وجه التحديد حيث نجدهم يرطبون سياسة الإمبراطور هذه وإجراءاته الجديدة مع حاشيته والمتعلقة باعتناق الديانة المسيحية بالسعي إلى بسط النفوذ وفرض الهيمنة الرومانيةو افتكاك الأراضي , وظهور طبقة من الأثرياء الرومان أوالمترومنين، وكل ذلك على حساب غالبية السكان المحليين الذين صودرت منهم أراضيهم وتم إبعادهم عنوة من مناطق إقامتهم إلى المناطق الجبلية في الداخل أو العمق النوميدي [1].

6-الدوناتية تتحالف مع الثوار الريفيين:

حملت سنة 347 للميلاد محاولة أتباع الكنيسة الكاثوليكية مدعوين من قبل السلطات الرومانية في قرطاجه التنكيل بالحركة الدوناتية وأتباعها وهنا نجد أن الثوار الريفيين يبدون تعاطفهم وانحيازهم إلى الدوناتيين ويبدؤون نشاطهم المعادي لكل من الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية وذلك على ما يبدو نتيجة لالتقاء الأهداف العامة بينهم وبين الدوناتيين في الوقوف بوجه الاضطهاد الروماني [2].

ومنذ تلك الفترة بدؤوا يطلقون على أنفسهم اسم: جنود المسيح بعد اعتناقهم للديانة المسيحية لاقتناعهم بعدالتها وبقيمها ومبادئها كنصوص تتضمن المساورة بين البشر، وهنا يمكن أن نشير إلى أنهم أصبحوا يستخدمون في بداية هجماتهم على أعدائهم سواء

(1)- عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص.71.

(2)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ج2، ص.241.

الكاثوليك أو رجال السلطة الرومانية ممثلين في الجيش بأسلاكه تلك العبارة الشهيرة مثل: لله الحمد (Dio-Loudos) [1].

يشير هنا القديس أوغسطين أن تلك العبارة التي كان الريفيون يفتتحون بها هجماتهم ضد أعدائهم كانت تثير الرعب والفزع في نفوس خصومهم أكثر من زئير الأسد على حد تعبيره [2].

لقد حظي قادة ثورة الريفيين بتسميات تشريفية نظرا للمكانة التي أعطيت لأولائك القادة مثل أوكسيدو" Auxidos" وفازير" Fazier" وتعتبر هذه الأسماء التشريفية بمثابة أوسمة لا تمنح إلا لمن ترسخت في أعماقهم الديانة المسيحية الخالصة، ذلك ما أعطاهم على ما يبدو إحساسا دينيا قويا بدفعهم دفعا إلى القتال ضد أعدائهم وكان رجاؤهم الحصول على الاستشهاد أي نبل مرتبة " شهيد" غير آبهين بالموت [3].

والواقع أن هؤلاء الثوار حتى وإن تشرفوا بتسميات لها قداسة دينية إلا أن انطلاقتهم لم تكن دينية على الإطلاق فظهور هؤلاء الثوار كان لأسباب اقتصادية و اجتماعية مرتبطة بالاستغلال الذي كان يعانيه السكان في الأرياف النوميدية, ذلك الاستغلال الذي جعل الناس يشعرون بحالة من اليأس، وهو ما جعلهم يتشكلون مجموعات لسلب ونهب ثروات الأغنياء في الأرياف النوميدية وهنا يتسائل أ. عبد الحميد عمران من هم الثوار الريفيون؟ هل هم مجرد عصابات متمردة تطوف حول المزارع ومخازن

---

(1)- يشبه أ.غانم محمد الصغير عبارة (الله الحمد)Dio-Loudos " التي كان يطلقها الثوار الريفيون عند بداية الهجوم في معاركهم بالعبارات التي كان جيش التحرير الوطني أبان الثورة التحريرية أثناء معاركهم ضد الاحتلال الفرنسي وهي عبارات: الله أكبر، الجهاد في سبيل الله...الخ أنظر:

– غانم محمد الصغير، مقالات وأراء...، ج2، ص.241.

(2) - Augustin(St.), Contra Lettras Pétiliani, Opera Contra donatistas, D'après Monceaux(p.), H.L.A.ch.,IV.V.VI.

(3)– غانم محمد الصغير، مقالات وأراء...، ج2، ص.241.

الحبوب وتمارس عمليات السلب والنهب والحرق على حد وصف الكاثوليك وأتباع السلطة الرومانية؟ أم هم جماعات من الرجال يتنقلون عبر ربوع البلاد النوميدية و يزرعون الخوف والذعر في النفوس منطلقين من مدينة تاموقادي(Timgad) عبر كامل الأرياف والمدن النوميدية [1]

وهناك من وصفهم بقطاع الطرق وأوصاف مشينه مختلفة كالمتمردين على السلطة وغيرها.

هذا ونجد أن التسمية المنتشرة عبر النقوش التي عثر عليها و تناولها المؤرخون والتي اشتهر بها هؤلاء هي الدوارون"Circum Cellas " [2].

والتي يوحي في معناها بنوع من اللصوصية والعنف ونشر الرعب في كل الأرجاء حسب ما أشار إليه أ. شنيتي محمد البشير [3].

وقد ورد اسم الدواوين في نصوص كثيرة لا سيما المرتبطة بالمسيحية أو الصراع الكاثوليكي الدوناتي, ولعل أقدم الإشارات حول هؤلاء هي ما ورد في الفصل الرابع من الكتاب الثالث لأوبطا الميلي والذي وصف أعمال العنف والتخريب الناجمة عن النزاع الديني بين الدوناتين والكاثوليك حيث يبين أحداث المعركة التي جرت وقائعها في مدينة باغاي " Baghai" بين أتباع دوناتوس والسلطة الرسمية الرومانية سنة347م[4].

---

(1)- عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص.137.

(2)-Circumcillas هي كلمة لاتينية مركبة من جزئين: Cirum و "Cella" ويعني الجزء الأول: circum دائر "حول" أما الجزء الثاني cella فمعناه مخزن أو مستودع المؤن المختلفة من حبوب ومواد مختلفة كالزيت والخمر...حول الموضوع أنظر:

- Gaffiot(F.), Dictionnaire latin – français, Paris,1934,p.308.

(3)- شنيتي محمد البشير، التغيرات...، ص.301.

(4) -Mésanges(p.j.),l'Afrique chrétienne Rumes et évêches, Paris, 1912,p.253.

وإن كانت أعمال الدوارين ونشاطهم قد عرفها القرنين الثالث والرابع دون أن يحدد تاريخ معين لبداية ظهورها وإن كانت بعض الإشارات تبين أن هناك تمردات لبعض القبائل الليبية التي يمكن إدراجها ضمن سياق عمل الدواوين مثل: هجمات قبائل الاستريانيAusturianes" " حيث هاجمت تلك القبائل التجمعات الزراعية الرومانية في إقليم لبدة بين سنتي364–366م وتمكنت من اقتلاع أشجار الزيتون والكروم واستولت على ممتلكات المعمرين الرومان [1].

واستخدم الدواويين أسلوب حرب العصابات في هجمات المركزة على أهدافهم التي كما ذكرنا كانت على الخصوص مخازن المؤن أو الإغارة على مراكز السلطة الرومانية، ذلك أن أسلوب المواجهة المباشرة التي اعتمدت في نوميديا قبل هذه الفترة كان دائما مآله الفشل والإخفاق العسكري لسبب بسيط هو الفرق الشاسع في القوة العسكرية لصالح الرومان، إضافة إلى افتقاد تلك الثورات إلى طابع الوحدة والقوة ومن هنا اتجه الأهالي إلى دعم الحرب ضد المؤسسات الاقتصادية المدنية على ما يذكر شنيتي محمد البشير [2].

7–أحداث باغاي وتحول سنة347م:

لعبت الأحداث التي عرفها الشرق النوميدي سنة 347م دورا حاسما في أوضاع الشمال الإفريقي التي جاءت فيما بعد متأثرة بما جرى خلال تللك السنة، سواء تعلق الأمر بالعلاقات بين الكنيستين المتصارعتين أو العلاقة بين الدواريين والدوناتيين أو حتى الصراع الديني والسياسي والعسكري الذي عرفته المنطقة، ويظهر بوضوح الدور الذي لعبه الدوارون في تلك الأحداث ولعل دورهم كان بمثابة المحرك الأساسي لتلك الأحداث.

(1) -Cagnât (R.),op.cit.,p.76.

(2)– شنيتي محمد البشير، التغيرات...، ص.310.

ففي هذا السياق نجد أن الإمبراطور قسطنطين حاول في سنه 347م التدخل في الشؤون الدينية لتوجيه الكنائس الإفريقية لمصلحته الخاصة وحماية لمصالح حاشيته كما فعل أبوه سنة 316م عندما ساند كيكيلناتوس ضد دوناتوس وأتباعه [1].

ولقد أصدر الإمبراطور قسطنطين قانونا جديدا يثبت فيه الحكم الذي أصدره والده ضد الدوناتيين، ورغم أن هذا الإجراء كان قد ترك الدوناتيين في الوضع الذي كانوا عليه وفقا للقانون الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين سنة316م ومن جهة أخرى فإنه قد الغي قانون التسامح الذي فتحه الإمبراطور لكنيستهم الدوناتية سنة 321م [2].

ومن ثمة فالدوناتيون أصبحوا في الوضع الذي كانوا عليه سنة 316م أي معرضين للعقوبات والنفر ومصادرة ممتلكاتهم وكنائسهم في حالة ما إذا اصطدموا بالكاثوليك من جديد.

إذن في سنه 347م أرسل الإمبراطور مبعوثان هما: بولس(Paulus) ومكازيويس (Macarius) في مهمة رسمية على ما يبدو كانت لوضع حد ضد الانشقاق الديني والخلاف الذي تعيشه الكنائس الإفريقية ولكل طرف وجهة نظر خاصة به فمن وجهة نظر

(1) -Monceaux(p.), Histoire Litteraire…, H.I.A.C.,IV,p.35.

(2)- لقد تعرض الدوناتيون الى القمع والاضطهاد من قبل السلطة الرومانية واتباع الكنيسة الكاثوليكية بموجب القانون الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين سنة 316، إلا أن الأساقفة الدوناتيون لم يلبثوا أن قاموا بطلب الصفح من الإمبراطور الذي لم يتردد في إصدار قانون يقضي بالتسامح معهم والسماح لهم بالعودة من المنفى سنة 321م، بل أقر تعويض بعض الكاثوليك عن الأضرار التي لحقت بكنائسهم أو انتزعت فمنهم من قبل الدوناتيون بالقوة مثل كنيسة سيرتا سنة 330م، فقام بإنشاء كنائس جديدة بدلا عن تلك التي تم تخريبها أو مصادرتها ... حول الموضوع أنظر:
-Monceaux(F), la Répression du Donatisme, M.s.N.A.f.,1914.P. 52

الكاثوليك كانت مهمتها العمل على إرجاع الكنيستين إلى الوحدة أما في فيما يتعلق بوجهة نظر الدوناتيين فكانت مهمتها إكراههم بالقوة على الانصياع للمتخاذلين والوحدة معهم [1].

وبحسب ما أورد القديس أوبطا فإن المبعوثين لم يعلنا في البداية عم مهمتهما خوفا من إثارة غضب الدوناتيين الذين اعترفوا بأن الرجلين لم يصدر منهما أي عمل ينذر بالعنف بل على العكس فقد قاما بتوزيع هبات الإمبراطور واكتفيا بدعوة الطرفين إلى التصالح فيما بينهما [2].

لكن الأمور سارت في الاتجاه المغاير بانتقال المبعوثان إلى الشرق النوميدي وجنوبه، فعند وصولهما إلى مدينة باغاي(Baghai) حدث التصادم الخطير الأول بين المبعوثان الإمبراطوريان والأسقف الدوناتي للمدينة حيث استعان المبعوثان بجيش السلطة الرومانية فيما استعان الأسقف الدوناتي بالدوارين [3].

ولقد اتخذ المبعوثان ذلك بحجة وذريعة باتخاذ إجراءات قمع وردع ضد الدوناتيين وأتباعهم خاصة مكاريوس الذي قام بإهانة عدد من الأساقفة الدوناتيين وذلك بجلدهم وحبسهم بل وقتلهم أحيانا حسب روايات الدوناتيين التي تذكر أن الأحداث شهدت سقوط عدد من الشهداء الدوناتيين كان أبرزهم: "دوناتوس"(*)

---

(1)- محمد المبكر، شمال افريقيا القديم حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية 305م – 429م، سلسلة رسائل و أطروحات، رقم 34، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص.205.

(2)- نفسه.

(3) –Cuoq(J.), L'église D'Afrique du Nord du Deuxieme au Douzieme Siècle, éd. Centurion, Paris, 1984, pp.44-45.

(*)- دوناتوس (Donatus) هو أسقف مدينة باغاي دوناتي المذهب كان أسقف في المدينة سنة347م أي عند الأحداث الاحداث الدامية التي عرفتها مدينة باغاي وتذكر المصادر الدوناتية أنه استشهد أثناء تلك الأحداث وبالتأكيد هو غير دوناتوس الأكبر صاحب المذهب الدوناتي.

أسقف مدينة باغـــاي الـــدوناتي و مـــاركولوس" « Marculus » وماكســـيمانوس «Maximianus » واسحاق«Isac »[1].

نتج عن أحداث باغاي أيضا نفي عدد من الأساقفة الدوناتيين واضطر عـــدد آخـــر منهم إلى الهجرة وصودرت كنائسهم وممتلكاتهم وألحقت بهم العقوبات الصارمة وطالـــت تلك العقوبات كل من ثبتت عليه تهمة التعامل مع الدواويين أو التعاون معهـــم[2]. رغـــم الاضطهاد الذي لحق بالدوناتيين والدواوين على السواء إلا انه لابـــد أن نشـــير إلـــى أن الحركة الدوناتية كانت قد عرفت دفعا حقيقيا في مسارها المعـــارض للكنيســـة الرســـمية الكاثوليكية في قرطاجه ، ذلك بانضمام الثوار الريفيين إليها، واعتبر ذلك تقوية لرصـــيدها في الأوساط الريفية والقرى في الشرق النوميدي، مما أدى إلى انتشار الكنائس الدوناتيـــة في كامل الشرق النوميدي، ذلك ما جعل الطرف المضاد يســـتنجد بالســـلطة الرومانيـــة الإمبراطورية لمساعدتها بتقديم الدعم المادي لبناء كنائس كاثوليكية لتنافس أو تقـــف فـــي وجه المد الدوناتي[3].

وأمام ذلك الوضع اضطر الكثير من أثرياء الرومان أو المترومنين من النوميـــديين لاعتناق الدوناتية في المدن و الأرياف خوفا من أن تطالهم ضربات الثوار كما عمد الكثير من الأسياد إلى تسريح عبيدهم وتذكر المصادر أن أولئك العبيد الذين تم تسريحهم انضموا إلى الثوار الريفيين، وبذلك نالوا شرف الثورة وأصبحوا من أنصارها المخلصين على مـــا يذكر الأستاذ غانم محمد الصغير[4].

---

(1)- عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص.111.

(2)- محمد المبكر، المرجع السابق، ص.207.

(3)- Cuoq(J.),Op.cit., pp.48-49.

(4)- غانم محمد الصغير، مقالات وآراء...، ج2، ص.241.

لكن ذلك جعل السلطة الرومانية كما رأينا تقف في وجه هذا التحول المحلي عــن السلطة والكنيسة الراسخة ولاحظنا إجراءات ضخمة ضد الثــوار الــدوناتيين واحتــدمت الأمور أكثر عند محاكمة الدوناتيين سنة 411م [1].

[1]- معروف أن محاكمة الدوناتيين شهدتها سنة411م أي أثناء فترة حكم الإمبراطور هونوريوس"Honorius" ولم تمر إلا سنة واحدة من تلك المحاكمة حتى أصدرت السلطات الرومانية قرارا يقضي بإجراء محاكمة أخرى للثوار الــريفيين ومتابعتهم، ورغم الآثار السلبية التي لحقت بهم من جراء تلك المحاكمة إلا أن أولئك الشباب الثوار واصلوا أعمالهم فيما بعد هذه الفترة بطريقة سرية ضد مصالح الاحتلال الروماني بل امتدت حتى فترة الاحتلال البيزنطي وقبيل الفتوحــات الإسلامية للشمال الإفريقي...أنظر:

-Leplley(c.), Primanté Romaine et Autonomie Africaine au v^{éme} siècle, S-CT.N :°5-6, 1967,PP.193-197.

الخـــــــــــاتـــــــمـــــــة

الحضور الروماني في الشرق النوميدي بصفة خاصة وفي عموم المغرب القـديم كان ولا يزال غير واضح المعالم من خلال الشواهد الآثارية التي تبرز تلك المعالم، ولقد تناولنا بالتحليل ذلك الحضور وحاولنا أن نركز على ردود الفعل المحلية المختلفة الدافعـة لذلك الحضور ويمكن إبراز ذلك من خلال النقاط التالية:

1. إن تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م يمكن اتخاذه بحق معلما هاما في تاريخ المغرب القديم عموما والتاريخ النوميدي على وجه الخصوص، رغم أن اهتمام الرومان بالمنطقـة بدأ قبل ذلك من خلال التنافس الحاد الذي كان قائما بين القوتين المهيمنتين علـى غربـي المتوسط ألا وهما روما وقرطاجة، غير أنه كان لتدمير قرطاجة بل إزالتها مـن الوجـود الأثر البالغ في تسارع عملية الاحتلال والمهيمنة لأن ذلك مكن الرومان مـن أن يضـعوا قدما لهم بالمنطقة المغاربية ومن ثمة التمهيد لعملية الاحتلال بأشـكالها المختلفـة والتـي جاءت متسلسلة فيما بعد ذلك.

2. الصراعات المحلية بين الملوك النوميد وجدت فيها روما الوسيلة المثلـى للتـدخل وتوجيه الأحداث لصالحها من خلال حبك المؤامرات وإلقاء الطعم للقيادات المحلية التـي ابتلعت ذلك الطعم في كثير من الحالات مسهلة المهمة للرومان من أجل التدخل في الوقت المناسب وبالكيفية المناسبة لتحقيق أهداف الساسة الرومان.

3. محاولة الملك سيفاكس الجريئة سنة 205ق.م توحيد المملكتين النوميديتين وإن لـم يكتب لها النجاح إلا أنها كانت اللبنة الأولى في مسار الوحدة التي أصبحت غاية منشـودة للملوك النوميد الذين جاءوا بعده لاسيما يوغرطة بعد حوالي قرن من تجربة سيفاكس.

4. تحالف ماسنيسان مع الرومان وإن كان في البداية لأهداف سياسية تـتلخص فـي رغبته في استعادة عرش آبائه إلا أنه كلفه أن يبقى مكبلا طوال فترة حكمه التـي دامـت

حوالي نصف قرن: من 202ق.م إلى 148 ق.م، مكبلا أمام هيمنة روما ورهينة لتلك اللحظة التي وضع فيها القائد سيبيون الإفريقي التاج على رأسه معينا إياه ملكا على نوميديا بعد أن ألقى القبض على سيفاكس وسلمه للرومان على إثر هزيمة السهول الكبرى الممهدة لمعركة زاما الشهيرة سنة 202 ق.م.

5. لم يقتصر الأمر على ماسنيسان فحسب، بل تبعات تحالفه مع الرومان لحقت ابنه مكوسن الذي لم يستطع الخروج من العباءة الرومانية، طوال فترة حكمه هو أيضا والتي دامت ثلاثين سنة من: سنة148-118 ق.م، وهو ما دفع يوغرطة ثمنه غاليا عندما رفض السيادة الصورية للدولة مفضلا البحث عن السيادة التامة، متخليا عن سياسة أسلافه وهو ما لم يقبل به الرومان، فدخلوا في مواجهات عنيفة معه، سهل فشله تثبيت دعائم الوجود الروماني بالشمال الإفريقي بصفة عامة. والتمهيد لإنهاء الكيان السياسي النوميدي فيما بعد.

6. انتصار يوليوس قيصر على خصومه البومبيين، وتنصيب نفسه ديكتاتورا على روما، كان وجها من أوجه الارتباط الذي كان قائما بين بلاد المغرب القديم وما كان يجري في روما حيث جاءت الأحداث التي عرفها الشمال الإفريقي خلال تلك الفترة في إطار صراع الحرب الأهلية الذي كان قائما في روما وكان بطلاه كل من يوليوس قيصر وبومبيوس وهو ما جسده ملك نوميديا يوبا الأول الذي فضل التحالف مع يوميبوس في ذلك الصراع، وانهزام هذا الأخير حمل الكثير من التبعات السلبية للبلاد، وعجل بإنهاء الكيان السياسي النوميدي بصفة نهائية.

7. لم يمض إلا نصف قرن من الترتيبات التي أقرها يوليوس قيصر في الدولة النوميدية حتى جاء الإمبراطور أوكتافيوس بسياسته حيث قام بدمج الولايتين الإفريقيتين

القديمة و« Africa Vetus » والجديدة « Africa Nova » وشكل منهما مقاطعة إفريقيا البروقنصلية: "L'Afrique Proconsulaire" والتي أخضعها رأسا لسلطته الشخصية، ودعم سلطته على تلك الوحدة الإدارية بإنشائه لجيش رهيب من أجل القيام بعمليات الاحتلال في الأراضي الإفريقية وهو جيش الفيلق الأغسطي الثالث (3.Leg.Auguste).

8. تبع ذلك إنشاء الرومان للمدن وانتهاجهم لسياسة الدمج والرومنة لتدعيم سياستهم الاستيطانية، بالإضافة إلى تدعيم دور الفرق المساعدة في الجيش الأغسطي بعناصر محلية، وذلك لزرع الفتنة بين السكان المحليين حيث كثيرا ما كان يزج بأبناء القبائل النوميدية في الحروب التي يخوضها الجيش الروماني مع أهالي المجندين.

9. الملاحظ أن ردود الفعل المحلية المتمثلة في رفضه الاحتلال عن طريق المقاومات المسلحة قد تركزت في المناطق الداخلية من الشرق والجنوب الشرقي النوميدي أين تقطن قبائل الموزيلامي وشرقها، الغرمنت أو غربها الجيتول، في حين تقل حدة المواجهة والمقاومة باتجاه الشمال، ذلك أنه على ما يبدو أن قبائل الشمال ألفت التواجد الأجنبي ولم يعد بالنسبة إليها يشكل خطرا فاندمجت في سياسة الرومنة التي فرضتها روما عليها، كما أنها أصبحت عبر مرور السنين منفتحة على ثقافات البحر المتوسط.

10. القبائل الداخلية أدركت وحدة المصير وضرورة التلاحم للوقوف في وجه التوسع الروماني وذلك ما عرفته منطقة الجنوب الشرقي النوميدي من خلال التحالف الجيتولي-الغرمنتي-الموزيلامي-الموري وذلك أثناء قيام الانتفاضات المحلية، أو الحركات المناوئة للوجود الروماني في كامل المنطقة التي تتواجد بها أية قتيلة من القبائل المذكورة.

11. التنظيم الإداري الروماني الذي أقره الإمبراطور أكتافيوس نهاية القرن الأول قبل الميلاد تدعم بتنظيم عسكري كان الهدف من تلك السياسة زيادة إحكام الهيمنة وتدعيم

السيطرة على الأرض والسكان، من خلال القوة الريهبة التي كان يتمتع بها الفيلق الأغسطي الثالث، والصلاحيات الهامة المخولة للبروقنصل حاكم المقاطعة البروقنصلية وهي عماد سياسة التنظيم الإداري والعسكري التي أقرها أوكتافيوس.

12. مقاومة قبائل الموزيلامي في منطقة الأوراس بقيادة تاكفاريناس خلال بداية القرن الأول الميلادي 17-24م (07 سنوات) من الانتفاضة، أخلطت أوراق الفاعلين في الإمبراطورية الرومانية بمن فيهم الإمبراطور تبيريوس نفسه الذي اضطر إلى الاستعانة بفرق عسكرية استقدمت من خارج نوميديا والمنطقة، حيث جيء بها من مختلف المقاطعات كما اضطرت السلطات الرومانية إلى استبدال وعزل الحكام والقناصل وقادة الجيش عدة مرات، غير أن بعض المؤرخين حاولوا التغاضي عن الوجه المشرق للمقاومة كرد فعل طبيعي من السكان المحليين على الاحتلال الروماني وسياسة الاستغلال التي ميزته، فوصفها بعضهم بأنها صراع البداوة والتحضر، أي بين الحضارة الرومانية القادمة من وراء البحر والبداوة النوميدية المتوغلة في أعماق الجبال والصحراء.

13. اعتمدت السلطات الرومانية في توسعاتها بالمناطق الداخلية والجنوبية النوميدية بشكل شبه كلي على الجيش الذي كان يمثله الفيلق الأعسطى الثالث، الذي كان جيشا نظاميا تدعمه الفرق المساعدة التي استقدم عناصرها من مختلف مناطق ومقاطعات الإمبراطورية، وما لبث أن أصبح لدى هذا الجيش الرهيب عدة معسكرات، ومراكز متقدمة أقيمت في المواقع الاستراتيجية للإشراف على المناطق المتوترة وتطويقها، وكان معسكر لمبازيس أهم تلك المعسكرات التي استقرت به قيادة الفيلق منذ سنة 81م.

14. ركزت سياسة الأباطرة الرومان في العصر الأول من الإمبراطورية على إقامة الخطوط الرفاعية وذلك لحماية مصالحهم وممتلكات الرومان سواء تعلق الأمر بالجيش أو

المستوطين، كان ذلك خلال فترة حكم الأباطرة الفلافيين وشمل إنشاء الخط الأول (لميس القرن الأول) الذي خص به شمال الأوراس، ثم واصل الأباطرة الفلافيين تلك السياسة الأمنية بحيث أحاطوا الكتلة الأوراسية بتحصينات دفاعية عن طريق تدعيم الخط الأول، بخط ثان خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، حيث امتد الخط الثاني على طول الجنوب الأوراسي لتضييق الخناق على القبائل الأوراسية أو الصحراوية المتنقلة في رحلة الشتاء والصيف شمالا وجنوبا، عبر المسالك الضيقة في جبال الأوراس بمحاذاة الوديان والمجاري المائية.

15. اعتماد الرومان في الناحية الاقتصادية على مصادرة الأراضي وتنظيمها ومسحها ثم توزيعها على المستوطنين الوافدين من روما أو مقاطعاتها، أو الجنود المسرحين من الجيش، وذلك لإعطاء الصبغة القانونية لمصادرة تلك الأراضي، ومن ثمة اعتبارها أراضي رومانية، وقد مكنت تلك العملية الاحتلال الروماني من أن يمنع قيام التحالف بين القبائل المحلية وذلك بعز لها عن بعضها البعض، إضافة إلى حرمانها في أخصب أراضيها، فاضطرت تلك القبائل إلى تغيير نمط حياتها بالتوجه إلى ممارسة نشاط الرعي والانتقال أو الترحال بحثا عن الكلأ، فانتشرت ظاهرة البداوة بشكل فظيع، كنتيجة لعمليات السلب والنهب والمصادرة التي مارسها الرومان في حق السكان المحليين ويمكن اعتبار هذا الأسلوب أشرس وأقوى وأقسى على السكان المحليين من الأسلوب العسكري.

16. لقد كان للخطوط الدفاعية المقامة في الشرق النوميدي وجنوبه أهمية بالغة باعتبار ارتباط الحصون ومراكز الحراسة بالطرق التي شكلت محاور رئيسية، وسيلة اتصال ونقل المواد المختلفة، التي نهبت من أهاليها، وهو ما جعل الساسة الرومان يولون تلك

الأهمية القصوى لشق الطرق ثم تدعيم الإشراف على حراستها من خلال إقامة أبراج المراقبة في المناطق الإستراتيجية القريبة من تلك الطرق.

17. التواجد العسكري المكثف للجيش الروماني بمراكز مختلفة مرتبط ارتباطا وثيقا بالجوانب الاقتصادية حيث كانت تلك الحواجز العسكرية تشكل فواصل بين المناطق المنتجة وغير المنتجة، ذلك أنه بالنسبة لروما كل ما هو خارج حدود الليمس يعتبر غير مفيد، وبالتالي كانت جهود الرومان داخل مناطق الليمس الجنوبية وذلك بتشييد أعمال جبارة في الزراعة واستصلاح الأراضي وشق القنوات لنقل المياه ثم توزيعها، وذلك لرفع كمية إنتاج الأراضي من المزرعات لتزويد روما بالإنتاج النوميدي، وذلك ما عمل الأباطرة الرومان على السير بنهجه منذ فترة حكم الإمبراطور أكتافيوس بحيث أدت بهم الزيادة السكانية في روما إلى ضرورة البحث عن المجال الحيوي.

18. كان من أبرز انعكاسات تلك السياسة الرومانية تشريد الأهالي بعد مصادرة أراضيهم، وزرع عناصر دخيلة عن المجتمع النوميدي بتوطين عناصر أوروبية. مدينة وعسكرية في الأراضي المصادرة من أهلها، زيادة على تفاقم ظاهرة البداوة بفعل الإجراءات العسكرية الرومانية للحد من تنقلات القبائل في مناطق إنتجاعها خاصة رفارق الصحراء على الحدود الجيتولية، النوميدية.

19. عمل الأباطرة السيفيريون على رومنة الأرض والإنسان من خلال قانون كراكلا الصادر سنة 212ق.م والذي رغم منحه حق المواطنة لكل سكان المقاطعات الرومانية إلا أنه كرس الرومنة بشكل فضيع من خلال نشر ثقافة الإمبراطورية اللاتينية، وذلك ما اتضح في تخطيط المدن وبناء الكنائس والمعابد والمسارح، ثم محاولة هؤلاء الأباطرة

السيفريين رغم كونهم من ذوي الأصول الإفريقية فرض اللغة والكتابة اللاتينية ثم القضاء التدريجي على اللغة والكتابة البونية المستخدمة محليا منذ مئات السنين.

20. مثل الانتشار السريع للدوناتية والمذهب الدوناتي في الشرق النوميدي أهم شكل من أشكال الرفض الذي مارسه النوميديون خلال القرنين الثالث والرابع بالخصوص حيث وجد السكان خاصة سكان الأرياف والقرى في المذهب الدوناتي الوسيلة لرفض الكنيسة الرسمية الرومانية وهي الكنيسة الكاثوليكية، ثم اعتبار الحركة الدوناتية مقاومة ثقافية لأنها رفضت الكنيسة الرسمية التي تبثها روما وهي الكنسة الكاثوليكية.

21. تحالف الدوناتية مع الثوار الريفيين جسد التلاحم الذي ميز الرافضين للاحتلال الروماني في الأرياف النوميدية ثم العمل الذي كان يقوم به الثوار من خلال الاستيلاء على مخازن الحبوب وإعادة توزيعها على الفقراء كان عملا أدهش الدارسيين لسمو العمل في ظل الاحتلال الروماني وصعوبة القيام بالعملية.

فهرسة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

فهرسة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

أولا: المصادر الأساسية

أ- المصادر باللغة العربية

ب- المصادر باللغات الأجنبية

ثانيا: المراجع

1- المراجع باللغة العربية

أ- المقالات

ب- الكتب

2- المراجع باللغات الأجنبية

أ- الدوريات

ب- الكتب

3- القواميس والموسوعات

أ- باللغة العربية

ب- باللغات الأجنبية

فهرسة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

أولا: المصادر الأساسية.

1- المصادر باللغة العربية:

1- البكري (أبو عبيد الله)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

2- عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان العبر، مج.2، دار الكتاب اللبناني، 1966.

2- المصادر باللغات الأجنبية:

1. **Appien**, Histoire Romaine, éd, P. Viereck, dans Bib, Teulner, 1906 .

2. **Augustin(St.)**, Les lettres, Traduits par. Pojoulat(M.), paris,1858.

3- **Cesar (J.)**, La guerre d'Afrique, trad. A. Bouvet, éd.les belles-lettres, coll.P.U.F., Paris,1949.

4- **Dion Cassius**, Histoire romaine, trad. E. Gros, Paris, 1863.

5- **Florus (L.A.)**, Abrégé de l'histoire romaine, trad. P.Hainslin et H.Watelet, éd. Garnier, Paris, 1932.

6- **Gsell (S.)**, Inscriptions Latines de l'Algérie, T. 1, inscriptions de la proconsulaire, Paris, 1922.

7- **Herodianus**, Histoire de la République Romaine, II, Trad. J.A.C.Buchan, éd. C.Belagrave, Paris.

8- **Mazard (J.)**, Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Paris, 1955.

9- **Paterculus(V.)**, Histoire Romaine,trad.P.Hainselin et H.watelet, éd. Carnier, Paris,1932.

10- **Pline l'ancien**, Histoire naturelle, LIV.V, trad. Jehan Desanges, éd. Les belles lettres, Paris, France, 1980.

11- **Plutarque**, Les vies des hommes illustrés, T.2, trad. Jacques Amyot, éd. Gallimard, Paris, 1985.

12- **Polybius**, Histoire romaine, trad. Denis ROUSSEL, éd. Gallimard, bibliothèque de la Pleide, Paris, 1970.

13- **Procope**, Histoire des Guerres Vandales, Trad. Dureau de la Malle, éd. Fermin Didot, Paris, 1852

14- **Salluste**, La conjuration de Catilina, La guerre de Jugurtha, Trad. F. Richard, Garnier Flammarion, Paris, 1968.

15- **Strabon**, Géographie, (4 vol), trad. A. Tradieu, éd. Hachette, Paris, (1867-90).

16- **Tacite**,

1- Annales, Trad. Burnouf, GF-Flammarion, Paris, 1965.

2- Histoires, T.2, Trad. Henri Goelzer, Paris, 1956.

17- **Tite-live**, Histoire romaine, trad. (10 vol.), éd. Classiques, Paris,1941

18- **William**, Mommsen (Th.), Corpus inscriptionum latinarum (=CIL), VIII, 5, Suppliment, Berlin, 1881.

ثانيا: المراجـــــع.

1. المراجع باللغة العربية.

أ- المقـــالات.

1- **البحيصي أحمد**، لمحة عن سياسة الأسرة السويرية فـي شـمال إفريقيـا (مجلـة المعالم)، العدد 6، السنة السادسة، جمعية التاريخ والمعالم الأثريـة، قالمـة، 1992، ص ص. 45- 62.

2- **أبو عمران الشيخ**، أوغسطين العنابي ومقاومـة الدوناتيـة، (مجلـة الأصـالة)، ع.34-35 ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجزائر، 1976.

3- **حارش محمد الهادي**، ثورة تاكفاريناس 17-24 م،(مجلة الدراسات التاريخية)،ع. 9 ، سنة 1995، ص ص . 129-133.

4- **خديجة منصوري**، الصراع الدوناتي الكاثوليكي، مجلة جامعة الأمير عبـد القـادر للعلوم الإسلامية،ع.12، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002.

5- شنيتي محمد البشير، التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، (مجلة الأصالة)، ع.41، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1977، ص ص. 2-24.

6- عرسان عبد الرؤوف أحمد جرار، الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي، (مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية)، ع.30، جامعة بابل، العراق، 2016

7- عقون محمد العربي، المنطقة الأوراسية في القرن السادس الميلادي من خلال المصادر، (مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية)، ع.12، جامعة باتنة، 2005.

8- غانم محمد الصغير،

1- الملك سيفاكس والكيان السياسي النوميدي (مجلة التراث)، ع 9، مطبعة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1997، ص ص. 13-18.

2- الإصلاحات السيفيرية " مدلولاتها وأهدافها"، (مجلة التراث)، ع.6، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، الجزائر، سبتمبر 1993، ص ص. 8-17.

3- بعض ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول الميلادي (ثورة تاكفاريناس نموذجا)، (حولية المؤرخ) ، ع.1، إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002.

4- بين آثار قالمة، (مجلة المعالم) السنة الأولى، ع.1، مطبعة ولاية قالمة، الجزائر، 1987، ص ص. 24-28.

5- علاقة نوميديا بالرومان، (مجلة التراث)، ع2، مطبعة الشهاب، باتنة،1987، ص ص.16-24.

6- نقيشة مكوسن الأثرية "دراسة مقارنة"،(مجلة سيرتا)،ع 4،ديسمبر 1980،ص ص. 02-14.

7- نقيشة دوقا الأثرية "دراسة لغوية وتاريخية"، (مجلة العلوم الإنسانية)، ع.10، جامعة قسنطينة، 1998.

9. **منصوري خديجة**، ماسينيسا ودول المدن الإغريقية من خلال البقايا المادية التي وجدت بالخروب وضواحيها (حوليات المتحف الوطني للآثار)، ع 11، 2002، ص ص. 98-109.

10. **رحماني بلقاسم**، أثر الاحتلال الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب، (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)، ع.12، جامعة باتنة، الجزائر، 2009.

ب- الكتـــــب.

1- **إبراهيم رزق الله أيوب**، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996.

2- **أندري إيمار، جانين أوبواية**، تاريخ الحضارات العام (3 مجلدات)، ترجمة : فريد.م.داغر، يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات، ط 2، بيروت – باريس، 1981، المجلد الثاني : روما وإمبراطوريتها.

3- **بكري حسن صبحي**، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، ط 1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1985.

4- **بوساحة أحمـــد**، أصـــول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2001.

5- جبرائيل كامبس، من ضفاف البحر الأبيض المتوسط إلى أطراف الصحراء – البربر – تعريب عبد الرزاق الحليوي، ط.1، أليف، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، بدون تاريخ.

6- أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959.

7- دويين دانييل، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية عن القرنين الأوليين، ج3، تاظغناست للنشر، بدون ت.

8- رأفت عبد الحميد، الدولة الكنسية، ج1، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1995.

9- زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج1، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان.

10- سعيد دحماني، من هيبون–بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضاري، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، ط1، 2007.

11- شافية شارن وآخرون، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر،2007.

12- محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية 305م – 429م، سلسلة رسائل و أطروحات، رقم 34، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2001.

13- محمود عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضاراتها، ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002.

14- حارش محمد الهادي،

1. التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسان العرش إلى وفاة يوبا الأول، 203- 46 ق.م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ.

2. دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

3. ذاكرة الجزائر، صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور (يوغرطه 160-104 ق.م)، إصدار المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1984.

15- رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميد والمور، دراسة تاريخية وأثرية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميدية والمورية المشيدة منذ القرن الرابع الميلادي إلى عشية الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004.

16- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونيسية للنشر، تونس، 1983.

17- شنيتي محمد البشير،

1- الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، "سياسة الرومنة 146 ق.م - 40 م"، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

2- التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

3- الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، جزءان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

4- أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

18- **الصفدي هشام** ، تاريخ الرومان في العصور الملكية، الجمهورية ، الإمبراطورية ،ج.1، ط1 ،دار الفكر الحديث، لبنان،1967.

19- **عبد اللطيف احمد علي**، التاريخ الروماني ،عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت،لبنان ،بدون تاريخ.

20- **العربي عقون**،

1. المؤرخون القدامى، غايوس كريسبوس سالوستيوس (86-53 ق .م.) وكتابه حرب يوغرطة ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر ، 2006.

2. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى،عين مليلة، الجزائر،ب.ت.

21- **العيد بشي إبراهيم**، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة ، دراسة حضارية في قبل التاريخ وعبر التاريخ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

22- **غانم محمد الصغير**،

1. مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

2. التوسع الفينيقي في غرب المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979.

3. المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.

4. مقالات حول تراث بسكرة والتخوم الصحراوية، مطبعة عمار قرفي، باتنة، بدون تاريخ.

5. مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005.

23- فنطر محمد حسين، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.

24- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة عباد صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.

25- محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971.

26- محمد شفيق ، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام للنشر والتوزيع، الرباط، 1989.

27- مصطفى العيادي، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري و مصر الرومانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

28- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، المجلد3، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، بلا تاريخ.

2. المراجع باللغات الأجنبية:

أ- الدوريات:

1- Albertini (E.),Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr., N°.72, 1931, pp.193-261.

2- Alquier (J.), Les ruines antiques de oued El Arab, R.Afr., N°.82, 1941, pp . 31-39.

3- Baudot (L.),Etude sur l'oasis de Negrine et les ruines de Besseriani (Ad Majores), R.S.A.C., 1875, pp . 111-126.

4- Benabou (M.), Tacfarinas: Insurgé Berbère contre la colonisation romaine, (Les Africains), T. IV,éd. Jeune-Afrique, Paris,1977, pp. 293-313.

5- Berthier (A.) et autres, "Le bellum Jugurthinum de Salluste et le problème de Cirta, R.N.M.S.A.C., T.LXVII, 1950-1951, PP .03-144.

6- Camps(G.), Nouvelles observations sur l'Archéologie et l'âge du Medracen, Mausolée royal de Numidie, C. R. A. I., 1973, pp.470-517.

7- Carcopino (J.),Note complémentaire sur les Numiri syriens de la Numidie romaine, (Syria), 1934, pp . 20-31.

8- Carthy (M.), Etudes critiques sur la géographie comparée et la géographie positive de la guerre d'Afrique de Jules César, R. Afr., T.9, 1865, pp . 430-458.

9- Chaligne (C.), «Occupation romaine de l'Afrique », R.S.A.C., (1921-1922), pp.13-19.

10- De Torcy ,Note sur la route de Tébessa à Biskra, R.S.A.C., (1910),pp.1-2

11- Debosredon (M.L.) ,« Promenade archéologique dans les environs de Tebessa », R.S.A.C., 1878, pp . 1-43.

12- Desanges (J.) , Le triomphe de Corneilius Balbus, R.Afr., N°. 98, 1957.

13- Despois (J.) ,La bordure saharienne de l'Algérie orientale, R.Afr.,1942-43, pp .197-219.

14- Etienne(R.), L'Aviation, œil magique de L'Archéologie, Annales ,vol .4,N°.1,1949,pp.85-87.

15- Faure (J.P.),Un manuscrit inédit conservé à la bibliothèque de l'institut de France,la description des ruines situées sur la route suivie par la colonne du général de saint- Arnaud dans les Némenchas et dans l'Aurès du colonel Carbuccia (03 Mai – 16 Juin 1850), (AOURAS),N°.2,Société des études et des recherches sur l'Aures antique,Paris,2004, pp .17-57.

16- Gascou (J.), "Le Cognomen Gaetulus en Afrique Romaine", M. A. H., N°.2, Vol. 82, (1970), pp. 723-736.

17- Grimal (P.),Les fouilles de Siga, M.E.F.R., Paris, 1937, pp. 108-141.

18- Gsell (S.) et Graillot(H.), Exploration archéologique dans le département de Constantine (Algérie) –Ruines Romaines nord des monts de Batna, M.A.H.,N.1,vol.14,(1894),pp.501-609

19- Guey (J.) ,

1. Note sur le limes Romain de Numidie et le Sahara au IV^{e} siècle, M.A.H., N°.1, vol.56, 1939, pp .178 – 248.
2. Les bains d'or de Caligula, M.E.F.R.A., N°. 2,Vol.89, (1977), pp.443-446.

20- Joly(A.),Le Plateau steppien d'Algérie, Ann.géo., vol.18, N°.99,

pp.238-252.

21- Jouleaud (L.), L'ancienneté de la fabrication de l'huile d'olive dans l'Afrique du nord, R.Afr., N° 70, 1929, pp .19-36.

22- Lacroix (M.F.),

1. L'Afrique ancienne, R.afr.,N°.14,(1870), pp. 12-43
2. Procédés agricoles, R.Afr., N°.14, 1870, pp . 97-120.

23- Lancel (S.), Suburbures et Nicives, une inscription de Tigisis, in libyca, archéologie-épigraphie, T.III, 1955, pp. 289- 298.

24- Lassère (J.M.),Ubique populus, peuplement et mouvement de populations dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av.J.C-235Ap.J.C), Paris, édition C.N.R.S., 1977.

25- Leglay (M.),Les flaviens et l'Afrique, M.A.H., N°.1, vol.80, 1986, pp. 201-246.

26- Leschi (L.) , Inscriptions d'El Kantara et de la région, R.Afr.,N°.72, 1931, pp . 193-293.

27- Magnelonne (J.) ,«Les principales voies romaines de la région de Tebessa» , R.S.A.C., (1917-18), pp . 10-22.

28- Masqueray (E.) , « Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores) », R.Afr., T.23, (1879), pp. 65-94.

29- Molinier(V.),Le Medracen, R.S.A.C., T.XXVIII, (1893), pp. 54-77.

30- Morizot (P.) Le génie Auguste de Tiflzi, nouveaux témoignages de la présence romaine dans l'Aures, Bull.arch.du C.T.H.S., Ser.10-11b, Paris, 1977, pp. 45-91.Les ruines romaines de l'oued Guechtane,R.Afr.,N° 89, 1948,pp .120-142.

31- Piganiol (A.) et Laurent-Vibert (R.), Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), M.A.H.,N°.1,Vol.32,1912 ,pp.69-229.

32- Ragot (W.) , Le Sahara de la province de Constantine, (1ere partie), R.S.A.C., (1873-74).

33- Richard (J.C.) , La victoire de Marius, M.A.H., vol.77, N°.01, 1965, pp.69-86.

34- Rinn(L.),« Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha», R.Afr.,T.29,1885,pp.180-81.

35- Saumagne (Ch.), La manoeuvre de Zama (cahier de Tunisie),T.10,1962, pp. 373-390.

1. Les préstextes juridiques de la troisième guerre punique, Rev. Hist., T. CLXVII,1931.
2. "Le champ de bataille du Muthul,"revue tunisienne , T.1, 1930, pp.3-17.

36- Tadeusz (K.) et Michlak (M.), Les africains et la domination de Rome , D.H.A., N°.1, vol.2,1976.pp.337-358.

37- Winkler (A.), Frontière méridionale ou limes de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie), R.T, (1909), pp. 37-47.

ب- الكتب:

1- Albertini (E.),

1. L'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1956.
2. L'Afrique Romaine, Notes prises aux conférences, imprimerie orientale, Alger, 1922.

2- Babelon (E.), Carthage, E. Le roux éditeur, Paris, 1896.

3- Baradez(J.), Fossatum Africae (recherche aérienne sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine),Paris, 1949.

4- Benabou (M.) , La résistance Africaine à la romanisation,éd. Maspéro, Paris, 1975.

5- Benseddik (N.) , Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauritanie césarienne sous le haut empire, S.N.E.D., Alger, 1978.

6- Berthier (A.), La Numidie, Rome et le Maghreb, éd. Picard, 1981.

7- Berthier(A.) et Charlier(L.R.),Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine,Paris,1955.

8- Berbent (J.) , Aquae Romanae, recherche d'hydraulique romaine dans l'est algérien, service des antiquités de l'Algérie, Alger, 1962.

9- Boissière (G.), Esquisse d'une histoire et de l'administration Romaine dans le nord de l'Afrique, librairie Hachette, Paris,1878.

10- Braudel (F.) , Les mémoires de la méditerranée, préhistoire et antiquité, éd. Fallois, Paris, 2002.

11- Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Paris, 1892.

12- Lassère(J.M.),Ubique populus, peuplement et mouvement de populations dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av.J.C-235Ap.J.C), Paris, édition C.N.R.S., 1977.

13- Albertini (E.),

1. l'empire Romain, 3eme, Edition, P.U.F., Paris, 1938.

2. L'Afrique Romaine, Notes prises aux conférences, imprimerie orientale, Alger, 1922.

14- Besnier (M.), L'empire Romain dés L'avenenement des Sesveres au Concilede Nicée, éd. P.U.F, Paris, 1937.

15- Bordet (M.), Précis D'histoire Romaine, 4eme éditions, Armond colin, Paris, 2004.

16- Braund (D.C.), Rome and the Fiendy King, The character of Client Routeldge,Groom Helm,1984.

17- Burton (E.) A description of the Antiquites and other curiositiés of Rome, from Observation,Durino a visit to italy in years 1818-19, vol.II,2er édition, Printed for,C.J. Rivington, london,1828.

18- Evelyne (P.) Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, V e siècle avant J-C.1er siècle apres J-C.), Smogy éditions d'art, paris, 2003.

19- Homo (L.), Nouvelle Histoire Romaine, éd. Fayard, Paris, 1941.

20- Lafon (M.), Rome depuis sa fondation Jusqu'à la Chute de L'empire, Paris, 1893.

21- Marquardt (J.), « L'Organisation de L'Empire Romain, M.A.R, (16vol), Trad. Gustave H, éd, Thorin, Paris, 1889-1892, T.9.

22- Marquardt (J.),« l'organisation financière», M.A.R.,16vol.Trad.Custave Humbert,éd. Thorim, paris,1888,T.10.

23- Pareti (L.) , Histoire de l'humanité, Tom .II, (Antiquité), UNESCO, Paris, 1965.

24- Petit (P.), histoir generale de l'empire romains, .vol, éd, du souil, paris, 1978.

25- Camps (F.H.) , L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger, 1953.

26- Camps(G.),Aux origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, in libyca, Tom. VIII, 1960.

27- Carcopino (J.), La république romaine (133-44 Av. J.C), presses universitaires de France, Paris, 1935-1950.

28- Chehrit (K.), Tacfarinas, éd. Grand-Alger livres, Alger, 2006.

29- Dahmani (S.), Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides V^{e} siècle av. J-c – 1er siècle ap. J-c), Smogy éditions d' Art, Paris, 2003.

30- De la malle (D.) ,

1. L'Algérie, éd. Firmin Didot, Paris,1852.
2. Carthage (Afrique ancienne), Tome. 2, éd. Firmin DIDOT frères, Paris MDCCCXLII.

31- De la Malle(D.) et Yanoski(M.J.),Carthage,(Afrique ancienne), tome.2, Fermin Didot frères, Paris, MDCCCXLII.

32- De Lagritigue, Monographie de L'Aures , Constantine , 1904.

33- De Roch (S.) , Tebessa antique Tiveste, Les presses de l'imprimerie officielle, Alger,1952.

34- Decret(F.) et Fantar(M.),L'Afrique du nord dans l'antiquité,des origines au Veme siècle,Payot, Paris, France, 1981

35- Desanges(J.),Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nile dans l'antiquité classique, Dakar, 1962.

36- Evelyne (P.), Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, V^{e} siècle avant J-C- 1er siècle après J-C), Smogy éditions d'art, Paris, 2003.

37- Fevrier (P-A.), Approches du Maghreb Romain (pouvoirs, différences et confins),(2vols.) , Aix en Provence, 1989.

38- Gaid (M.), Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, Tom.1, éd. Mimouni, Alger, 1990.

39- Gsell (S.),

1. Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Tome.V,Librairie Hachette,Paris,1927.
2. Atlas Archéologique de l'Algérie,Tome.I, (Texte),éd. 2, Alger,1997.

40- Hamdoune (Ch.), Les Auxilia. Externa. Africains des Armées Romaines, III^{e} siècle Av. j.c- IV^{e} siècle Ap. J.c, (Collection études militaires), université Paul- Valery, Montpellier III, France, 1999.

41- Harmand (L.), L'occident romain, Guaule, Espagne, Bretagne, Afrique du nord (31 av.J.C à 235 ap.J.C), éd. Payot, Paris, 1970.

42- Hubac (P.), Carthage, éd. Marcel Daubin, Paris, 1946.

43- Kadra –Hadjadji (H.), Jugurtha un Berbere contre Rome , Casbah éditions, Alger, 2007.

44- Lacroix (L.), Histoire de la Numidie et la Mauritanie, depuis les temps plus anciens jusqu'à l'arrivée des vandales en Afrique, éd. Firmin DIDOT frère, Paris, MDCCCXLII.

45- Lancel (S.),

1. Carthage, éd. Cerès, Tunis, 2000.
2. Hannibal, éd. Cérès, Tunis, 1995.

46- Lapeyre(G.) et Pellegrin(A.), Carthage punique (814-146 av.j.c.), Payot, Paris, France, 1942

47- Lassus (J.) , La forteresse byzantine de Thamugadi, fouilles à Timgad, 1938-1956, T.I, Paris, 1981.

48- Leglay (M.) et autres, Histoire romaine, presses universitaires de France, France,1991.

49- Lepelley (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-empire, T.2, Paris, 1978.

50- Mercier (E.) , Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, 1830,(03vol.),T.1, éd. Ernest Leroux, Paris,1888.

51- Mesnage (J.), Romanisation de l'Afrique (Tunisie, Algérie, Maroc), Paris, 1913.

52- Messikh (M.S.), L'histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique Rusikade, éd. Raïs, Algérie, 1996.

53- Mommsen (Th.),Histoire romaine, trad. C, A, Alexandre, Tom III, Librairie, A. Franck, Paris, 1865.

54- Mommsen (W.) et autres, Encyclopédie universelle, tom.5, éd. Marabout université, Verviers, Belgique, 1962.

55- Naude(M.) et Champ(L.), Notice sur la carte de l'Afrique sous la domination des romains, imprimerie impériale, Paris, MDCCCLXIV.

56- Oussedik (T.), La Berberie, T.I, ENAP/ENAL, Alger, 1989.

57- Pareti (L.) , Histoire de l'humanité, Tom .II, (Antiquité), UNESCO, Paris, 1965.

58- Pellegrin (A.), Histoire de la Tunisie depuis les origines, éd. 4, Bouslama, Tunis, 1975.

59- Picard (G.Ch.),

1. Castillum dimmidi, Alger-Paris, 1947.
2. La civilisation romaine, Paris, 1959.

60- Piganiol (A.),

1. Histoire de Rome, presses universitaires de France, Paris, 1962.
2. La conquête romaine, Paris, 1942.

61- Rachet (M.),Rome et les berbères (Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien), coll.latmus, Bruxelles, 1970.

62- Sahli (M.Ch.), Le message de Yougourtha, éd. En-Nahda, Alger, 1947.

63- Salama (P.) , Les voies romaines de l'Afrique du nord, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1951.

64- Saumagne (Ch.),

1. La Numidie et Rome, Massinissa et Jugurtha, éd. presses universitaires de France, Paris, 1966.

2. La Numidie et Rome, P. U. F., Paris, 1966.

65- Servier (J.), Les bérbères ,(que sais-je ?),2eme édition, DAHLAB, Alger, 1994.

66- Tissot (Ch.) , Géographie comparée de la province d'Afrique, T.I, imp.nationale, Paris, 1884-1888.

67- Trousset (T.) ,Recherches sur le Limes tripolitanus (de Chott El Djerid à la frontière tuniso-libyenne), Paris, 1974.

68- Warmington(B.H.), Histoire et civilisation de Carthage (814 av.j.c à 146 ap.j.c) trad. S.Mguillemin, Payot, Paris, France, sans date.

3. القواميس والموسوعات.

أ. باللغة العربية:

1- **بيار غريمال وآخرون،** موسوعة تاريخ أوربا العام (جزآن)، ج١ ، أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر، ترجمة أنطوان أ. الهاشم، منشورات عويدات، ط1، بيروت- باريس، 1995.

2- **زبيب نجيب،** الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج1، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان،1994.

3- **ول ديورانت،** قصة الحضارة، ج 1، المجلد3، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، بلا تاريخ.

ب- باللغات الأجنبية:

1- Camps (G.), Jugurtha (encyclopédie berbère), T.XXVI, 2004.

2- Chevallier (R.) ,Dictionnare de la littérature latine, éd. Larousse, France, 1968.

3- Eydoux (H.P.), A la recherche des mondes perdus, les grandes découvertes archéologiques, librairie Larousse, Paris, 1967.

4- Frédouille (J.C.), Dictionnaire de la civilisation romaine, éd.2, Larousse, Paris, France, 1999.

5- Leveau (Ph.), L'Aurès dans l'antiquité (encyclopédie berbère), VIII, Aures-Azrou, EDISUD, Aix-en-provence, France, 1990.

الفهـــــــــــــــــــــــــــــــارس

-أ-

أبرونيوس 157-158
أبرونيوس كايزانيوس 158
أليفيوس روفوس 158
أبيانوس 34-49-63
أوبطا الميلي 269-289
ألبينوس 88-89-237
أجريبينوس 264
إدوارد بورتون 31
أذربعل 73-75-76-77-79-80-81-82-83-85-86-88-
أرابيون 53-100-124-125-
إيرنست ميرسي 140
إسكولاب 259
أشمون 62-63-
أغسطس 124-126-127-136-147-152-186-190-191-214-
أوغسطين 254-268-277-278-283-285-287-
أفتير 40-41
أنطونينوس التقي 209-210-232
أوبيميوس 81
أوريليوس 239
أوفيدوس 30
أندري بيريتي 269
أوكتافيوس 124-125-136-151-152
آتيوس فاروس 116
إيدمون 170

إيميريتوس سيزاريا 278

-ب-

بستيا 86-87

بطليموس 130-162-164-165-166-167-169-170

بعل حمون 66-258-259-261-

بوكار 27

بوكوس 52-54-93-94-95-96-97-98-99-101-102-103-
113.

بوكوس الأول 4-120.

بوكوس الثاني 120-123-124-125.

بوليبيوس 17-19-28-33-38-39-48-64-

بومبيوس 5-14-52-53-100-105-111-112-113-115-116-
117-119-121

بيار سلاما 190

بيثياس 61

بيجانيول 151

-ت-

تاسيت 152-154-158-162

تاكفاريناس 12-13-14-53-139-145-146-148-149-151-152-
153-154-1155-156-157-158-159-160-162-
163-164-166-167-168-169-175-193-229.

تاكيتوس 12-127-129-145-149-153-155-160

تانيت 66-68-258

تراجان 07-172-174-179-181-182-184-204-205-206-
207-228-230.

تيبيريوس 127–151–152–159–162–175–191–192–
تيتيوس ليفيوس 12–28–32–38–39
تيرتيليان 263

–ج–

ج. براديز 7
ج. كامس 12–21–38–41–42
جراكوس 67
جوليان 40–61–241–277–281
جونون 68

–ح–

حارش محمد الهادي 13
حنبعل 29–30–33–34–35–37–39–44
حنون 29

–د–

داريوس دارا 259
دافيد براون 31
دقليديانوس 270–271
دوكري 254
دولابيلا 163–164–166
دومسيان 176–180
دوناتوس 267–268–269–270–274–277–279–288–290–291.
ديديوس بولبانوس 235

–ر–

ريتيلوس 90

–س–

ساليسيوس 74

ستيفان جزال 13

سيبتيموس سيفيروس 7-235-236-241-244-248-250

سيبيون 4-19-20-21-23-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-46.

سيتيوس 5-120-122-123-124-125

سيفاكس 4-14-16-17-18-19-20-21-22-24-26-27-28-29-30-31-32-36-38-39-41.

سيلا 4-52-54-65-92-96-97-98-99-101-105-106-111-112-117-158

-ش-

شنيتي محمد البشير 13-103-155-217-258-259

شيشرون 114

-ص-

صدر بعل 17-61

-غ-

غانم محمد الصغير 13-15-48-74-107-110

غايا 17-18-49

غودا 102-103-104-111

-ف-

فاسباسيان 177-178-179-195-196-205

فالنتيان 282

فالريانوس 267

فلافيوس سوليكيانوس 235

فنطر محمد حسين 254
فيرتيناكس 235
فيرمينا 27–38–39
فيرناند برودال 63

–ق–

قداش محفوظ 103
قسطنطين 173–255–267–278–279–280–281–282–285–290.
قيصر 5–14–52–53–55–100–104–107–109–111–113–
115–116–117–119–120–121–122–123–124–125–
191–198–214–223–243–261

–ك–

كايوس بيبيوس 87
كايوس قيصر 127
كاتو 44–45–48–116
رونيه كانيا 134–146–176
كاليجولا 127–129–135–168–170–175
كايكيليانوس 269–281
كراكلا 7–238–241–242–244–248–249–252–253–
كلوديوس ألبينوس 236
كورنيفيسيوس 125
كوريون 115–116–117

–ل–

لاكومازيس 22
لايليوس 21–27–61
لورون فيبار 151

لوكيوس أوبيميوس 81

-س-

سيبتيموس فلاكوس 176

سيبتيموس سيفيروس 7-236-240-241-244-248-250-251-252

-م-

مارسال بن أبو 13-151

ماركوس سيلانوس 127

ماريوس 90-94-95-96-97-98-99-102-105-106-111-112-161

مازيبا 146-148-149-153-154-159-162

ماستانزوس 103

ماستينيسا 105-106

ماسنيسان 4-14-16-22-24-26-27-28-29-30-32-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-47-48-49-50-52-55-57-69-70

ماسيفا 88

ماسنيسان الثاني 112

مكاريوس 291

ماكسينتيوس 279

منصوريوس 273-279

ميتيلوس 90-91-92-93-94-95

مسيبسا 46-55

مصتنبعل 55-71-102

مكوسن 4-52-54-55-56-57-58-70-71-73-74-75-76-77-78-101

-ن-

نيجر 236-237

نيرون 175-243-283

-هـ-

هادريان 187-188-204-207-213-214

هادريانوس 214

هرقل 157-258

هملكار 46

هيرباس 105-106-112

هيرودوتوس 256-257

هيمبصال 75-76-77-78-79-81-104-105-106-114

هيمبصال الثاني 104-105-106-114

-ي-

يوبا الأول 5-50-53-58-100-113-114-115-116-117-118-119-120-122-123-124

يوبا الثاني 106-128-140-141-142-146-154-162-164-15-65-167-169

يوغرطة 4-5-12-14-56-58-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-95-96-97-98-99-100-101-102-103-104-105

يوليوس قيصر 05-113-122-123-124-223.

يونيوس بليزوس 161

-أ-

الإسبان 114

الإغريق 42-57

الأفارقه 142-260-267

الإنجليز 30-31

الأنطونيين 7-14-175-185-204-209-235

الأوزيس 257

الإيبيريين 73-74

الإيطاليين 68-77-78-91

-ب-

البومبيين 115-117-119-120-122

-ج-

الجتيوليين 143-144-263

جرمة (قبيلة) 175-176

الجيتـــــــول (القبائل) 10-53-93-94-139-140-141-142-143-144-146-153-181-190-193-263

الجيتوليـــــــة (القبائل) 9-93-106-140-141-142-144-152-182-252

-د-

الدوارين 7-15-289-291-

الدوناتيين 273-276-278-279-280-281-282-283-286-289-290-291-293

-ر-

الرومان 3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-23-26-27-28-29-30-31-33-34-35-36-

37-39-40-41-42-43-44-46-47-48-49-52-53-54-
55-56-57-58-59-60-61-62-63-64-66-67-68-69-
70-71-72-73-74-75-76-80-81-82-85-86-87-88-
89-90-91-92-94-95-96-97-98-99-100-101-102-
103-104-106-107-108-110-111-112-114-116-
117-120-122-125-126-131-132-133-134-136-
137-140-141-142-143-144-145-146-147-148-
149-150-152-153-154-155-157-158-159-160-
163-161-162-163-164-166-167-168-169-170-
172-173-174-175-176-177-178-179-180-181-
182-183-184-185-186-187-1890-192-193-195-
196-197-199-201-205-206-207-208-209-210-
211-213-214-215-216-217-218-220-221-223-
224-225-229-230-231-233-235-239-240-242-
243-246-249-250-251-252-253-254-258-260-
261-264-265-267-269-273-275-276-284-285-
286-289-292.

الريفيين 7-255-268-287-292

-س-

السوريين 232-239-252

السيفريين 10-243-246-251-254

-غ-

الغاليين 114

الغرمنت 163-176-196-

-ف-

الفرنسيين 30-11

الفلافيين 196-194-180-176-175-174-172-7

الفينيقيين 259-257

-ق-

القبائل الإفريقيه 149

القرطاجيين 107-69-64-62-47-46-45-43-41-39-35-33-30-29-28-26-24-21-20-17

-ك-

الكنتيين 183-153

-ل-

الليبيين 258-256

-م-

المازيسوليين 17

المازيسيل 38-17

الماسيل 144-41-17

المزالمة 230-229-195-170-167-153

المور 258-256

الموريطانيين 263-162-153

الموريين 239-163

الموزيلامي 229-183-175-168-164-160-149-146-144-142-14-12-10

الموزيلاميـــــة (القبائل) 206-159-155-152-146-144-143-142-140-9

-ن-

الناسامونس 181-180

النمامشة 245-227-211

النوميديـــــــــة 229-182-178-170-145-56-34-26-9

(القبائل)

النوميديين 4-8-11-24-28-35-47-50-55-58-63-66-69-72-73-
74-79-81-86-88-89-98-102-104-107-112-117-
120-136-147-148-152-157-158-159-162-163-
166-168-242-249-269-270-275-284-286-292.

-و-

الوندال 15

-أ-

الأبيض (وادي) 184-197-201-205-210-211-216-218-227
الاتحاد السيرتي 192
اسبانيا 17-19-74-75-76-115-162
أسوراس 195
آسيا الصغرى 239
الأطلس 170
الأطلـــــــــــس الصحراوي 207-208
آغار 121
إفريقيا 5-10-23-27-28-36-37-44-48-49-56-64-68-69-80-88-90-94-99-102-104-105-106-107-113-115-116-117-119-122-124-129-130-131-133-135-136-137-145-153-157-159-160-162-167-169-170-181-187-188-196-207-213-214-225-237-240-241-242-243-244-257-258-262-265-276-278-279-280-283.
إفريقيـــــــــا البروقنصلية 126-144-177-183-192-264-269
إفريقيا الجديدة 5-123-124-125-126-130
إفريقيا الرومانية 71-82-85-87-92-123-275
إفريقيا الشمالية 13-165
إفريقيا القديمة 123-125-126
ألبافوسنس 31
ألمانيا 137

أمايدارا 143–161–190–191–193–195

الإمبراطورية الرومانية 7–9–14–112–113–126–129–132–170–172–181–183–184–185–186–188–224–228–229–234–235–236–237–238–239–240–241–242–245–248–249–250–252–266–270–279–283–285–292.

أمبوريا (إقليم) 41–44

أوتيكا 27–29–33–59–66–67–116–119

أوتينا 193

الأوراس 6–9–14–140–143–144–146–147–156–157–158–168–169–170–172–174–175–180–181–184–195–196–197–199–201–204–205–206–207–208–209–210–211–218–219–220–223–224–225–227–229–245.

الأوراس (جبال) 195–197–205–206–209–210–218–220

أوروبا 17–110–188–257–259

أوروسكوبة (مدينة) 46

أوزيا 164–166–167

أولاد نايل (جبال) 208

أومال 207

إيبيريا 17–56

إيطاليا 20–29–30–33–37–68–115–232

–ب–

باجة 64–91–92–93–94

باجيدا (نهر) 136–137

بادس 204–210–218
البحر المتوسط 8–42–58–120–177–254
البرواقية 207
بروسبينا 119
بريطانيا 157–187–188–251–240
بريكة (وادي) 216
بسكرة 204–205–210–211
بلاد الإغريق 42–57
بـــلاد المغـــرب 17–37–111–151–190–228–256–257–274
القديم
بلجيكا 137
البلقان 115–137
البيبان (جبال) 165
بيرسة 61

–ت–

تابسوس 121–122
تازولت 196–245–251
تاغاست 245
تاكابي 143
تالة 92–93–94–95–158
تبرسق 64–
تبرقة 64
تبريســـــــــكوم 163–196
نوميداروم
تبسة 131–151–161–168–191–195–196–205–210–227–

245-
تكلات 164
تكوت 216-201
تهودة (حصن) 228-218-211-210-204-197
توبوسكوم 164
التوليانوم 99
تونس 205-196-168-116-43
تيبور 31
تيغانيمين (مختق) 211-201
تيفست 196-195-193-177-131
تيفولي 31
تيمقاد 285-277-251-245-211-210-197

-ج-

الجريد (شط) 199
الجزائر 245-192-168-151-118-84-13
جزيرة ايبيريا 17
جميلة 251-245-241

-ح-

حادرومات 119-34
الحضنة 245-208-206-142
الحفر الفينيقية 42
الحفر الملكية 126
الحي (وادي) 210-184
حيدرة 195-191-190-178-177-151-143

-خ-

الخمير والأسواق 44
خميسة 196
خنشلة 196-205-210-217-219

-د-

الدانوب 188
دوقة 55-64-251
الدولة القرطاجية 35-40-41-43
ديانا فيتيرانوروم 170

-ر-

رأس الطيب 177
رأس ديماس 121
رأس سيدي المكي 28
الراين 188
روســـــــــيكادا (سكيكدة) 5-123-192
روما 4-8-10-29-31-32-36-37-41-43-45-48-49-56-63-68-79-80-82-83-85-86-87-88-89-93-95-98-99-104-105-107-108-110-111-112-114-119-129-131-132-152-157-161-167-186-223-224-233-236-237-238-239-244-248-255-259-260-261-262-263-279-283

-ز-

زاما 13-16-17-34-35-37-39-40-41-42-43-64-91-92-107-115-122
زانة 170-206

زانة البيضاء 206
زريبة الوادي 218
زريبة حامد 218
زغوان (جبل) 64

-س-

سبيبه 191
سدوري (حصن) 208
السرت (خليج) 27-122-151-156-161-181
السرت الصغرى 65-143-146-148
السرت الكبرى 145-180
سردينيا 56
السهول الكبرى 28-34-44
سوتول 89
سوريا 135-137-214-236-237-240
سوسة 34-119-191-264
سيدي الهاني 65
سيرتا (قسنطينة) 5-24-26-30-38-57-83-85-86-88-94-95-96-97-120-122-123-125-161-179-191-192-193-245-272-273-277-285
سيڤا 20-21-24-26

-ش-

شبيكة (حصن) 113-204
شمال إفريقيا 20-21-40-82-110-173-192-223-235-239-251-255-256-262
شولو (القل) 5-192

شيلي 266

-ص-

صقلية 58

صلداي (بجاية) 103-105-164-141

-ط-

طبنة 206-208-213

طرابلس 40-41-244-245

-ع-

عبدي (وادي) 184-197-201-205-210-227

العرب (وادي) 197-210-227

عمور (جبالب) 209

-غ-

غالة 104-239

-ف-

الفجاج (شط) 199

فرنسا 137

فريانة 190

فكيرين (جبل) 64-65

فلسطين 137-237-256

-ق-

قابس 65-145-151-168

قرطاجة 8-14-17-24-29-33-35-36-37-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-52-54-55-56-58-59-60-61-63-64-66-67-68-69-111-182-192-193-223-243-259-263-264-268-272-273-274-279

قفصة 93–95–96–123–143–146–151
قلعة تيرميدة 79
القنطرة 210–211–213–217–227–232

–ك–

كابسا 123–143
كارناي 238
كالما (قالمة) 198

–ل–

لامباز 208
لامبيريدي 170–205
لبدة 41–44–87–161–176–181–193–241–289
لمباز 170–180–184–196–197–205–210–211–240–245
لمساقة (وادي) 123–124
ليبيا 263

–م–

الماء الحي 208
مادوروس 178–196
متليلي 206
متوسة 217
المثول (وادي) 85–91
مجرده (سهل) 192
مداوروش 196
مدوكال 208
مروانة 206
مصر 119

المعذر 205
مقدونيا 44
مكثر 55
ملغيغ (شط) 208
الملوية (نهر) 71-96-122
مليان (وادي) 193
منعة 210
موريطانيا (مملكة) 4-103-111-130-133-140-141-142-145-146-148-154-159-162-170-188-225-265-269-278-282
موريطانيا الطنجية 133
موريطانيـــــــا 130-133-140-145-146-148-154-162-170-225-269-282
القيصرية
ميقارا 59
ميلاف (ميلة) 5-191-192

-ن-

نارا قارا 34
نقرين 204-210-213-218
نومانس 74-76-81
نوميديا 4-5-9-13-14-16-17-18-24-31-32-37-39-48-52-53-54-55-56-69-75-79-80-82-85-86-87-88-94-100-101-102-103-104-107-110-113-116-122-124-125-126-130-133-134-135-137-142-146-159-163-172-175-176-177-178-181-182-184-188-193-195-196-206-217-225-230-231-233-240-241-242-245-248-249-250-251-253-264

265–269–271–272–274–276–283–289.

–هـ–

هنشير بسرياني 204
هنشير طينة 65
هنشير قصبات 193
هيبورجيوس 123–177–196

–و–

واد مجردة 29
الوادي الكبير 64–123
ولجة الرمان 201

النوع	الرقم	العنوان	الصفحة
الخرائط	01	نوميديا الموحدة على يد الملك سيفاكس سنة 205 ق.م	24
	02	حرب تاكفاريناس 17–24 للميلاد	150
	03	تنظيم شبطة الطرق في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا أثناء فترتي حكم الإمبراطورين أغسطس وتراجان.	194
	04	أهم طرق المواصلات في نوميديا الرومانية	198
	05	الليمس النوميدي خلال القرنين الأول والثاني	200
	06	الليمس النوميدي خلال القرن الثالث الميلادي	212
الأشكال	01	تمثال نصفي للقائد الروماني سيبيون إيميليانوس	22
	02	الملك يوغرطة متوجه إلى اليسار والظهر فيل يركض إلى اليمين وتحته حرف ألف البونية الجديدة	83
	03	تمثال نصفي لقيصر	108
	04	تمثال نصفي للملك يوبا الأول	117
	05	تمثال نصفي للملك يوبا الثاني	128
	06	تمثال نصفي للملك باطليموس ابن يوبا الثاني	165
	07	حائط هادريان في بريطانيا "الليمس البريطاني"	189
	08	قناة رومانية لنقل المياه حفرت على الضفة اليمنى للوادي الأبيض في مخنق تيغانيمين	202
	09	معصرة لزيت الزيتون ما تزال تشتغل بنفس الكيفية التي كانت عليها في القديم عثر عليها في منطقة تكوت	203
	10	نقيشة لاتنية تخلد ذكرى إنشاء الطريق الرابط بين لمباز وتهوده كتبت سنة 145 للميلادمن قبل الفرقة السادسةفيراتاالتابعةللجيش الروماني	214
	11	نموذج من أعمال الزراعة الرومانية في جنوب الأوراس	222
	12	نموذج من أعمال الزراعة والسقي بمنطقة بادس خلال القرن الثالث الميلادي	226

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة الإهداء شكر وعرفان	
مقدمة	02
مدخل: مظاهر السيادة ومقتضيات تحالف التبعية 208-148ق.م	16
1. أوضاع نوميديا قبيل وأثناء معركة زاما 202 ق.م	17
أ. الملك سيفاكس يوحد النوميديتين سنة 205 ق.م	17
ب- الملك ماسنيسان يتحالف مع الرومان ويستعيد العرش النوميدي	25
2- نوميديا تحت حكم ماسنيسان 202 ق.م-148 ق.م	36
الباب الأول: علاقة المملكة النوميدية بالجمهورية الرومانية من تدمير قرطاجة إلى وفاة قيصر 146-144 ق.م	50
الفصل الأول: أوضاع نوميديا بعد سقوط قرطاجه (تقسيم المملكه وتزايد النفوذ الروماني)	54
1- الملك مكوسن وإشكالية وراثة العرش النوميدي بعد وفاة ماسنيسان 148 ق.م	54
2- تدمير قرطاجه وانعكاساته على الشرق النوميدي	57
أ- تدمير قرطاجة 146 ق.م	57
ب- انعكاسات تدمير قرطاجه على الشرق النوميدي	62
3- الحرب اليوغرطيه والبحث عن السيادة المفقوده	69
أ- مولد يوغرطه ونشأته	69
ب- مكوسن يتبنى ابن أخيه	72
ج- إشكالية وراثة العرش النوميدي الثانية (عودة إلى صراع الإخوة الأعداء)	75
د- يوغرطه يوحد نوميديا و يعيد لها سيادتها	81
هـ- يوغرطه يخوض الحرب ضد الرومان (ثمن السيادة)	87
و- بوكوس وسيلا والتآمر على يوغرطه	96
الفصل الثاني: أوضاع نوميديا بعد فشل الملك يوغرطه ونهاية الدولة الإقليمية	99

1- التطورات السياسية في نوميديا بعد هزيمة الملك يوغرطه	100
2- قيصر والكيان السياسي النوميدي	106
أ- الحرب الأهلية الرومانية وانعكاساتها على نوميديا	106
ب- الملك يوبا الأول يتحالف مع بومبيوس (تبعية أم بحث عن سيادة ؟)	112
1- شخصية يوبا الأول	112
2- يوبا الأول يخوض الحرب إلى جانب بومبيوس	114
3- انتصار قيصر ونهاية الكيان السياسي النوميدي	122
4- الأمير أرابيون ابن ماسينيسان الثاني يجدد المقاومة	123
5- نوميديا مقاطعة رومانية	125
أ- النظام الإداري الروماني في نوميديا	125
ب- النظام العسكري الروماني في نوميديا	133
الفصل الثالث: التوسع الروماني في أوائل العهد الإمبراطوري وردود الفعل المحلية	139
1- مقاومة قبائل الجيتول 03- 06 م	140
2- مقاومة تاكفاريناس 17-24م	145
أ- إستراتيجية تاكفاريناس	145
ب- أسباب المقاومة	149
ج- مراحل المقاومة	153
1- مرحلة جس النبض	153
2- مرحلة التوازن (الند للند)	156
3- مرحلة التراجع ونهاية المقاومة	164
د- نتائج المقاومة	168
الباب الثاني: التوسع الاستيطاني الروماني في الجنوب النوميدي وآثاره الاقتصادية	171
الفصل الأول: نوميديا تحت حكم الأباطرة الفلافيين والأنطونيين	172
1- الشرق النوميدي والأباطرة الفلافيين 69-96 م	175
2- الكتلة الأوراسية تعيق التوسع الروماني	179
3- الإمبراطور تراجان والأوراس (صراع دائم ومقاومة مستمرة)	181

الفصل الثاني : مد خطوط الليمس النوميدي وآثارها الاقتصادية	185
1- الخطوط الدفاعية أثناء العصر الأول من الإمبراطورية	186
2- ليسم الشرق النوميدي خلال القرن الأول الميلادي	195
3. ليمس الشرق النوميدي أثناء فترة حكم الأباطرة الأنطونيين	204
4. الزراعة إحدى آليات الاستيطان الروماني في الجنوب النوميدي:	215
أ- شبكة الري	215
1- تجميع المياه	216
2- نقل المياه وتوزيعها	218
ب- النشاط الزراعي	218
5. الآثار المترتبة عن الاحتلال الروماني في الجنوب النوميدي	229
الفصل الثالث: الإصلاحات السيفرية وآثارها على الشرق النوميدي	234
1- سيبتيموس سيفيروس يتولى عرش الإمبراطورية الرومانية	235
2- فصل الشرق النوميدي عن المقاطعة البروقنصلية	240
3- إصلاحات الأباطرة السيفريين الاقتصادية	242
4-الإصلاحات السيفيريه المالية	245
1-الضرائب المباشرة	246
أ-الضريبة على الأرض	246
ب- الضريبة المدنية الرومانية	247
2- الضرائب غير المباشرة	249
5- أهداف الإصلاحات السيفيريه وانعكاساتها	251
الفصل الرابع: التدهور الروماني وانتشار المسيحية	255
1- الديانة في شمال إفريقيا قبل ظهور المسيحية	256
2- الشمال الإفريقي يعتنق المسيحية	262
3- الحركة الدوناتية في الشرق النوميدي	268
أ- مفهوم الحركة الدوناتية	268
ب- نشأة الحركة الدوناتية	270
ج- الفكر الدوناتي	276

4- الإمبراطور قسطنطين 306-337م الحركة الدوناتيه	278
5- الانشقاق الديني والصراع بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية	284
6-الدوناتية تتحالف مع الثوار الريفيين	286
7-أحداث باغاي وتحول سنة 347 م	289
الخاتمة	295
فهرسة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث	302
أولا: المصادر الأساسية	304
ثانيا: المراجع	305
1-المراجع باللغة العربية	305
1- المراجع باللغات الأجنبية	312
2- القواميس والموسوعات	320
أ- باللغة العربية	320
ب- باللغة الأجنبية	321
الفهارس	322
فهرس لأسماء الأعلام	323
فهرس لأسماء القبائل والإثنيات	330
فهرس لأسماء الأماكن والمدن	334
فهرس الخرائط والأشكال	344
فهرس المحتوى	345

ملخص الأطروحة

يلاحظ الدارس لتاريخ الشمال الإفريقي ندرة المعارف المتصلة بالمناطق الداخلية النوميدية لاسيما في جزيئيها: الشرقي، والجنوبي–الشرقي والتي ظل تاريخها بعيدا إضاءات البحث مما جعلها تعاني الغموض من جراء عدم الاهتمام.

وفي السياق ذاته، ما انفكت المدرسة التقليدية التاريخية، تعمل على التركيز على الفعل الروماني في الفضاء الجغرافي الذي غطته الإمبراطورية الرومانية، بمختلف أوجهه العسكرية والإدارية ثم الاجتماعية والاقتصادية ناهيك عن الانجازات الحضارية المرتبطة بالعمران كالمعابد والقصور والأسوار والحمامات والساحات العمومية وغيرها.

ذلك ما جعلنا نتساءل عن الأهداف التي سعت المؤسسة العسكرية الرومانية إلى تحقيقها في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية التي كانت في الحقيقة إحدى مظاهر التواجد الروماني بالمنطقة الجنوبية الشرقية من الأراضي النوميدية ؟

وكذا الانجازات المحققة من قبل جيش الاحتلال الروماني في المنطقة محل الدراسة؟

ثم إلى أي مدى تكاملت مؤسسات الاحتلال الروماني في الشرق النوميدي وجنوبه دعما لإرساء قواعد الاحتلال؟ إن التطرق إلى آليات السياسة الاستعمارية الرومانية لم يعف الباحث من طرح سؤال جوهري هو: إلى أي مدى تمتعت المناطق التي أخضعت بقوة السلاح لسلطة روما بالاستقرار والأمن؟ ثم لماذا تقل الرومنة كلما اتجهنا جنوبا؟

إن النجاح والسهولة النسبية التي وجدها الرومان في تكريس احتلالهم للمنطقة النوميدية يدفعنا للتساؤل مرة أخرى: هل كان ذلك فعلا بتواطؤ من بعض العناصر المحلية، كما تبرزه الكتابات الأجنبية؟ أم أن هناك بعض الحقائق التي ظلت خفية عن تاريخ المنطقة؟

إن تكامل سياسة الاحتلال الروماني في أهدافها يجعلنا أيضا نتسائل عن دور الأباطرة الرومان خصوصا ذوي الأصل الإفريقي (الأباطرة السيفريين) وحقيقة انتمائهم إلى إفريقيا في ظل المساوئ التي لحقت إفريقيا عموما من جراء سياستهم !؟

ثم أخيرا يمكننا أن نتساءل عن فعل المقاومة التي كان الشرق النوميدي والجنوب الشرقي منه منطلقا لها سواء تعلق الأمر بالمقاومة العسكرية (قبائل الجيتول والموزيلامي) أو المقاومة الفكرية الدينية ثم الاجتماعية (الدوناتية والريفيون).

هل عبرت عن وعي تلك القبائل القاطنة في تلك المناطق بضرورة التصدي للأجنبي، وذلك ما جعلها تتحالف مع بعضها البعض؟ أم أن مقاومتها كانت لأسباب مرتبطة بالاغتصاب أراضيها واستقلالها من قبل المحتلين؟ ولم تكن قد بلغت درجة الوعي السياسي الذي يجعلها تدرك ضرورة الوحدة الناتجة عن الشعور الإقليمي الذي يربط بينها؟.

وكان الباحثون الفرنسيون إبان الحقبة الاستعمارية قد تعرضوا إلى جوانب من المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني إلا أن كتاباتهم كانت دوما تركز على الجانب الروماني وانتصاراته المحققة على أرض الواقع، وهذا كان أحد الدوافع التي نطمح من خلالها إلى إزالة اللبس عن منجزات أسلافنا النوميديين وإبراز أخبارهم بصورة لائقة بتضحياتهم من خلال إظهار العلاقة الجدلية القائمة بين الفعل الاستعماري الروماني ورد الفعل المحلي المقاوم له...

ولقد اعتمدنا في ذلك منهجا تحليليا استنباطيا للوثائق المادية الكتابية والمخلفات الآثارية للوصول إلى إجابات وافية على التساؤلات المطروحة والتي أشرنا إليها.

وظفنا أيضا المنهج التاريخي الوصفي في حالات عدة قمنا من خلاله بسرد الأحداث دون تحليلها وذلك لعدم تناولها بشكل أوسع في المصادر الكلاسيكية، لكن دعمنا ذلك بالمنهج المقارن بحيث قمنا بمقارنة الأحداث ببعضها البعض وما نتج من انعكاسات ثقافية واجتماعية ثم اقتصادية كانتشار ظاهرة الرومنة بمدن الشمال وظاهرة البداوة في مناطق الجنوب !؟

وفقا لما تطلبه موضوع الأطروحة والموسوم بـ: **أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى الغزوات الوندالية 46 ق.م- 429م دراسة تحليلية حول الواقع السياسي و الاقتصادي في ظل الاحتلال الروماني** . فقد قسمنا العمل إلى مدخل وبابين وكل باب يتضمن عدة فصول.

- تطرقنا في المدخل إلى أوضاع المملكة النوميدية قبيل معركة زاما وسياسة التحالفات التي طبعت توجهات القادة النوميد في الفترة السابقة لمعركة زاما الفاصلة سنة 202 ق.م.
- أبرزنا فيه الصراع الذي نشب بين العاهلين النوميديين ماسنيسان وسيفاكس وأدرجناه تحت عنوان: مظاهر السيادة ومقتضياتها تحالف التبعية 208-148ق.م.

أما الباب الأول والمعنون بـــ: علاقة المملكة النوميدية بالجمهورية الرومانية من تـــدمير قرطاجة إلى وفاة قيصر 146ق.م 44ق.م فقد أدرجنا ضمنه ثلاثة فصول حاولنـــا مـــن خلالها أن نبرز أوضاع نوميديا بعد سقوط قرطاجـــة وتـــداعيات ذلـــك علـــى المنطقـــة المغاربية، فتناولنا مقاومة يوغرطة، وتداعيات فشله على نوميديا ثم أشرنا إلـــى أوضـــاع المنطقة بعد الحرب الأهلية الرومانية وترتيبات قيصر بالمنطقة بعد انتصاره على غريمه بومبيوس سنة 46 ق.م وتتبعنا بعد ذلك مســـار التوســـع الرومـــاني فـــي أوائـــل عهـــد الإمبراطورية، دون أن ننسى ردود الفعل المحلية لاســـيما مقاومـــة القائـــد المـــوزيلامي تاكفاريناس 17-24م.

أما الباب الثاني فقد حاولنا من خلاله التطرق إلى التوسع الاستيطاني الروماني في الجنوب النوميدي وآثاره الاقتصادية عالجنا ذلك من خلال الأربعة فصول التي جاء فيهـــا هذا الباب فقد أبرزنا فيه أوضاع نوميديا في ظل حكـــم الأبـــاطرة الفلافيـــين وسياســـتهم الاستيطانية ثم حكم الأباطرة الأنطونيين استكمالا للفلافيين وأظهرنا دور الكتلة الأوراسية في الصمود والتصدي لمظاهر الاحتلال الروماني منذ وصـــوله إلـــى مشـــارف الكتلـــة الأوراسية من خلال مد الخطوط الدفاعية التي إن دلت على شيء إنما تدل على صـــعوبة اختراق الأوراس أو السيطرة عليه جغرافيا وبشريا كما خصصنا جزءا هاما من البحـــث للآثار أو مخلفات الرومان في الجنوب النوميدي خاصة أعمال الري والزراعة في التخوم الجنوبية للأوراس، ثم أبرزنا إصلاحات الأباطرة السيفيريين وانعكاساتها الاقتصادية على المنطقة النوميدية، وأنهينا فصول الأطروحة بالإشارة إلى التـــدهور الرومـــاني وانتشـــار المسيحية خصصناه للصراع الدوناتي الكاثوليكي وبروز المقاومة الشـــعبية مـــن خـــلال تحالف الدوناتية مع الدوارين وهو أهم أشكال مقاومة الرومنة في القرن الرابع المـــيلادي والذي أدى في النهاية إلى التدهور والتراجع الروماني مما سهل مهمة الوندال في غـــزو الشمال الإفريقي بعد ذلك.

وقد أنهينا الأطروحة بخاتمة ضمناها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال فصول هـــذا العمل.

Thesis Summary

Studying the history of North Africa makes us notice the scarcity of information related to the interior areas of Numidia, particularly in its Eastern and South-eastern parts, whose history has long been far from research, making it ambiguous due to lack of interest.

In the same context, the traditional historical school has continued to focus on the geographical space covered by the Roman Empire, in its various aspects ranging from the military, administrative, social and economic aspects, in addition to the cultural achievements associated with architecture such as temples, palaces, walls, baths, public squares and others.

This is what made us wonder about the objectives that the Roman military sought to achieve in light of the political and economic conditions that characterised the Roman presence in the South-Eastern region of Numidia lands?In addition to achievements held by the Roman occupation army in the area under study.

Thus, to what extent did the institutions of the Roman occupation in the North-east and South of Numidia complement the support of establishing the rules of occupation? Addressing the mechanisms of Roman colonial policy did not limit the researcher from asking a fundamental question: To what extent did the areas that were subject to the Rome power benefit from the stability and security? Hence, why do we notice a decrease ofthe Romanization aspects towards the South?

The success and relative ease that the Romans found while spreading their occupation inNumidia's region prompts us to wonder again: Was this really with the complicity of some local elements, as highlighted by foreign writings? Or are there some facts that had remained hidden about the history of the region?

The integrative policy followed by the Roman occupation in its objectives also makes us question the role of the Roman emperors, especially the African ones, and their belonginess to Africa,particularly, regarding the general disadvantages that Africa had suffered from because of their policy.

Finally, we can ask about the resistance, which started in the Eastern and South-East regions, starting with the military resistance (the Geatulus and Mussillami tribes) in addition to the religious, social as well as the ideological ones (the Donatists and the circoncillions).

Did this resistance reflect the awareness of those tribes living in those areas and their need to fight the coloniser, and that led them to unite? Or was this resistance for reasons related to the occupation of its territory? Especially that they did not reach the level of political awareness that allows them to know the need for unity resulting from the regional feeling that binds them.

The French researchers during the colonial era had dealt with aspects of the Numidian resistance to the Roman occupation, but their writings have always focused on the Roman side and victories achieved on the grounds, and this was one of the motives which led us to seek to remove this confusion about the achievements of our Numidian ancestors and to spotlighton their history in the appropriate manner to value their sacrifices by showing the dialectical relationship between the Roman colonial act and the local reaction to it ...

We have adopted an analytical approach methodology for both the written material and the archaeological documents in order to reach full answers to the questions that we have referred to earlier.

We also used the historical descriptive approach in several cases where we narrated events without analysing them because they were not dealt with thoroughly in classical references; however, we supported that using the comparative approach, therefore we compared events and their effects on the cultural, social and economic sides such as the phenomenon of Romanization in the northern cities on one hand and the phenomenon of Bedouin in the South on the other hand !?

Regarding the topic of the thesis titled: The Status of Ancient East of Algeria from the Demise of NumidiaKingdom to the Vandalia Invasion 46 BC - 429 AD. An analytical study on the political and economic circumstances under the Roman occupation.The work is comprised of two main parts, each part includes several chapters,in addition to the general introduction.

- In the introduction,we discussed thestatus of the Kingdom of Numidia before the Battle of Zama and the policy of alliances that characterised the practiceof the Numidian leaders during the period before the battle Zama in 202 BC.
- We also highlighted the conflict that broke out between the Numidian Kings Massinissa and Syfax, which was included under the title: Aspects of sovereignty and the requirements of dependency alliance 208-148 BC.

In the first part, entitled: The relationship of Numidia Kingdom and the Roman Empire from the fall of Carthage to the death of Caesar 146 BC., we have included three chapters in which we tried to highlight the status of Numidia after the fall of Carthage and the effects of this event on the Maghreb, we then pointed out the situation of the region after the Roman Civil War and the arrangements of Caesar in the region after his victory over Pompius in 46 BC. We followed the course of Roman expansion in the early era of the empire, without forgetting the local reactions, especially the resistance of the Mussillami leader Takfarinas 17-24.AD.

The second part, composed of four chapters, attempted to address the expansion of the Roman settlement in the South and its impact on the economy of Numidia. The four chapters highlighted: first the status of Numidia under the rule of the Flavians and their policy settlement, and then the rule of the Antonin emperors who followed the same Flavians policy. After that, we showed the role of the Aurasian bloc to withstand and confront the manifestations of the Roman occupation since its arrival to the outskirts of the Aurasian bloc, which was held through the extension of defence lines, and this, of course, indicated the difficulty of both penetrating the Auras regionand taking control over it either in terms of its geography or in terms of itsinhabitants. We also devoted an important part of the research to the effects that Romans had on the South of Numidia’sprivate irrigation system and agriculture in the southern boundaries of Auras. We pointed out reforms held by Severus Emperors and their economic implications on the Numidian areas. Finally, we ended the thesis by referring to the Roman decline after the spread of Christianity and the Catholic – Donatist conflict. This latter led to the emergence of the natives’ resistance after the Donatist alliance with the rebels, which was the most important forms of resistance to Romans during the fourth century AD, this, eventually, led to the deterioration and decline of the Roman Empire. Consequently, it had facilitated the task of Vandals in invading North Africa later on. The thesis ends with a conclusion that included the major findings of the research.